سورة آل عمران
مدنية وآياتها مائتان

﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ۝٤ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝٥ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٦﴾

(ألم) تقدم الكلام على فواتح السّور في أول البقرة •

(التوراة والإنجيل) : اسمان أعجميان ، وقيل عربيان • وعلى القول بعربيتهما فالتوراة مشتقة من قولهم : ورى الزّند إذا قدح فظهر منه نار • فلما كانت التوراة فيها ضياء يخرج به من الضلال الى الهدى كما يخرج بالنور من الظلام الى النور سمي هذا الكتاب بالتوراة. وقيل : هي مشتقة من وريت في كلامي من التورية • وسميت التوراة لأن فيها تلويحات وإيحاءات ومعاريض • أما الانجيل فهو على رأي القائلين بعربيته مشتق من النجل وهو التوسعة • ومنه قولهم : عين نجلاء أي واسعة • وسمي الانجيل بذلك لأن فيه توسعة لم تكن في التوراة •

الإعراب :

(ألــم) خبر لمبتدأ محذوف وقد تقدم القول فيه مفصّلا (الله لا إله إلا هو) الله مبتدأ ولا نافية للجنس وإله اسمهــا وإلا أداة حصر وهو بدل من محل لا واسمها على الصحيح أو من الخبر المحذوف أي لا إله موجود إلا هو ، والجملة خبر « الله » وقد تقــدّم الكلام مفصلاً في إعراب كلمــة الشهــادة (الحي القيوم) خبر ثان وثالث لـ « الله » أو خبران لمبتدأ محذوف أي هو الحيّ القيوم (نزّل عليك الكتاب بالحق) الجملة خبر رابع لـ « لله » أو خبر ثان إن جعلنا الحي القيوم خبرين لمبتدأ محذوف . ونزل فعل ماض مبني على الفتح وعليك متعلقــان بنزل والكتاب مفعول به وبالحق جــار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الكتاب أي متلبساً بالحق (مصدقاً لما بين يديه) مصدقاً : حال مؤكدة واللام حرف جر وما اسم موصول في محل جر باللام والجار والمجرور متعلقان بقوله مصدقاً وبين ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة الموصول ويديه مضاف إليه مجرور بالياء لأنه مثنى وحذفت النون للإضافة والهاء مضاف إليه (وأنزل التوراة والانجيل) عطف على ما تقدم (من قبل) جار ومجرور متعلقان بأنزل (هدى للناس) حال من التوراة والانجيل ولم يثنّ لأنه مصدر أي هادين . ويجوز إعراب هدى مفعولاً من أجله أي أنزل هذين الكتابين لأجل هداية الناس . وللناس متعلقان بهدى (وأنزل الفرقان) الواو حرف عطف وجملة أنزل الفرقان عطف على جملة أنزل التوراة والإنجيل . من قبيل عطف العام عــلى الخاص أي الكتب التي تفرق بــين الحق والباطل (إن الذين كفروا بآيات الله) جملة مستأنفة للتحدث عن وفد نجران والتفاصيل مبسوطة في المطوّلات . وإن واسمهــا . وجملة

كفروا صلة الموصول وبآيات الله متعلقان بكفروا (لهم عذاب شديد) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وعذاب مبتدأ مؤخر وشديد صفة والجملة الاسمية في محل رفع خبر إن (والله عزيز ذو انتقام) الواو استئنافية والله مبتدأ وعزيز خبر أول وذو انتقام خبر ثان (إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء) إن واسمها ، وجملة لا يخفى عليه شيء خبرها وفي الأرض متعلقان بمحذوف صفة لشيء ولا في السماء عطف على ما تقدم (هو الذي يصوركم في الأرحام) جملة مستأنفة أيضاً مسوقة لبيان علمه سبحانه واطلاعه على مالا يدخل تحت الوجود وهو تصوير عباده في أرحام أمهاتهم وهو مبتدأ والذي خبره وجملة يصوركم صلة الموصول وفي الأرحام متعلقان بيصوركم (كيف يشاء) كيف هنا أداة شرط في محل نصب على الحال ولم تجزم لعدم اتصال « ما » بها . ومفعول يشاء محذوف تقديره تصويركم والجملة حالية (لا إله إلا هو) تقدم إعرابه وكرره لتأكيد الكلام و (العزيز الحكيم) خبران لمبتدأ محذوف تقديره هو .

البلاغة :

١ ــ المجاز في قوله : « لما بين يديه » والمراد ما أمامه .

٢ ــ الطباق بين « الأرض » و « السماء » .

٣ ــ الإيجاز بالحذف ، فقد حذف مفعول « يشاء » للغرابة وإظهار قدرة الله تعالى .

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى

ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾

اللغة :

(محكمات) : أحكمت عباراتها ، ووضحت دلالاتها ، وحفظت من الاحتمـــال والاشتباه .

(متشابهات) فيها احتمال للتأويل . وفي هذه الكلمة إيهام ، فإن مفردها متشابه ، وكيف يتشابه الشيء مع نفسه ؟ وإنما يقع التشابه بين الاثنين . ومثله يقتتلان ، والمفرد لا يقتتل ، فكيف يقتتل الواحد مـــع نفسه ؟ وقد وجه هذا الاعتراض الى تقي الدين بن تيمية الإمام المشهور فقال لمن سأله : « هذا ذهنٌ جيد » . ثم عدل عن الجواب . والذي يبدو للخاطر أن العرب نطقت بألفاظ من هذه الصيغة ولم ترد بها المفاعلة كقولهم : طابقت النَّعْل ، وعاقبت اللص ، وخامرت الحبّ ، وعاقرت الخمر . ولو فرضنا أن الصيغة على أصل المفاعلة كان الجواب أن التشابه لا يكون إلا بين اثنين فما فوقهما ، وإذا اجتمعت الاشياء المتشابهة كان كل واحد مشابها للآخر ، فلما لم يصح التشابـــه إلا في حالة الاجتماع وصف بالجمع لأن كل واحد من مفرداته يشابه الآخر .

الحكمة في المتشابه :

فإذا خطر لك أن تسأل عن السر في الجنوح الى ذكر المتشابه به في القرآن ، والعدول عن تعميم الحكم ؟ قيل إن القرآن في الأصل نزل على أسلوب العرب وبألفاظهم ووفقاً لكلامهم ، وهو على ضربين :

منه المحكم الذي لا يخطئه السامع ، ولا يغرب عن الفهم ، ومنه ما حفل بضروب المجازات ، وأنواع الكنايات والإشارات والتلويحات . وقد كان هذا الضرب الثاني ، أفعل في نفوسهم ، وأكثر استهواء لهم ؛ فأنزل القرآن مفرغاً في الأسلوبين ، حاوياً للنوعين ، ليكون التحدي أعم وأشمل ، ولو نزل كله محكماً لما ترددوا في التماس المطاعن ، ولما أحجموا عن المكابرة واللجاج والاعتراض ، ولقالوا : هلاّ نزل بالضرب الذي نستحسنه ، ونميل إليه ؟ هذا من جهة ، ومن جهة ثانية لما يتميّز به المتشابه من كدّ القرائح في استخراج المغالق واكتناه المرامي ، وحسر الستار عن الطرائف التي تتعالى على النظرة السطحية البدائية ، حتى إذا فتح الله عليه وتمكن من سبر أغوار المتشابه ، كان إيمانه أرسخ ويقينه أقوى من أن تعصف به الشبهات .

(الزيغ) الميل عن الحق والجنوح الى الباطل . والزاي والياء إذا وقعتا فاء وعيناً للكلمة أفادتا هذا المعنى وسمي الزيت زيتاً لأنه سائل يميل بسرعة ، وزاغت الشمس تزيغ مالت ، وقس على ذلك .

الإعراب :

(هو الذي أنزل عليك الكتاب) كلام مستأنف مسوق لتفصيل آيات الكتاب وأنها قسمان : قسم يفهمه الناس ، وقسم لا يفهمونه لقصورهم وعجزهم . وهو مبتدأ والذي خبره وجملة أنزل عليك الكتاب لا محل لها لأنها صلة الموصول وعليك متعلقان بأنزل والكتاب مفعول به (منه آيات محكمات) الجملة حال من الكتاب والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وآيات مبتدأ مؤخر ومحكمات صفة لآيات (هن أم الكتاب) الجملة صفة ثانية لآيات وهن ضمير منفصل في محل

رفع مبتدأ وأم الكتاب خبره ، وأخبر عن الجمع بالواحد لأن كل واحدة بمثابة أم واحدة (وأخر متشابهات) عطف على آيات محكمات (فأما الذين في قلوبهم زيغ) الفاء استئنافية مسوقة لتفصيل موقف الناس منه ، وأما حرف شرط وتفصيل والذين مبتدأ وفي قلوبهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وزيغ مبتدأ مؤخر والجملة صلة الموصول (فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة) الفاء رابطة لجواب أما وجملة يتبعون خبر الذين واستغنى عن الجواب اكتفاء بالفاء وما اسم موصول مفعول به وجملة تشابه صلة الموصول ومنه متعلقان بتشابه وابتغاء مفعول لأجله والفتنة مضاف إليه (وابتغاء تأويله) عطف على ابتغاء الفتنة (وما يعلم تأويله) الواو حالية وما نافية ويعلم فعل مضارع مرفوع وتأويله مفعول به مقدم والجملة في محل نصب على الحال (إلا الله) إلا أداة حصر والله فاعل يعلم مؤخر (والراسخون في العلم يقولون) تكلم المعربون والمفسرون كثيراً وأطالوا حول هذه الآية ، والقول الفصل فيها أنه يجوز أن تكون الواو عاطفة والراسخون معطوفة على « الله » والمعنى : لا يهتدي الى تأويله إلا الله وعباده الذين رسخوا في العلم وتمكنوا منه ، ويجوز أن يتم الوقوف على قوله : « إلا الله » وتكون الواو استئنافية والراسخون مبتدأ خبره جملة يقولون . وعلى القول الاول تكون جملة يقولون : حالية أي قائلين ، وقد نشأ عن هذا الاختلاف في التفسير انقسام العلماء الى فريقين : أصحاب تأويل وأصحاب ظاهر ، ولسنا في صدد الترجيح والمفاضلة بين الآراء المتضاربة ولكننا سنورد لمحة عنه في باب الفوائد (آمنا به كلٌ من عند ربنا) الجملتان مقول القول وآمنا فعل وفاعل وبه متعلقان بآمنا وكل مبتدأ ساغ الابتداء به لما في « كل » من معنى العموم والتنوين عوض عن كلمة ، ومن عند ربنا الجار والمجرور

متعلقان بمحذوف خبر (وما يذكر إلا أولو الألباب) الواو حالية أو مستأنفة وما نافية ويذكر فعل مضارع مرفوع وإلا أداة حصر وأولو فاعل يذكر مرفوع بالواو لأنه ملحق بجمع المذكر السالم والألباب مضاف إليه ٠

الفوائد :

١ ـ أفرد بعضهم هذه المسألة بكتاب خاص لسعة الكلام فيها ، وقد استدل القاضي البيضاوي والزمخشري قبله على اختيارهما الوقوف على « العلم » لأن في ذلك حفزاً للعقول على التفكير والإبداع ، وقال الحشويّة ما خلاصته : الوقف على قوله تعالى : « وما يعلم تأويله إلا الله » واجب حتى يكون قوله : « والراسخون » كلاماً مستأنفاً ، فاذا لم يقف عليه بل وقف على قوله « والراسخون في العلم » ليكون عطفاً على قوله : « إلا الله » كان لا بد أن يبتدىء بقوله : « يقولون آمنا به » أراد به : قائلين ، وهو حال ، وهو باطل ، لأنه لا يخلو إما أن يكون حالاً عن « الله » أو عن الراسخين في العلم ، كان كأن الله سبحانه والراسخين في العلم قالوا : آمنا به كل من عند ربنا ٠ وذلك في حقه تعالى محال ، أو يكون حالاً عن الراسخين في العلم فقط ، وعندئذ يتخصص المعطوف بالحال دون المعطوف عليه ، وهو أيضاً غير جائز ، لأنه منافٍ للقاعدة المقررة في العربية ، وهي أن المعطوف في حكم المعطوف عليه ، فثبت أن الوقف على قوله : « إلا الله » واجب ٠ وإذا كان الوقف عليه واجباً فقد خاطبنا الله بما لا نفهمه وهو المهمل ٠ قلت : لا يخفى ما في حذلقة الحشويين من براعة مبنية على المغالطة فهم يجيزون الخطاب بالمهمل ، فإنه يجوز تخصيص المعطوف بالحال حيث لا لبس ؛

وهو كثير في القرآن • ومنه : « ووهبنا له إسحق ويعقوب نافلة » فإن « نافلة » حال من المعطوف فقط ، وهو « يعقوب » لأن النافلة هو ولد الولد وإنما هو يعقوب دون إسحق •

ما يقوله الرازي :

واستدل الامام فخر الدين الرازي في مفاتيح الغيب على أن الوقف الصحيح على قوله « إلا الله » بستة أوجه ، ملخص الثاني منها أن الآية دلت على أن طلب التأويل مذموم لقوله تعالى : « فأما الذين في قلوبهم زيغ » الى آخر الآية ، ولو كان التأويل جائزاً لما ذمّه الله • وملخص الرابع : أنه لو كانت الواو في قوله : « والراسخون » عاطفة لصار قوله: « يقولون آمنا به » ابتداء ، وهو بعيد عند ذوي الفصاحة ، بل كان الأولى أن يقولوا : وهم يقولون آمنا به ، أو يقال : ويقولون : آمنا به، ولهذا كله أسغنا الوجهين •

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿١٠﴾ ﴾

الإعراب :

(ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا) الجملة مقول قول محذوف وربنا منادى مضاف ولا ناهية وهي هنا بمعنى الدعاء وتزغ فعل مضارع مجزوم بلا والفاعل أنت وقلوبنا مفعول به والظرف الزماني متعلق بتزغ

وهو مضاف الى الظرف الذي هو إذ وإذ ظرف لما مضى من الزمن وجملة هديتنا في محل جر بالإضافة وقيل خرجت إذ عن الظرفية فهي بمعنى « أن » ولكن حكمها لم يتغير في ملازمة للإضافة اليها ، وهو قول" جميل (وهب لنا من لدنك رحمة) الواو عاطفة وهب فعل أمر ولنا جار ومجرور متعلقان بهب ومن لدنك جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ولدن ظرف مبني على السكون في محل جر بمن والكاف مضاف إليه ورحمة مفعول به (إنك أنت الوهاب) الجملة تعليل للدعاء لا محل لها وإن واسمها ، وأنت ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ والوهاب خبر أنت والجملة الإسمية في محل رفع خبر إن ويجوز أن تعرب أنت ضمير فصل لا محل له والوهاب خبر إن (ربنا إنك جامع الناس) ربنا منادى مضاف ، وإن واسمها ، وجامع الناس خبرها والجملة داخلة في حيز مقول القول (ليوم لا ريبَ فيهِ) الجار والمجرور متعلقان بجامع ولا نافية للجنس وريب اسمها والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبرها . وجملة لا ريب فيه في محل جر صفة ليوم (إن الله لا يخلف الميعاد) الجملة تعليلية للحكم فإنه في مقام إلتماس الإنعام وإن واسمها ، وجملة لا يخلف الميعاد مفعول به بمعنى المصدر وهو الوعد ، وقد قلبت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها (إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا) الجملة مستأنفة وإن واسمها ، وجملة كفروا صلة الموصول ولن حرف نفي ونصب واستقبال وتغني فعل مضارع منصوب بلن والجملة خبر إن وعنهم متعلقان بتغني وأموالهم فاعل تغني ولا أولادهم عطف على أموالهم ، ومن الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة لـ « شيئاً » فلما تقدم أعرب حالاً على القاعدة المشهورة ، والتقدير لن تدفع عنهم الأموال

والأولاد شيئاً من عذاب الله وشيئاً مفعول به أو في موضع المصدر تقديره غنى ، فيكون مفعولاً مطلقاً (وأولئك هم وقود النار) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لتقرير عدم الإغناء ، ولك أن تجعل الواو عاطفة والجملة معطوفة على خبر إن وأولئك اسم إشارة في محل رفع مبتدأ وهم مبتدأ ثان ووقود النار خبر « هم » والجملة الاسمية خبر اسم الإشارة ، ويجوز أن يكون هم ضمير فصل ووقود النار خبر أولئك وقد تقدم تقريره كثيراً .

الفوائد :

(لدن ولدى) ظرفان للمكان والزمان مبنيّان على السكون ، والغالب في لدن أن تجر بمن كما في الآية ، وإذا أضيفت إلى ياء المتكلم لزمتها نون الوقاية نحو لدني ، وقد تترك هذه النون فيقال لَدني . وتضاف إلى المفرد وإلى الجملة . وتقع بعد لدن « غدوة » فيجوز جر غدوة بالإضافة ، ويجوز نصبها على التمييز ، أو على أنها خبر كان المقدرة مع اسمها ، أي : لدن كان الوقت غدوة . والفرق بين لدن ولدى أن لدن لا تقع عمدة في الكلام ولدى تقع ، فلا يقال : لدنه علم ، ولكن يقال لديه علم .

﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ (١١) ﴾

اللغة :

(الدأب) مصدر دأب في العمل من باب قطع إذا كدح فيه ، غلب استعماله في العادة والشأن ، ومنه قول امرىء القيس :

كدأبك مـن أم الحويرث قبلها وجارتها أمّ الرباب بمأسـل

الإعراب :

(كدأب آل فرعون) الكاف اسم بمعنى مثل في محل رفـع على أنه خبر لمبتدأ محذوف والتقدير دأب هؤلاء كدأب من قبلهم . ولك أن تجعل الكاف حرف جر فيكون الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر لذلك المبتدأ المحذوف . ويجوز نصب محل الكاف ومدخولها على المفعولية المطلقة أو الحال وقـد تقدم كثيراً . وآل مضاف إليه وفرعون مضاف إليه أيضاً مجرور وعلامة جره الفتحة لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة (والذين من قبلهم) الواو حرف عطف على آل فرعون والجار والمجرور متعلقان بمحذوف لا محل لـه لأنه صلة الموصول (كذبوا بآياتنا) فعل وفاعل وبآياتنا جار ومجرور متعلقان بـكذبوا والجملة تفسيرية لا محل لها . ولك أن تعرب الواو استئنافية فيكون الذين مبتدأ خبره جملة كـذبوا (فأخذهم الله بذنوبهم) الفاء عاطفة وأخذهم الله فعل ومفعول به وفاعل والجار والمجرور متعلقان بأخذهم فتـكون الباء للسببية أو بمحذوف حال فتـكون الباء للملابسة أي متلبسين بذنوبهم (والله شديد العقاب) جملة مستأنفة مسوقة لتقرير العقاب والواو استئنافية والله مبتدأ وشـديد العقاب خبره .

﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ ﴾

الإعراب :

(قل للذين كفروا) جملة مستأنفة مسوقة للرد على اليهود الذين

ركبوا رؤوسهم بعد موقعة بدر وقالوا للنبي صلى اللـه عليه وسلم الذي حاول حقناً لدمائهم أن يحذرهم من عواقب الغرور والطيش :لا تحسب أ"نا أغماراًأي غير مجربين على القتال • وقل فعل أمر وفاعله ضمير مستتر يعود على النبي صلى اللـه عليه وسلم أي أنت • وللذين جار ومجرور متعلقان بقل وجملة كفروا لا محل لها لأنها صلة الموصول (ستغلبون) السين حرف استقبال وتغلبون فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون والواو نائب فاعل والجملة في محل نصب مقول القول (وتحشرون) الواو حرف عطف وجملة تحشرون معطوفة على ستغلبون داخلة في حيز القول (إلى جهنم) الجار والمجرور متعلقان بيحشرون وجرت جهنم بالفتحة لأنها ممنوعة من الصرف للعلمية والتأنيث وسيأتي القول عنها في مكان آخر (وبئس المهاد) الواو عاطفة والجملة معطوفة على ما قبلها داخلة في حيز القول ويجوز أن تكون الواو استئنافية والجملة مسوقة لردعهم وتهويل جهنم لهم وبئس فعل ماض جامد لإنشاء الذم والمهاد فاعل بئس والمخصوص بالذ"م محذوف تقديره جهنم وإنما حذف لفهم المعنى • وفيه تأييد لمذهب سيبويه وهو إعراب المخصوص بالذ"م أو المدح مبتدأ خبره الجملة قبله ، ومذهب غيره أنه خبر لمبتدأ محذوف ، ويرد عليه أنه يلزم من ذلك حذف الجملة برأسها من غير أن يبقى ما يدل عليها ، وذلك لا يجوز حتماً لأن حذف المفرد أهون من حذف الجملة •

﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ (١٣) ﴾

اللغـة :

الفئة : الجماعة ولا واحد لها من لفظها وجمعها فئات وقـد تجمـع بالواو والنون جبراً لما نقص ، وإنما سميت الجماعة فئة لأنـه يفـاء إليها ، أي يرجـع في وقت الشدة . وقال الزّجاج : الفئة : الفرقة ، مأخوذ من قولهم : فأوت رأسه بالسيف أي قطعته .

(العبرة) : الاتعاظ ، يقال منه : اعتبر ، وهو الاستدلال بشيء على شيء يشبهه ، واشتقاقها من العبور وهو مجاوزة الشيء إلى الشيء ، ومنه عبر النهر بفتح العين : وهو شطه ، والمعبر السفينة ، والعبارة يعبر بها إلى المخاطب بالمعاني ، وعبرت الرؤيا مخففاً ومثقلاً نقلت ما عندك من علمها إلى الرّائي أو غيره ممن يجهل ، وكان الاعتبار انتقالاً من منزلة الجهل إلى منزلة العلم ، ومنه العَبرة بفتح العين وهي الدمـع لأنها تجاوز العين .

الإعراب :

(قد كان لكم آية) الجملة داخلة في حيز القول السابق أي قـل لليهود : ستغلبون وقل لهم : قد كان وقيل : هي عامة وإن الخطـاب لجميع الكفار فتكون مستأنفة أو لجميع المؤمنين ، والعبرة لا تختص بأحد ، وقد حرف تحقيق وكان فعل ماض ناقص ولكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر كان المقدم وآية اسمها المؤخر (في فئتين التقتا) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لآية وجملة التقتا صفة للفئتين والتاء تاء التأنيث الساكنة وحركت بالفتحة لمناسبة ألف الاثنين التي هي فاعل وقد كان ذلك اللقاء يوم بدر (فئة تقاتل في سبيل الله) فئة خبر لمبتدأ

محذوف أي إحداهما فئة ويجوز جر فئة على البدلية من فئتين وهي إحدى القراءات وجملة تقاتل صفة لفئة وفي سبيل الله متعلقان بتقاتل (وأخرى كافرة) الواو عاطفة وأخرى عطف على فئة وكافرة صفة فمن رفع الأول رفعه ومن جر الأول جرّه (يرونهم مثليهم رأي العين) جملة يرونهم نعت للفئة التي تقاتل في سبيل الله وهم النبي وصحابته ، ويرونهم فعل وفاعل ومفعول به والرؤية بصرية أو بمثابتها لشدة الالتحام ومثليهم حال ورأي العين مفعول مطلق مؤكد لعامله (والله يؤيد بنصره من يشاء) الواو استئنافية والله مبتدأ وجملة يؤيد خبر وبنصره متعلقان بيؤيد ومن اسم موصول مفعول به وجملة يشاء لا محل لها لأنها صلة الموصول (إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار) الجملة مستأنفة مسوقة للحث على الاعتبار وإن حرف مشبه بالفعل وفي ذلك جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم واللام المزحلقة وعبرة اسم إن المؤخر ولأولي جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لعبرة وعلامة جره الياء لأنه ملحق بجمع المذكر السالم والأبصار مضاف اليه .

البلاغة :

انطوت هذه الآية على أرفع الخصائص البيانية فمنها :

١ ـ الاحتباك وهو الحذف من كلامين متقابلين وكل منهما يدل على المحذوف من الآخر ففي قوله تعالى : « فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة » حذف من الكلامين ، وتقديره : فئة مؤمنة تقاتل في سبيل الله وفئة أخرى كافرة تقاتل في سبيل الشيطان . فحذف من الأول ما يفهم من الثاني ، وحذف من الثاني ما يفهم من الأول .

٢ ــ الكلام الموجه لأن المعنى إما أن يفهم منه شيء واحد لا يحتمل غيره وإما أن يحتمل منه الشيء وغيره ، وتلك الغيرية إما أن تكون ضداً أو لا ، وهذه الآية احتملت معنيين متغايرين ، وتلك الغيرية ضد إذا احتملت رؤية الكثرة أن تكون للمسلمين أو للمشركين في وقت واحد ، وليس هناك ما يرجح واحداً على الآخر لأن كلاً منهما يصح إطلاقه في الآية . وقد ورد في الحديث من التوجيه قول النبي صلى الله عليه وسلم « إذا لم تستح فاصنع ما شئت » وهذا يشتمل على معنيين متضادين أحدهما إن المراد به إذا لم تفعل فعلاً تستحي منه فاصنع ما شئت ، والآخر : أن المراد به إذا لم يكن لك حياء يزعك عن فعل ما يستحيا منه فافعل ماشئت . وهذان معنيان ضدان ، أحدهما مدح والآخر ذمّ .

المتنبي والكلام الموجه

وقد رمق أبو الطيب المتنبي هذه السماء العالية واستغلها في مدائحه لكافور ، حاكم الأخشيد في مصر ، فقد كان مضطراً إلى مجاملته لتفادي المكروه إن جابهه بما يكنه من احتقار ، فجنح إليه في أماديح ليكون ظاهرها المديح وباطنها الهجاء ، فمن ذلك قوله فيه :

وأظلم أهل الظلم من بات حاسداً   لمن في نعمائه يتقلب

وهذا البيت يحتمل معنيين ضدين أحدهما أن المنعم عليه يحسد المنعم ، فيكون مدحاً . وكذلك أورده ليوهم كافوراً أنه يريد ذلك . وثانيهما أن المنعم يحسد المنعم عليه ليقرر حقيقة رسخت في هذا المخلوق الذي قذفت به المقادير ليكون ملكاً فهو ينعم على الآخرين ثم ما يلبث أن يحسدهم على ما نالوه من نعمائه . وهذا من أعجب ما اتفق

في الشعر ، وهو من خصائص هذا الشاعر العجيب . وكثيراً ما كان يجنح أبو الطيب إلى هذا اللون من الشعر في أماديحه لكافور ، ومن ذلك قوله فيه من قصيدة مطلعها :

عدوّك مذموم بكل لسان ولو كان من أعدائك القمران

ثم قال فيه :

ولله سر في علاك وإنما كلام العدا ضرب من الهذيان
فما لك تعنى بالأسنة والقنا وجدك طعان بغير سنان

أي دع أعداءك يقولوا ما أرادوا ويحدسوا في الأسباب التي جعلت منك ملكاً فإن ذلك من أسرار الله في خلقه ، يرفع الوضيع ويغني البليد ويرزق الفدم الغبي ، ثم يقول له مخاطباً : إنك لم تبلغ ما بلغته بسعيك واهتمامك بل بحظك وسعدك . وهذا مما لا فضل فيه ، ويستوي فيه الفدم وغير الفدم .

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤) ﴾

اللغة :

(القناطير) جمع قنطار ، مأخوذ من قنطر الشيء إذا أحكه وهو هنا يعني المال الكثير . والقنطار يختلف مع الأيام والبلاد ، وقد اختلف علماء اللغة في نونه فقال فريق : إنها أصلية ، وإن وزنه

فعلال كقرطاس ، وقيل : إنها زائدة وإن وزنه على فنعال • وقد خبط فيه صاحب المنجد خبطاً عجيباً • (المسومة) وصف للخيل أي المعلمة بعلامة تعرف بها ؛ والخيل فيه قولان : أحدهما أنه جمع لا واحد له من لفظه بل مفرده فرس ، والثاني أن واحده خائل فهو نظير راكب وركب وتاجر وتجر وطائر وطير ، وسيبويه يدرجه مع قوم ورهط ونساء ، ويجعله اسم جمع ، وغيره يجعله جمع تكسير • واشتقاق الخيل إما من الاختيال وهو العجب ، سميت بذلك لاختيالها في مشيتها ، والثاني من التخيل ، لأنها تتخيل في صورة هي أعظم منها •

(الأنعام) جمع َنعم بفتحتين ، والنعم اسم جمع لا واحد له من لفظه ، وهو يذكر ويؤنث ، ويطلق على الابل والبقر والغنم • وسيرد المزيد من بحثه في سورة الأنعام •

(المآب) يصح أن يكون مصدراً صحيحاً أو اسماً للمكان أو الزمان ، وهو على كل حال مفعل بفتح العين من آب يئوب أي رجع ، وأصله مأوب ، فنقلت حركة الواو إلى الهمزة الساكنة قبلها فقلبت الواو ألفاً •

الإعراب :

(زين للناس حب الشهوات) كلام مستأنف لا محل له مسوق لبيان حقارة أعراض الدنيا • زين فعل ماض مبني للمجهول وللناس جار ومجرور متعلقان بـ « زين » وحب الشهوات نائب فاعل (من النساء والبنين والقناطير المقنطرة) من بيانية وهي مع مجرورها متعلقان بمحذوف حال والبنين : الواو عاطفة والبنين معطوف على النساء مجرور وعلامة جره الياء لأنه ملحق بجمع المذكر السالم والمقنطرة صفة للقناطير

(من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث) من بيانية أيضاً وهي ومجرورها متعلقان بمحذوف حال وما بعده عطف عليه (ذلك متاع الحياة الدنيا) اسم الإشارة مبتدأ ومتاع الحياة خبر والدنيا صفة والجملة مستأنفة أيضاً مسوقة لبيان حقارة ذلك كله لأنه فانٍ لا يبقى (والله عنده حسن المآب) الواو استئنافية وما بعدها كلام مستأنف مسوق للدلالة على أنه ليس فيما عدد من ظواهر النعمة خير ولا ينفع ، والله مبتدأ والظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم وحسن المآب مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية خبر « الله » .

البلاغة :

في الآية فن مراعاة النظير : وهو أن يجمع الشاعر أو الناثر بين أمر وما يناسبه مع إلغاء ذكر التضاد لتخرج المقابلة والمطابقة ، وقد جمع سبحانه في هذه الآية معظم وسائل النعيم الآيلة بالمرء إلى الانهماك في الفتنة والانسياق مع دواعي النفوس الجموح ، وقد زينت للناس واستهوتهم بالتعاجيب والمفاتن ، ابتلاء لهم . وللمتكلمين مناظرات وجولات حول تزيين هذه الشهوات ، والمزين لها ، ويشتجر الخلاف بين أهل السنة وأهل الاعتزال ، مما لا سبيل إلى ذكره لأنه خارج عن نطاق كتابنا ، ولكننا نجتزي بالإلماع إليه ، ليرجع من يشاء إلى المظان المعروفة .

﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (١٥) ﴾

الإعراب :

(قل) : فعل أمر وفاعله أنت ، أي : يا محمـــد ، والكلام مستأنف مسوق لتقرير وتحقيق الخير لما عند الله وأفضليته على شهوات الدنيا (أؤنبئكم بخير من ذلكم) الهمزة للاستفهام التقريري وأنبىء فعل مضارع مرفوع والفاعل ضمير مستتر تقديره أنا والكاف مفعول به وبخير جار ومجرور متعلقان بأنبئكم على أنه ناب مناب المفعول الثاني كما سيأتي في باب الفوائد ، ومن ذلك جار ومجرور متعلقان بخير والإشارة إلى أنواع الشهوات الآنفة الذكر . وجملة الاستفهام في محل نصب مقول القول (للذين اتقوا عند ربهم جنات) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وجملة اتقوا لا محل لها لأنها صلة الموصول وعند ربهم ظرف متعلق بمحذوف حال من جنات لأنه كان في الأصل صفة لها فلما تقدم عليها أعرب حالاً . وجنات مبتدأ مؤخر . ولك أن تعلق الظرف بما تعلق بـــه « للذين » من الاستقرار لأنه من جملة الخير ، ولك أن تجعل الكلام موصولاً فلا تقف عند ذلكم وعندئذ يكون للذين نعتاً للخير وجنات خبر لمبتدأ محذوف (تجري من تحتها الأنهار) الجملة صفة لجنات والأنهار فاعل تجري ومن تحتها متعلقان بتجري (خالدين فيها) حال من الذين اتقوا وفيها جار ومجرور متعلقان بخالدين (وأزواج مطهرة) أزواج عطف على جنات ومطهرة نعت لأزواج (ورضوان من الله) عطف على جنات أيضاً (والله بصير بالعباد) الواو استئنافية والله مبتدأ وبصير خبر وبالعباد متعلقان ببصير .

الفوائـــد :

(أنبأ ونبأ) فعلان يتعديان إلى ثلاثة مفاعيل إذا كانا بمعنى العلم .

وأما في الآية فهو بمعنى الاخبار ، فيتعديان لاثنين فقط . والحقيقة أن الذي يتعدى لثلاثة مفاعيل فعلان ، وهما أرى وأعلم ، أما الخمسة الباقية وهي أخبر وخبّر وأنبأ ونبأ وحدث فقد ألحقت في بعض استعمالاتها بأعلم المتعدية إلى ثلاثة مفاعيل ، ومنه قول الحارث بن حلزة اليشكري :

إن منعتم ما تسألون فمن حد‍ ثتموه له علينا العلاء

فهو شاهد على أنه متعد لثلاثة مفاعيل ، فالتاء هي المفعول الأول والميم علامة جمع الذكور والواو لإشباع ضمة الميم والهاء هي المفعول الثاني وجملة له علينا العلاء جملة اسمية في موضع المفعول الثالث فافهم ذلك جيداً لأنه عزيز المنال . هذا وتستعمل هذه الأفعال الخمسة متعدية لواحد بأنفسها وإلى مضمون الثاني والثالث بالباء نحو حدثتك بأمر .

﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا ءَامَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّٰبِرِينَ وَالصَّٰدِقِينَ وَالْقَٰنِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِالْقِسْطِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾

اللغة :

(الأسحار) جمع سحر كفرس وأفراس : أواخر الليل ، وسميت بذلك لما فيها من الخفاء . والسّحر : وقت إدبار الليل وإقبال النهار فهو متنفّس الصبح . واختلف أهل اللغة في تحديده بالضبط فقال الزّجاج وجماعته : إنه الوقت قبل طلوع الفجر ، وقال الرّاغب في مفرداته :

السحر اختلاط ظلام آخر الليل بضياء النهار ، ثم جعل اسماً لذلك الوقت . وأما السَّحر بسكونه فهو منتهى قصبة الحلقوم . ومنه قول عائشة رضي الله عنها : « قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سَحري ونحري » . ومن مجاز العرب قولهم : انتفخت مساحره ، إذا ملّ وجبن .

(القسط) : العدل . يقال أقسط أي عدل ، وقسط أي جار ، فهو مدح في الرباعي وذم في الثلاثي .

الإعراب :

(الذين يقولون) اسم الموصول يجوز فيه الرفع على إنه خبر لمبتدأ محذوف أي : هم الذين ، والنصب على المدح بفعل محذوف أي أمدح الذين ، والجرّ على أنه بدل من اسم الموصول في الآية السابقة أونعت له يقولون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل والجملة صلة (ربنا إننا آمنا) الجملة مقول القول وربنا منادى محذوف منه حرف النداء ، وإن واسمها وجملة آمنا خبرها (فاغفر لنا ذنوبنا) الفاء للتعليل ، لأن الإيمان علة الغفران واغفر فعل أمر للدعاء ولنا متعلقان به وذنوبنا مفعول به (وقنا عذاب النار) الواو حرف عطف وقِ فعل أمر للدعاء مبني على حذف حرف العلة وحذفت واو المثال كما هي القاعدة ، والفاعل أنت ونا ضمير متصل في محل نصب مفعول به أول وعذاب النار مفعول به ثان (الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار) الصابرين منصوب على المدح بفعل محذوف وما بعده عطف عليه ، وهي في الأصل صفات قطعت عن الوصفية بتوسط واو العطف بينها للدلالة على انفرادهم بأنواع الكمالات كما سيأتي في باب البلاغة والجملة استئنافية (شهد الله) فعل وفاعل والجملة مستأنفة

مسوقة لتعداد أصول الدين وفضائله وقد وردت فيها أحاديث كثيرة (أنه لا إله إلا هو) أن وما بعدها في موضع نصب بنزع الخافض أي بأنه ، والجار وما بعده متعلقان بشهد وقد تقدم إعراب كلمة الشهادة فجدد به عهداً (والملائكة وأولو العلم) الواو حرف عطف والملائكة عطف على الله وأولو العلم عطف أيضاً . ورفع بالواو لأنه ملحق بجمع المذكر السالم (قائماً بالقسط) حال لازمة من الله أو من الضمير المنفصل الواقع بعد إلا ، ولعله أولى . وجاز مجيء الحال بعد معطوفين لأمن الالتباس ، فلو لم يؤمن الالتباس لم يجز مجيء الحال ، نحو جاء عليّ وخالد ضاحكاً لعدم العلم بمن هو الضاحك . وواضح أن القيام بالقسط من خصائص الله تعالى فيكون بمثابة التتمة لكمال الأفعال بعد كمال الذات . وهنا بحث هام سيأتي في باب الفوائد (لا إله إلا هو) تقدم إعرابها (العزيز الحكيم) خبران لمبتدأ محذوف تقديره هو ولك أن تعربهما بدلين من « هو » .

البلاغة :

١ ـ في دخول الواو على الصفات مع أن الموصوف واحد تفخيم للموصوف لأنه إيذان بأن كل صفة مستقلة بمدح الموصوف ثم إن الموصوف ليس واحداً كما يبدو للنظرة العجلى .

٢ ـ وفي الآية الأخيرة رد العجز على الصدر ، فقد رد « العزيز » إلى تفرده بالوحدانية التي تقتضي العزة ، ورد « الحكيم » إلى العدل الذي هو القسط ، فهو تعالى حكيم لا يتحيفه جور أو انحراف .

الفوائد :

١ ـ المثال الذي فاؤه حرف علة إذا بني منه فعل أمر حذفت واوه

أو ياؤه ، فتقول في وعد : عِدْ فإذا كان لفيفاً مفروقاً أي إذا كانت فاؤه ولامه حرفي علة أصبح على حرف واحد لأن الحرفين يحذفان ، فتقول في وعي : عِ ، وفي وقى قِ وفي وفى فِ وفي وأى إِ وعلى هذا يتخرج اللغز المشهور الذي يتندر به صغار المعربين وهو :

إن هنـدُ المليحةُ الحسناءَ وأي من أضمرت لخل وفـاء

وإيضاحه كما يلي : إن : فعل أمر مبني على حذف حرف العلة والنون نون التوكيد الثقيلة ، ومعنى إ : عد ، وفعله وأى ، أي عدي يا هند وعد امرأة أضمرت الوفاء لخلها . وهند منادى مفرد علم محذوف منه حرف النداء مبني على الضم والمليحة نعت على اللفظ والحسناء نعت ثان لهند على المعنى ووأي مفعول مطلق . وإنما نبهنا إلى إعرابه لنبين أن للنحاة المتأخرين أموراً متكلفة يجدر بنا اجتنابها لأنها تفسد الذوق وتعطل الملكة الفنية وهي أشبه بالألاعيب .

٣ ــ الأصل في الحال أن تـكون متنقلة لاثابته ، وتقع وصفاً ثابتاً في ثلاث مسـائل :

آ ــ أن تكون مؤكدة لمضمون جملة قبلها ، نحو : زيد أبوك عطوفاً ، فإن الأبوة من شأنها العطف ، وذلك مستفاد من مضمون الجملة . أو لعاملها نحو « ويوم أبعث حياً » فإن البعث من لازمه الحياة فمعناها مستفاد من دون ذكرها .

ب ــ أن يدل عاملها على تجديد ذات صاحبها وحدوثه أو تجدد صفة له ، فالأول نحو قولهم : « خلق الله الزرافة يديها أطول من رجليها » فيديها بدل من الزرافة بدل بعض من كل ، وأطول حال ملازمة من يديها ومن رجليها متعلقان بأطول لأنه اسـم تفضيل ، وعامل الحال خلق ،

والثاني نحو قوله تعالى « وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً » فالكتاب قديم والإنزال حادث ، أي محدث النزول لا الوجود .

جـ ـ أن يكون مرجعها إلى السماع نحو « قائماً بالقسط » . على أن بعضهم أعرب « قائماً » بأنه نصب على المدح كما في قول امرىء القيـس :

إذا قلت : هاتي نوليني تمايلت علي هضيم الكشح ريا المخلخل

فهضيم نصب بتقدير أمدح لا حال ، لأنها صفة لازمة . بقي الاعتذار عن جهة تأخيره عن المعطوفين فقال التفتازاني كأنها للدلالة على علو مرتبتهما ، أي الملائكة وأولي العلم حيث قرنا به تعالى من غير فاصل ، فتنبه لهذا الفصل ، فله على الفصول الفضل .

﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ ﴾

الإعراب :

(إن الدين عند الله الإسلام) الجملة مستأنفة مؤكدة للأولى وإن واسمها ، وعند اللـه ظرف مكان متعلق بمحذوف حال والإسلام خبر إن . وقـد اعترض أبو البقاء على مجيء الحال بعد إن ، وهو اعتراض مردود ، لأنهم جوزوا في « ليت » وفي « كـأن » وفي هاء التنبيه أن تعمل في الحال ، لما تضمنت هذه الأحرف من معاني التمني والتشبيه والتنبيه ، وإن للتأكيد فلتعمل في الحال أيضاً فلا تتقاعد عـن « ها »

التي للتنبيه ، بل هي أولى منها ، وذلك أنها عاملة ، و « ها » التي للتنبيه ليست عاملة فهي أقرب لشبه الفعل من « ها » ، ولك أن تجعلها حالاً من الدين أي كائناً وثابتاً عند الله . والاسلام خبر إن (وما اختلف الذين أوتوا الكتاب) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لبيان سبب الاختلاف وما نافية واختلف الذين فعل وفاعل وجملة أوتوا صلة الموصول وأوتوا فعل ماض مبني للمجهول والواو نائب فاعل وهو المفعول الأول والكتاب مفعول به ثان (إلا من بعد ما جاءهم العلم) إلا أداة حصر ومن بعد جار ومجرور متعلقان باختلف وما مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر في محل جر بالإضافة أي من بعد مجيء العلم لهم وجاءهم فعل ومفعول به والعلم فاعله (بغياً بينهم) مفعول لأجله وبينهم ظرف مكان متعلق بمحذوف صفة (ومن يكفر بآيات الله) الواو استئنافية ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ويكفر فعل الشرط وبآيات الله جار ومجرور متعلقان بيكفر (فإن الله سريع الحساب) الفاء رابطة لجواب الشرط وإن واسمها ، وسريع الحساب خبرها والجملة الاسمية المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر « من » .

البلاغة :

اشتملت هذه الآية على ضروب من المبالغات في ذم اليهود ، وذلك على النحو التالي :

آ ـ وصفهم بأنهم أهل الكتاب ، والاختلاف بحد ذاته قبيح ، ولكنه بعد إتيان الكتاب والعلم بنواجمه أقبح .

ب ـ ثم ترقى في المبالغة فوصفهم بأنهم بعد أن أوتوا كتاباً

جاءهم علم آخر يوضح لهم طريق الصواب ، ولكن طبيعة اللجاج المركوزة في نفوسهم أبت إلا التمادي في الضلال وركوب متن الشطط فكان القبح أزيد .

جـ ـ ثم ترقى مرة أخرى في المبالغة فجعل الاختلاف بعد ظهور العلم لديهم مرتين متتاليتين لم يكن إلا بغياً منهم وهذا ما تعالمه الناس منهم واشتهروا به إلى اليوم ، وبذلك استوفت المبالغة غايتها فسبحان المتفرّد بالبيان .

﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ ﴾

اللغة :

(حاجوك) : خاصموك يقال : حاجّه حِجاجاً ومُحاجّة أي خاصمه وجادله .

الإعراب

(فإن حاجوك فقل) الفاء استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لتضيق الخناق على اليهود الذين أخذوا يحرجون النبي فيكيدون له وإن شرطية وحاجوك فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والواو فاعل والكاف مفعول به والفاء رابطة وقل فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط (أسلمت وجهي

لله) الجملة في محل نصب مقول القول وأسلمت فعل وفاعل ووجهي مفعول به والجار والمجرور متعلقان بأسلمت (ومن اتبعن) الواو للعطف أو للمعية ومن اسم موصول معطوف على التاء في أسلمت أو مفعول معه وجملة اتبعن صلة الموصول ، والنون للوقاية وقد حذفت ياء المتكلم وقفاً ووصلاً موافقة للرسم . والذي حسن ذلك أنها فاصلة ورأس آية . وسيرد أمثالها مثل أكرمن وأهانن . وقال بعض النحاة : حذفت مع نون الوقاية خاصة ، فإن لم تكن هناك نون فالكثير إثباتها . على أن هذه الياء أثبتت في بعض القراءات السبع .

(وقل للذين أوتوا الكتاب) الواو عاطفة وقل فعل أمر وللذين جار ومجرور متعلقان بقل وجملة أوتوا الكتاب صلة والواو نائب فاعل والكتاب مفعول به ثان (والأميين) عطف على الذين أوتوا الكتاب وعلامة جره الياء لأنه جمع مذكر سالم ، والمراد بهم مشركو العرب ، وإن كانوا يكتبون ويقرؤون ، لأنه لم ينزل عليهم كتاب بعد (أأسلمتم) الجملة الاستفهامية في محل نصب مقول القول ومعنى الاستفهام التنديد والتعبير كما سيأتي في البلاغة (فإن أسلموا فقد اهتدوا) الفاء استئنافية وإن شرطية وأسلموا فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والفاء رابطة للجواب وقد حرف تحقيق واهتدوا فعل ماض مبني على الضم المقدر على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين والواو فاعل والجملة المقترنة في محل جزم جواب الشرط (وإن تولوا فإنما عليك البلاغ) الجملة معطوفة على الجملة الأولى وإنما كافة ومكفوفة وعليك جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم والبلاغ مبتدأ مؤخر والجملة في محل جزم جواب

الشرط (والله بصير بالعباد) الواو استئنافية والله مبتدأ بصير خبر وبالعباد متعلقان ببصير .

البلاغة :

١ ـ المجاز المرسل في قوله : أسلمت وجهي تعبيراً عن الكل بأشرف أعضائه وهو الوجه ، والعلاقة هنا الكلية .

٢ ـ الاستفهام في قوله : « أأسلمتم » معناه التنديد والتعيير ، كأنما قد أفرغ جهده في مناصحتهم ، ولم يترك وسيلة إلا تشبث بها لإفهامهم ، ولكنهم لم يفهموا . وفي هذا الضرب من الاستفهام استركاك لعقولهم وامتهان لأفهامهم ، فكأنما أصبحت الحجج عندهم كلا حجج . وأصبحت البراهين أضيع ما يكون لديهم ، فلم يبق أمامه سوى أن يسألهم منددا : أأسلمتم بعد هذا كله ؟ أم لا يجدي الضرب على الحديد البارد ؟

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢١) أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ (٢٢) ﴾

اللغة :

(حبطت) : ذهبت سدى وفسدت ، وهو من مجاز اللغة . والأصل في الحبوط أو الحبط بالسكون أن تأكل الماشية خضرة فتستوبلها وتهلك . ومنه حبط دم القتيل بكسر الباء أي هدر وبطل .

الإعراب :

(إن الذين يكفرون بآيات الله) كلام مستأنف مسوق للحديث عن اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد قتل آباؤهم الأنبياء من قبل ، وهم اليوم يحاولون التشبه بآبائهم الأولين ، ويرضون بفعلهم ، فيتحينون الفرص لقتل النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكن الله أحبط أعمالهم . وإن واسمها ، وجملة يكفرون صلة الموصول والجار ولمجرور متعلقان بيكفرون (ويقتلون النبيين بغير حق) الواو عاطفة ويقتلون فعل مضارع معطوف على يكفرون والنبيين مفعول به منصوب بالياء وبغير حق جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال أي ظالمين ، وإنما قيد القتل . وقتل النبيين لا يكون إلا كذلك ، زيادة في التشنيع عليهم (ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس) عطف على ما تقدم ومن الناس جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال أي كائنين منهم (فبشرهم بعذاب أليم) الفاء واقعة في جواب الموصول لما فيه من رائحة الشرط ، ودخول إن على الموصول لا يؤثر في خبريته فالجملة خبر إن لأن المعنى لم يتغير بل ازداد تأكيداً وذلك شائع في القرآن وفي الشعر العربي ؛ قال :

فوالله ما فارقتكم قالياً لكم ولكن ما يقضى فسوف يكون

ولكن إذا دخلت ليت أو لعل على « الذي » امتنع دخول الفاء لنسخ الخبرية ، وتحول الكلام إلى إنشاء لا يحتمل الصدق والكذب كما هو مقرر في علم المعاني ، وسيأتي في باب الفوائد بحث هام في أسرار الحروف . وبشرهم فعل أمر والهاء مفعول به والفاعل أنت وبعذاب متعلقان ببشرهم وأليم صفة والجملة المقترنة بالفاء في محل رفع خبر إن

(أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة) الجملة مفسرة للذين يقتلون لا محل لها وأولئك مبتدأ والذين خبر وجملة حبطت أعمالهم صلة الموصول والجار والمجرور متعلقان بحبطت (وما لهم من ناصرين) الواو عاطفة وما نافية ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ومن حرف جر زائد لفظاً وناصرين مجرور لفظاً مرفوع محلاً لأنه مبتدأ مؤخر .

الفوائد :

جرى النحاة والمعربون على القول بزيادة بعض الحروف ، ولا يعنون بزيادتها أنها جاءت لغواً أو عبثاً وإنما هي عندهم زائدة للتأكيد ولكننا نريد أن نميط اللثام عن شيء غفل عنه هؤلاء جميعاً ، ورددوه وهم لا يكتنهون فحواه حتى صار من المقولات البديهية ، وقد مر بك حتى الآن وسيمر معك الكثير من الأحرف التي قالوا بزيادتها ، ومع ذلك قصروا عملها على الشكل دون المعنى ، فقوله : « وما لهم من ناصرين » لا غنى عن إيراد « من » الزائدة لفظاً فالخبر بطبيعته وفي أصل وضعه اللغوي يحتمل الصدق والكذب ، و « من » هي التي نقلته من أصل وضعه الأول إلى دلالة النفي البات والإنكار الحاسم ، وسيطالع القارىء في كتابنا ما يذهله من أسرار هذه الحروف التي يمر النحاة بها مروراً سريعاً ، فهم يقولون بزيادتها ويتركون الطالب في مهامة الحيرة ، لأن كتاب الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ

﴿قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَٰتٍۖ وَغَرَّهُمۡ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

الإعراب :

(ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب) كلام مستأنف مسوق للتعجب من حالهم وسوء صنيعهم والهمزة للاستفهام التعجبي ولم حرف نفي وقلب وجزم وتر فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف حرف العلة والفاعل أنت وإلى الذين متعلقان بـ « تر » والرؤية هنا بصرية ، وجملة أوتوا صلة الموصول والواو نائب فاعل ونصيباً مفعول به ثان ومن الكتاب متعلقان بمحذوف صفة لنصيباً (يُدْعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم) جملة يدعون حاليّة ويدعون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل وإلى كتاب الله جار ومجرور متعلقان بيدعون وليحكم اللام للتعليل ويحكم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل والجار والمجرور متعلقان بيدعون وبينهم ظرف مكان متعلق بيحكم (ثم يتولّى فريق منهم) ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي ويتولى فعل مضارع مرفوع والفريق فاعل والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة (وهم معرضون) الواو حالية وهم مبتدأ ومعرضون خبر والجملة في محل نصب على الحال (ذلك بأنهم قالوا) ذلك مبتدأ والجملة استئنافية والإشارة إلى التولي عن مجلس النبي صلى الله عليه وسلم وبأنهم الباء حرف جر وإن مع مدخولها في محل جر بالباء والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر أي ذلك التولّي بسبب قولهم وجملة قالوا خبر إن (لن تمسّنا النار إلا أياماً معدودات)

الجملة في محل نصب مقول قولهم ولن حرف نفي ونصب واستقبال وتمسنا فعل مضارع منصوب بلن ونا ضمير متصل في محل نصب مفعول به والنار فاعل تمسنا وإلا أداة حصر وأياماً ظرف متعلق بتمسنا ومعدودات صفة وعلامة نصبه الكسرة لأنه جمع مؤنث سالم (وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون) الواو عاطفة وغرهم فعل ومفعول به وفي دينهم متعلقان بغرهم وما اسم موصول في محل رفع فاعل وجملة كانوا يفترون صلة الموصول وكان واسمها وجملة يفترون خبرها .

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٥) قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٦) تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢٧) ﴾

اللغـة :

(تولج) تدخل ، من أولج الشيء أدخله . وولج يلج من باب وعد ولوجاً ، ولجة : دخل .

الإعراب :

(فكيف إذا جمعناهم) هذا التركيب من المشكلات ويتلخص من الأوجه التي أوردها المعربون ، وجهان جديران بالاعتبار :

١ ـ كيف اسم استفهام في محل رفع خبر مقدم والمبتدأ محذوف تقديره حالهم ، وتكون جملة قائمة بذاتها ، وكيف عندئذ لا يستغنى عنها : كما مر في قاعدة كيف .

٢ ـ كيف اسم استفهام في محل نصب حال من فعل محذوف هو جواب إذا ، أي استقرت . وإذا على الوجه الأول متعلقة بالاستقرار الذي تعلقت به « كيف » و « إذا » غير متضمنة معنى الشرط ، بل هي للظرفية المحضة ، وعلى الوجه الثاني هي ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط متعلقة بالجواب المحذوف وهو استقرت . وعلى هذا الوجه يتخرج البيت المشهور :

أشوقاً ولمّا يمض لي غير ليلة فكيف إذا جد المطي بنا عشرا

وقد رجح ابن هشام وأبو البقاء الحالية . ونحن نرى الوجه الأول أبعد عن التكلف ، لأننا لا نرى أثراً للشرطية في « إذا » بهذا التركيب العجيب ، فتأمل . وجملة جمعناهم في جر بالإضافة والفاء الداخلة على كيف استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لإبطال ما غرهم ولتهويل ما سيحيق بهم من الأهوال (ليوم لا ريب فيه) الجار والمجرور متعلقان بجمعناهم ولا نافية للجنس وريب اسمها مبني على الفتح في محل نصب وفيه متعلقان بمحذوف خبرها وجملة لا ريب فيه في محل جر صفة ليوم (ووفيت كلّ نفس ما كسبت) الواو عاطفة ووفيت فعل ماض مبني للمجهول وكل نفس نائب فاعل وما اسم موصول مفعول به وجملة كسبت صلة الموصول (وهم لا يظلمون) الواو حالية وهم مبتدأ ولا نافية ويظلمون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل وجملة لا يظلمون في محل رفع خبرهم والجملة الإسمية المقترنة بالواو في محل نصب على الحال (قل اللهم مالك الملك) كلام مستأنف مسوق للرد

على المنافقين الذين لم يصدقوا قوله : إن أمتي ظاهرة • وقل فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت واللهم : منادى مفرد علم والميم المشددة عوض عن « يا » لا محل لها ومالك الملك منادى ثان حذف منه حرف النداء أي يا مالك الملك ، وإنما لم يجعل نعتاً لأن الميم المشددة تمنع التبعية كما قرر سيبويه إذ قال : « إن الميم أخرجت هذه اللفظة عن نظائرها من الأسماء » • قال ابن يعيش : « واعلم أن سيبويه لايرى نعت « اللهم » لأنه لفظ لا يقع إلا في النداء ، فهو لا ينعت » • وخالفه أبو العباس المبرد واستدل بقوله تعالى : « اللهم فاطر السموات والأرض » •فسيبويه يحمل فاطر السموات على أنه نداء ثان لا نعت ، وقال المبرد : إن الميم بدل من « يا » والمنادى مع « يا » لا يمتنع وصفه ، فكذا مع ما هو عوض عنها (تؤتي الملك من تشاء) لك أن تجعل هذه الجملة حالية من المنادى لأنه بمثابة المفعول به وتؤتي فعل مضارع فاعله مستتر تقديره أنت والملك مفعول به أول ومن اسم موصول مفعول به ثان وجملة تشاء صلة الموصول (وتنزع الملك ممن تشاء) عطف على ما تقدم (وتعز من تشاء وتذل من تشاء) عطف أيضاً (بيدك الخير) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم والخير مبتدأ مؤخر والجملة حالية أيضاً (إنك على كل شيء قدير) جملة مستأنفة بمثابة التعليل لما تقدم (تولج الليل في النهار) الجملة حالية أيضاً (وتولج النهار في الليل) عطف على الجملة الآنفة (وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي) عطف أيضاً (وترزق من تشاء بغير حساب) عطف أيضاً ومن اسم موصول في محل نصب مفعول به وجملة تشاء صلة والجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال من فاعل ترزق •

البلاغــة :

١ ـ الاستعارة التصريحية إذ أراد بالحي والميت المسلم والكافر ،

فقد حذف المشبه وأبقى المشبه به • وإذا أراد النطفة والبيضة كان الكلام جارياً على جانب الحقيقة ، لا على جانب المجاز •

٢ ـ الاكتفاء في قوله : « بيدك الخير » فاقتصر على الخير من باب الاكتفاء بالمقابل أي والشر ، كقوله تعالى : « سرابيل تقيكم الحر » أي والبرد ، ولأن الخير هو المرغوب فيه •

٣ ـ المقابلة فقد طابق بين « تؤتي وتنزع » وبين « تعز وتذل » وبين « الليل والنهار » وبين « الحي والميت » •

٤ ـ وخرج بالاستفهام عن معناه الحقيقي بقوله : « فكيف » إلى معنى التهويل واستفظاع ما أعد الله لهم في يوم عصيب تحار فيه الأبصار والبصائر ، وتشخص فيه القلوب والضمائر •

الفوائـد :

(اللهم) قد تخرج عند النداء المحض فيكون لها معنيان :

آ ـ أن يذكرها المجيب تمكيناً للجواب في نفس السامع ، فإذا حدثك أحد بشيء قلت : اللهم نعم •

ب ـ أن تستعمل للدلالة على الندرة وقلة وقوع المذكور معها ، كقولك لمن كان متكاسلاً : إنك ناجح اللهم ، إن بذلت مجهوداً أكبر ، وقد علمت أنه غير باذل أي مجهود ، أو إن ذلك مستبعد منه ، وعلى هذا يخطىء كتابنا في استعمالها قبل إلا •

﴿ لَا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ ﴾

اللغـة :

(تقاة) أصلها وقية بضم الواو ، فأبدلت الواو تاء والياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها ، ، فهي مصدر تقية كرمية .

الإعراب :

(لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين) كلام مستأنف مسوق للنهي عن موالاتهم ، كما نشاهد اليوم . ولا ناهية يتخذ فعل مضارع مجزوم بلا ، المؤمنون فاعل والكافرين مفعول به أول وأولياء مفعول به ثان ومن دون المؤمنين متعلقان بمحذوف حال من الفاعل ، أي : حال كون المؤمنين متجاوزين موالاة المؤمنين ، أو من المفعول أي حال كون الكافرين ناصرين من دون المؤمنين (ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء) الواو اعتراضية والجملة كلها اعتراضية ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ويفعل فعل الشرط مجزوم وذلك اسم اشارة في محل نصب مفعول به الفاء رابطة لجواب الشرط وليس فعل ماض ناقص واسمها ضمير مستتر يعود على « من » . ومن الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة الشيء فلما تقدم أعرب حالاً ، وفي شيء : متعلقان بمحذوف خبر ليس (إلا أن تتقوا منهم تقاة) إلا أداة حصر وأن وما في حيزها مصدر منصوب بنزع الخافض والجار والمجرور في موضع نصب مفعول لأجله ، والمعنى لا يتخذ المؤمن الكافر ولياً لأمر من الأمور إلا للتقية ، ومنهم متعلقان بتتقوا ، وتقاة منصوب على المفعولية المطلقة والمعنى تتقوا اتقاء ، والمصادر يتناوب بعضها بعضاً ، ويجوز أن يكون مفعولاً به على تضمين « تتقوا » معنى الخوف أي إلا أن تخافوا من جهتهم أمراً يجب إتقاؤه (ويحذركم الله نفسه) الواو

استئنافية ويحذركم فعل مضارع والكاف مفعول به والله فاعل ونفسه مفعول به ثان ليحذركم لأنه في الأصل يتعدى لواحد فازداد بالتضعيف آخر (وإلى الله المصير) الواو استئنافية والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم والمصير مبتدأ مؤخر .

البلاغة :

أ ــ في هذه الآية التفات بديع من الغيبة إلى الخطاب ، ولو جرى على سنن الكلام لقال : إلا أن يتقوا . ولكنه عدل عن الغيبة والخطاب لسر كأنه أخذة السحر ، فإن موالاة الكفار والأعداء وكل من يتآمر على سلامة الأوطان أمر مستسمج مستقبح . ينكره الطبع ولا يليق أن يواجه به الأصفياء والأولياء ، فجاء به غائباً كأنه يرسم لهم خطاً بيانيا .

على أن هذا إنما يكون فيما لا ضرر فيه ، ولكن التآمر على الكيان ، وسلامة أرواح المؤمنين ، ولكن التقية لا تجوز مع الأعداء الذين لا هم لهم سوى اغتصاب الأرض وامتصاص الطاقات فهؤلاء لا تسوغ معهم مهادنة ، ولا يجوز بحال عقد أي عهد معهم ، لأنهم لا يعتمون أن ينقضوه . وقد يستغلونه للانقضاض على من اطمأنوا اليهم وركنوا إلى عهودهم ، على حد قولي :

أيّ شأن العهود قطعت ثم أضحت ترهات بعد حين
لا تغرنك قصاصات غدت شركاً ينصب للمستضعفين

حذار من العدو ــ لمحة تاريخية :

وهنا يجدر بنا أن نأتي على ما يرويه التاريخ بصدد نزول هذه

الآية ، فقد روي أن جماعة من المسلمين كانوا يوادّون اليهود ، فأنزل الله هذه الآية ، ناهياً عن الاسترسال في ذلك . وقيل : إنّ عبادة بن الصامت كان له حلفاء من اليهود ، فقال يوم الأحزاب : يا رسول الله إن معي خمسمائة من اليهود ، وقد رأيت أن أستظهر بهم على العدو . فنزلت هذه الآية ، إذ لا تتفق موالاة الوليّ وموالاة العدو في وقت واحد قال :

تود عدوي ثم تزعم أنني صديقك ليس النّوك عنك بعازب

٢ ـ المشاكلة في قوله تعالى : « ويحذركم الله نفسه » . وإطلاق ذلك عليه سبحانه وتعالى جائز في المشاكلة كقوله أيضاً : « تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك » . وقيل : الكلام مجاز مرسل معناه : ويحذركم الله عقابه ، مثل « واسأل القرية » مجاز مرسل ، فجعلت النفس في موضع الإضمار ، وفي ذلك تهديد شديد وتخويف عظيم لعباده أن يتعرضوا لعقابه بموالاة أعدائه .

﴿ قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ ﴾

الإعراب :

(قل : إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه) كلام مستأنف مسوق ليكون بياناً لقوله : « ويحذركم الله نفسه » وقل فعل أمر فاعله ضمير مستتر تقديره أنت وإن شرطية وتخفوا فعل الشرط وعلامة جزمه حذف النون والواو فاعل وما اسم موصول في محل نصب مفعول به وفي صدوركم : جار ومجرور متعلقان بمحذوف لا محل له لأنه صلة ما ،

وأو حرف عطف وتبدوه معطوف على تخفوا وجملة الشرط وجوابه الآتي في محل نصب مقول القول (يعلمه الله) جواب الشرط والهاء مفعول به والله فاعل (ويعلم ما في السموات وما في الأرض) الواو استئنافية ويعلم فعل مضارع مرفوع وفاعله هو يعود على الله ، وإنما جيء به مستأنفاً لا معطوفاً لأن علم الله تعالى غير متوقف على شرط ، فهو من باب ذكر العام بعد الخاص . والأحسن أن يقدر مبتدأ محذوف فتكون جملة « يعلم » خبره والتقدير : وهو يعلم ، والجملة بعد الواو مستأنفة لا محل لها ، وما مفعول به وفي السموات متعلقان بمحذوف صلة ما ، وما في الأرض عطف على « ما في السموات » (والله على كل شيء قدير) الواو استئنافية والله مبتدأ وعلى كل شيء متعلقان بمحذوف بقدير وقدير خبر الله .

﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ  ﴾

اللغة :

(الأمد) : الغاية والمنتهى ، والفرق بينه وبين الأبد أن الأمد مدة من الزمن محدودة ، وإن يكن الحدّ مجهولاً ، أما الأبد فهو مدة من الزمن غير محدودة .

الإعراب :

(يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً) يوم ظرف متعلق تقديره :

« اذكر » وجملة تجد في محل جر بالإضافة ، « وتجد » يجوز أن تكون بمعنى تصادف وتصيب فتتعدى لواحد ويجوز أن تكون بمعنى تعلم فتتعدى لاثنين ، وكل نفس فاعل تجد وما اسم موصول مفعول به وجملة عملت صلة والعائد محذوف أي عملته ومن خير متعلقان بمحذوف حال ومحضراً حال على الأول ومفعول به ثان على الثاني ، والجملة كلها مستأنفة لا محل لها (وما عملت من سوء) الواو استئنافية وما اسم موصول مبتدأ وجملة عملت صلة ومن سوء متعلقان بمحذوف حال (تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً) جملة تود خبر ما ولو الواقعة بعد تود مصدرية،ولكن يشكل هنا دخول الحرف على مثله، فالأولى أن تبقى شرطية وأن حرف مشبه بالفعل مصدري وبينها ظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم لأنّ وبينه عطف على الظرف • ويكون جواب « لو » محذوفاً تقديره : لفرحت واطمأنت ، وأن وما بعدها في محل رفع مبتدأ والخبر محذوف تقديره ثابت ، أو فاعل لفعل محذوف تقديره ثبت • ويلاحظ عندئذ أن المحذوفات كثرت ، فقد حذف مفعول تود وجواب لو وخبر أن أو فعل الفاعل ، ولذلك كان اعتبارها مصدرية أسهل لولا المانع الفني وهو دخول الحرف المصدري على حرف مصدري مماثل (ويحذركم الله نفسه) تقدم إعرابها قريباً وكررها ليكون الخوف من الله نصب أعينهم (والله رؤوف بالعباد) الواو استئنافية والله مبتدأ ورؤوف خبره وبالعباد جار ومجرور متعلقان برؤوف •

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾

الإعـراب :

(قل : إن كنتم تحبون الله فاتبعوني) كلام مستأنف مسوق لبيان معنى محبة الله ، وقل فعل أمر وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت وإن شرطية وكان فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط والتاء إسمها وجملة تحبون الله خبرها والفاء رابطة لجواب الشرط واتبعوني فعل أمر والواو فاعل والنون للوقاية والياء مفعول به والجملة في محل جزم جواب الشرط وجملة إن كنتم مقول القول (يحببكم) جواب الطلب مجزوم والكاف مفعول به (الله) فاعل (ويغفر لكم ذنوبكم) عطف على يحببكم (والله غفور رحيم) الواو استئنافية والله مبتدأ وغفور رحيم خبران للمبتدأ (قل أطيعوا الله والرسول) كلام مستأنف أيضاً وجملة أطيعوا في محل نصب مقول القول (فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين) الفاء استئنافية وإن شرطية وتولوا فعل مضارع حذفت منه إحدى التاءين وهو فعل الشرط والجملة لا محل لها . ويجوز أن يكون فعلاً ماضياً مسنداً لضمير الغيبة ، فيكون من باب الالتفات من المخاطب إلى الغائب والجملة في محل جزم فعل الشرط والفاء رابطة لجواب الشرط وإن واسمها ، وجملة لا يحب الكافرين خبرها وجملة فإن الله في محل جزم جواب الشرط .

البلاغـة :

المجاز المرسل في حب العباد لله تعالى وحبه لهم والعلاقة ما يكون . فأما حبهم له فالمراد ما تئول إليه المحبة من اختصاصه بالعبادة دون غيره ، وأما حبه لهم فالمراد منه ما يئول إليه من الرضا عنهم والغفران لذنوبهم . وهذه لمحة لا مندوحة عن إيرادها عن الحب :

الحب عند الفلاسفة : أما الفلاسفة فيفررون كما يتحدث عنهم سويدنبرغ السويدي أن الحب هو حياة الإنسان ، وأن الله وحده هو عين الحب ، لأنه هو عين الحياة ، فالمحبة لغة ــ ميل المتصف بها إلى أمر ملذّ والللذات الباعثة على المحبة منقسمة إلى مدرك بالحس كلذة الذوق في الطّعوم ولذة النظر واللمس في الصور المستحسنة ولذة الشم في الروائح العطرية ولذة السمع في النغمات الحسنة وإلى لذة تدرك بالعقل كلذة الجاه والرياسة والعلوم وما يجري مجراها . وإذا تفاوتت البواعث ، فليس معلوم أكمل ولا أجمل من المعبود الحق ، وإذا حصلت هذه المحبة بعثت على الطاعات والموافقات .

الحب عند المتصوفة : أما المتصوفة فهم يقولون : إن الحب هو سكر المشاهدة وشجاعة الباذل وإيمان الولي والأصـــل الأصيـــل للتحقق الخلقي والإدراك الروحي . قال الثوري لرابعة العدوية : ما حقيقة إيمانك ؟ قالت : ما عبدته خوفاً من ناره ولا حباً لجنته فأكون كالأجير السوء ، بل عبدته حباً له وشوقاً إليه . وأنشدت :

أحبــك حبــين : حب الهوى وحباً لأنك أهــل لذاكــا
فأما الذي هــو حب الهوى فشغلي بذكرك عما سواكا
وأما الذي أنت أهل له فكشفك لي الحجب حتى أراكا

والــكلام يطول فحسبنا ما تقــدم .

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾

اللغــة :

(نوح) علم أعجمي لا اشتقاق له ، وقيل : إنه مشتق من النوح وهو منصرف على كل حال ، لأنه علم أعجمي ثلاثي ســاكن الوسط (عمران) علم أعجمي أيضاً ممنوع مــن الصرف وإن قيل إنــه عبري مشتق من العمر فهو ممنوع للعلمية وزيادة الألف والنون •

الإعــراب :

(إن الله اصطفى آدم ونوحاً) إن واسمها ، وجملة اصطفى آدم ونوحاً خبر (وآل ابراهيم وآل عمران) عطف على آدم (على العالمين) الجار والمجرور متعلقان باصطفى والجملة استئنافية (ذرية بعضها من بعض) ذرية : بدل من آدم ومن عطف عليه ، أو من الآلين أي أن الآلين ذرية واحدة ، ويجوز نصبها على الحال والعامل فيه « اصطفى » • وبعضها مبتدأ ومن بعض جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر والجملة صفة لــذرية (والله ســميع عليم) الواو اســتئنافية واللــه مبتدأ وســميع عليم خبران لــه •

البلاغــة :

١ ــ في الآية فن التوشيح ، وهو كما يقول قدامة في نقد الشعر : أن يكون في أول الكلام معنى إذا علم علمت منه القافية ، إن كان شعراً أو السجع إن كان نثراً • فإن معنى اصطفاء المذكورين في الآية يعلم منه الفاصلة ، لأن المذكورين صنف مندرج في العالمين •

وفي هذه الآية أيضاً فن براعة التخلص ، فإنه سبحانه وتعالى وطّأ

بهذه الآية إلى سياق خبر ميلاد المسيح عليه السلام ، فقد خلص إلى ذكر امرأة عمران ليسوق قصة حملها بمريم وكفالة زكريا لها ، وذكر ولده يحيى ، وقصة حمل مريم بالمسيح ، وما تخلل ذلك من آيات باهرات ، وعبر بالغات •

﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴾

اللغة :

(محرراً) معتقاً خالصاً لخدمة بيت المقدس • روي أن حنة ــ وهو اسمها ــ كانت عاقراً لم تلد إلى أن عجزت ، فبينما هي في ظل شجرة وريف بصرت بطائر يطعم فرخاً له فتحركت نفسها للولد وتمنته ، فقالت : اللهم إن لك علي نذراً إن رزقتني ولداً لأتصدقن به على بيت المقدس فيكون من سدنته • فحملت بمريم وهلك عمران وهي حامل بمريم •

الإعراب :

(إذ قالت امرأة عمران) إذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق باذكر محذوفاً وتكون الجملة مستأنفة مسوقة لتقرير اصطفاء آل عمران ، وجملة قالت امرأة عمران في محل جر بإضافة الظرف إليها وعلقه بعضهم بقوله :

سـميع عليم وليس ثمة ما يمنع ذلك (رب إني نذرت لك ما في بطني محرّراً) رب منادى مضاف إلى ياء المتكلم المحذوفة بدليل الكسرة عليها ، وإن واسمها ، وجملة نذرت خبرها وجملة إني نذرت مقول القول ولك متعلقان بنذرت وما اسم موصول مفعول به وفي بطني متعلقان بمحذوف لا محل له لأنه صلة ما ومحرراً حال من « ما » (فتقبل مني) الفاء استئنافية وتقبل فعل أمر وفاعله أنت ومني متعلقان بتقبل (إنك أنت السميع العليم) إن واسمها ، وأنت مبتدأ أو ضمير فصل لا محل له والسميع العليم خبران لأنت والجملة الاسمية خبر لإن ، أو خبران لان وجملة إن وما في حيزها تعليلية لا محل لها (فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى) الفاء استئنافية ولما ظرفية حينيه أو حرف للربط ووضعتها فعل وفاعل مستتر ومفعول به وجملة قالت لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ورب منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة وإن واسمها ، وجملة وضعتها خبر إن وأنثى حال مؤكدة أو مبنية وسيأتي الفرق بينهما وجملة النداء مقول القول (والله أعلم بما وضعت) الواو اعتراضية والله مبتدأ وأعلم خبر وبما جار ومجرور متعلقان بأعلم وجملة وضعت لا محل لها لأنها صلة ما (وليس الذكر كالأنثى) الواو عاطفة وليس فعل ماض ناقص والذكر اسمها والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر ، أو الكاف اسمية وهي الخبر والأنثى مضاف إليه (وإني سميتها مريم) الواو عاطفة والجملة معطوفة على جملة « اني وضعتها » ، وإن واسمها ، وجملة سـميتها خبرها ، والهاء مفعول سميت الأول ومريم مفعوله الثاني (وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) الواو عاطفة أيضاً والجملة معطوفة على جملة « إني سميتها » وإن واسمها ، وجملة أعيذها خبر إن والهاء مفعول به وبك متعلقان بأعيذها وذريتها عطف على الهاء أو مفعول معه ومن الشيطان متعلقان بأعيذها والرجيم صفة للشيطان .

البلاغـة :

١ ـ فائدة الخبر في قوله : « إني وضعتها » للتحسر ، وليس مرادها الإخبار بمفهومه ، لأن الله عالم بما وضعت بل المراد إظهار الحسرة لما فاتها من تحقيق وعدها والوفاء بما التزمت به والاعتذار حيث أتت بمولود لا يصلح للقيام بما نذرته .

٢ ـ تكررت إن أربع مرات ، وفي الثلاث الأولى كان خبرها فعلاً ماضياً ، وفي المرة الرابعة عدلت عن الماضي إلى المضارع ، فقالت : أعيذها ، لنكتة بلاغية ، وهي ديمومة الاستعاذة وتجددها دون انقطاع بخلاف الأخبار السابقة فإنها انقطعت .

٣ ـ المراد بالخبر في قوله تعالى حكاية عن نفسه : « والله أعلم بما وضعت » لازم الفائدة ، والقصد منه إفادتها دون التصريح بما سيكون من شأن المولود الذي لم تأبه له بادىء الأمر ، وهي جاهلة مآل أمر هذه المولودة التي ستلد رسول الرأفة والسلام .

٤ ـ المراد بالخبر في قوله : « وليس الذكر كالأنثى » نفي الاعتقاد السائد بين الناس بوجود تفاوت بين الأولاد ، وإن هذا التفاوت الذي يبدو للوهلة الأولى ، إنما هو أمر ظاهري لا يثبت عند الابتلاء والتجربة ، فإن الغيب أعمق غوراً من أن يسبروه ، وأبعد منالاً من أن يدركوه ، وكم من النساء من فاقت الرجال وأربت عليهم في الدرجات وقد تعلق أبو الطيب المتنبي بأذيال هذا المعنى البديع بقوله :

ولو كان النساء كمن فقدنا لفضلت النساء على الرجال
وما التأنيث لاسم الشمس عيب ولا التذكير فخر للهلال

٥ ـ الإطناب في قوله تعالى : « وإني سميتها مريم » والغرض من التصريح بالتسمية التقرب إلى الله والازدلاف إليه بخدمة بيت المقدس

أولاً ، ورجاء عصمتها ثانياً ، فإن مريم في لغتهم العابدة ، واظهاراً لعزمها على الوفاء بوعدها ثالثاً أي : إنها وإن لم تكن خليقة بالسدانة فأرجو أن تكون من العابدات المطيعات . وقد أهمل صاحب المنجد الإشارة إلى ذلك في كتابة « المنجد » .

الفوائد :

تنقسم الحال إلى مبينة أو مؤسسة ، وهي التي لا يستفاد معناها من دون ذكرها ، كجاء علي" راكباً إذ لا يستفاد معنى الركوب إلا بذكر راكباً. ومؤكدة وهي التي يستفاد معناها من دون ذكرها ، وهي إما مؤكدة لعاملها لفظاً ومعنى نحو « وأرسلناك للناس رسولاً » و « فتبسم ضاحكاً » وإما مؤكدة لصاحبها نحو «لآمن من في الأرض كلهم جميعاً» فجميعاً حال من فاعل آمن ، وهو « من » الموصولة ، مؤكدة لها ، وإما مؤكدة لمضمون جملة قبلها معقودة من اسمين معرفتين جامدين نحو : « هو الحق بيناً » ، وقول الشاعر :

أنا ابن دارة معروفاً بها نسبي وهل بدارة ياللناس من عار

فإن جعلت « أنثى » حالاً من الضمير كانت مؤكدة ، وإن جعلتها حالاً من « النسمة والنفس » المفهومة من سياق الكلام كانت مبينة .

﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾

اللغــة :

(كفلها) بتشديد الفاء أي ضمنه إياها وضمها إليه وجعلها كافلاً لها وضامناً لمصالحها . ويؤيد هذا المعنى قراءة « وأكفلها » بوصفه زوج خالتها وذلك عن طريق الاقتراع .

(المحراب) والمحرب آلة الحرب ، وهذا هو القياس الصّرفي . ولكن المحراب له معان مستقلة ليست داخلة في القياس الاشتقاقي ، فمن معانيه صدر البيت وأكرم مواضعه ، وصدر المجلس ، ومأوى الأسد ، ومحراب المسجد . ويرى علماء اللغة أن محراب المسجد سمي بذلك لأن المتعبد فيه يحارب الشيطان ، ولذلك يقال : لكل محل من محال العبادة محراب ، والباحث يحار ويدهش في أمر هذه اللغة الشريفة كيف تطورت ؟ ما هي تفاعلات الزمن التي أسهمت في هذا التطور ؟ إن المتتبع لموادها اللغوية يعجب كيف تهيأ لها هذا التطور الحركي الذي يحتاج إلى ما لا يحصى من الزمن ، فالحاء والراء حرفان يدلان في الأصل على الحر والحرق ، ولو تتبعنا جميع الجذور الأخرى لرأينا أنّ كل كلمة تبتدىء بهما تدل على معنى يكاد يكون منتزعاً من هذا المعنى ، أو متفرعاً عنه . فلنستعرض الآن مادة الحرب ، إنها احتراق بكل معنى لاهب ، والحَرَب بفتحتين الهلاك ، وهو مقتفيات الحرق ومستلزماته ، قال أبو تمام :

لما رأى الحرب رأي العين توفلس والحرب مشتقة المعنى من الحَرَب

وحرث الأرض : شقها بالسكة ، وهذا يمت إلى المعنى الأصلي ، بأوثق الأسباب ، والحرج الضيق ، وحرد الرجل بكسر الراء : غضب ،

فهو حارد وحردان ، وهي عاميه فصيحة . وهكذا إلى آخر المادة حيث تنتهي إلى هذا التقرير العجيب .

الإعـراب :

(فتقبلها ربها بقبول حسن) الفاء عاطفة وتقبل فعل ماض والهاء مفعول به وربها فاعل والجار والمجرور متعلقان بتقبلها وحسن صفة (وأنبتها نباتاً حسناً) الواو عاطفة وأنبتها فعل وفاعل مستتر ومفعول به ونباتاً مفعول مطلق وحسناً صفة (وكفّلها زكريا) الواو عاطفة وكفل فعل ماض والهاء مفعول به أول وزكريا مفعول به ثان ، أي جعل زكريا كافلاً لها وضامناً لمصالحها وفي قراءة تخفيف الفاء يكون زكريا هو الفاعل . وقد نسجت أساطير حول هذه الكفالة ، يرجع فيها إلى المطولات (كلما دخل عليها زكريا المحراب) كلما ظرف زمان تقدم إعرابه مراراً وهو متعلق بوجد لأنه جواب الشرط . وجملة دخل عليها في محل جر بإضافة الظرف إليها والمحراب مفعول به على السعة أو منصوب بنزع الخافض (وجد عندها رزقاً) الجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وعندها ظرف متعلق بوجد ورزقاً مفعول به وجملة الشرط استئنافية (قال يا مريم أنى لك هذا) الجملة مستأنفة ، وهذا أصح ما قيل فيها رغم الاختلاف الشديد الذي لا طائل تحته . وقال فعل ماض والفاعل هو ويا حرف نداء ومريم منادى مفرد علم مبني على الضم وأنى اسم استفهام بمعنى كيف ، كأنه سؤال عن الكيفية ، أي : كيف تهيأ لك وصول هذا الرزق إليك ؟ قال الكميت :

أنى ومن أين آبك الطرب   من حيث لا صبوة ولا طرب

وقيل معناه هنا : : من أين . وعلى الحالين هو منصوب على الظرفية

متعلق بمحذوف خبر مقدم ، ولك جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال وهذا مبتدأ مؤخر (قالت هو من عند الله) الجملة مستأنفة وهو مبتدأ ومن عند الله متعلقان بمحذوف خبر (إن الله يرزق من يشاء بغير حساب) إن واسمها ، وجملة يرزق خبر ومن اسم موصول مفعول به وجملة يشاء لا محل لها لأنها صلة الموصول وبغير حساب جار ومجرور متعلقان بيرزق وجملة إن الله مقول القول أيضاً إذا كان من كلامها أو مستأنفة .

البلاغــة :

في هذه الآية فنون نشير إليها بما يلي :

١ ــ الجناس المغاير في قوله « فتقبلها ربها بقبول حسن » وفي قوله « فأنبتها نباتاً حسناً » وفي قوله « رزقاً » و « يرزق » .

٢ ــ الإشارة ، وهو التعبير باللفظ الظاهر عن المعنى الخفي في قوله « هو من عند الله » أي هو رزق لا يأتي به في ذلك الوقت إلا الله .

٣ ــ التنكير في قوله : « رزقاً » لإفادة الشيوع والكثرة ، وأنه ليس من جنس واحد بل من أجناس كثيرة .

﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ

وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾

(العاقر) من لا يولد له ، رجلاً كان أو امرأة . مشتق من العقر وهو القطع ، لقطعة النسل .

(الحصور) بفتح الحاء فعول محول عن فاعل للمبالغة ، وهو الذي لا يأتي النساء ، وهو قادر على ذلك والممنوع منهن أو من لا يشتهيهن ولا يقربهن . ثم استعمل لكل من لا يشارك في لعب ولهو ومجانة ، قال الأخطل :

وشارب مربح بالكأس نادمني   لا بالحصور ولا فيها بسآر

(العشي) من حين تزول الشمس إلى أن تغيب ، وهو اسم مفرد لا جمع كما توهم الجلال وأبو حيان .

(الإبكار) بكسر الهمزة مصدر لأبكر بمعنى بكر ثم استعمل اسماً ، وهو طلوع الشمس إلى وقت الضحى .

الإعراب :

(هنالك دعا زكريا ربه) هنالك اسم إشارة للمكان في محل نصب على الظرفية المكانية وقد يتجوز به للزمان واللام للبعد والكاف للخطاب والظرف متعلق بدعا وزكريا فاعل دعا وربه مفعوله ، والجملة مستأنفة مسوقة للإشارة إلى تحول زكريا عن اعتقاده بشأن الولادة والعقم ؛

أي : لما رأى زكريا ذلك وعلم أن القادر على الإتيان بالشيء في غير أوانه قادر على الإتيان بالولد في حال الكبر (قال : رب هب لي من لدنك ذرية طيبة) جملة مستأنفة مسوقة لتحقيق ما خطر له من سوانح بعد التحول الفكري الطارىء عليه ، وقال فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو يعود على زكريا ورب منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة وهب فعل أمر ولي متعلقان بهب ومن لدنك جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال وذرية مفعول به وطيبة صفة ، وأنثت الصفة لتأنيث الموصوف لأنه لم يقصد به معين ، أما إذا قصد به ذلك امتنع اعتبار اللفظ ، نحو طلحة وحمزة وجملة النداء في محل نصب مقول القول (إنك سميع الدعاء) إن واسمها وخبرها والجملة تعليلية لا محل لها (فنادته الملائكة) الفاء عاطفة ونادته الملائكة فعل ومفعول به وفاعل (وهو قائم يصلي في المحراب) الواو حالية وهو مبتدأ وقائم خبره والجملة نصب على الحال من مفعول النداء وجملة يصلي في المحراب لك أن تجعلها خبراً ثانياً لهو أو تنصبها على الحال من القيام وفي المحراب متعلقان بيصلي (أن الله يبشرك بيحيى) أن وما في خبرها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض والجار والمجرور متعلقان بنادته وقرىء بكسر همزة « إن » بتقدير قول محذوف ، فالجملة مقول القول وجملة القول حال ، أي : حال كون الملائكة قائلين ، وجملة يبشرك خبرها والجار والمجرور متعلقان بيبشرك ويحيى ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة إن كان أعجمياً ، وإن كان عربياً فللعلمية ووزن الفعل (مصدقاً بكلمة من الله) مصدقاً حال وبكلمة متعلقان بمصدقاً والمراد بالكلمة عيسى بن مريم وإنما سمي كلمة لأن الله تعالى قال له : كن فكان من غير أب ، وهناك أقوال أخرى يرجع

فيها إلى المطولات (وسيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين) الكلمات الثلاث عطف على « مصدقاً » ومن الصالحين صفة لنبياً (قال : رب أنى يكون لي غلام) قال فعل ماض والفاعل مستتر تقديره هو يعود على زكريا ورب منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة وأنّى اسم استفهام في محل نصب على الظرفية والظرف متعلق بمحذوف خبر يكون إذا اعتبرت ناقصة أو حال إذا اعتبرت تامة ،ولي متعلقان بمحذوف حال وغلام اسم يكون أو فاعلها وجملة قال استئنافية وجملة النداء مقول القول (وقد بلغني الكبر) الواو حالية وقد حرف تحقيق وبلغني فعل ماض والنون للوقاية والياء مفعول به والكبر فاعل والجملة في محل نصب حال (وامرأتي عاقر) الواو حالية أيضاً وامرأتي مبتدأ وعاقر خبر والجملة حالية من الياء في « لي » فتكون حالاً متعددة ، ولك أن تجعلها حالاً من الياء في « بلغني » (قال : كذلك الله يفعل ما يشاء) اضطرب كلام المعربين والمفسرين في هذه الآية ، وأقرب ما تراءى لنا وجهان متساويا الرجحان ، أولهما أن الجملة كلها مستأنفة ، والقائل هو الله تعالى ، و « كذلك » جار ومجرور متعلقان بمحذوف في محل نصب مفعول مطلق ، أي يفعل الله ما يشاء من الأفعال العجيبة مثل ذلك الفعل ، وهو خلق الولد من الشيخ الفاني والعجوز العاقر ، أو على أنهما في موضع الحال من ضمير المصدر المحذوف من « يفعل » وذلك على مذهب سيبويه في هذه المسألة ، وقد تقدم بحثها . والله مبتدأ وجملة يفعل خبر وما اسم موصول في محل نصب مفعول به والجملة مقول القول . والوجه الثاني أن يتعلق كذلك بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف ، أي : الأمر كذلك ، وجملة يفعل ما يشاء في محل رفع خبر الله وجملة يشاء لا محل لها لأنها صلة (قال رب اجعل لي آية) قال : فعل ماض والفاعل زكريا ورب

منادى تقدم إعرابه ، واجعل فعل أمر وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت ، ولي متعلقان باجعل وآية مفعول به وجملة النداء وما تلاه مقول القول وجملة القول مستأنفة (قال : آيتك أن لا تكلم الناس) الجملة مستأنفة وآيتك مبتدأ وأن وما في حيزها في تأويل مصدر خبر وتكلم فعل مضارع منصوب بأن والناس مفعول به والجملة مقول القول (ثلاثة أيام إلا رمزاً) ثلاثة أيام : ظرف زمان متعلق بتكلم وإلا أداة استثناء منقطع واجب النصب لأن الرمز ليس من جنس الكلام ، ولك أن تعتبره من جنس الكلام فتكون « رمزاً » استثناء من أعم الأحوال أو من أعم المصادر ، أي حالاً أو مفعولاً مطلقاً ، وهذه الأوجه متساوية الرجحان في هذا التركيب العجيب (واذكر ربك كثيراً) الواو استئنافية واذكر فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وربك مفعول به وكثيراً مفعول مطلق أو ظرف زمان ، أي ذكراً كثيراً أو وقتاً كثيراً (وسبح بالعشي والإبكار) الواو عاطفة وسبح عطف على اذكر وبالعشي جار ومجرور متعلقان بسبح والإبكار عطف عليه .

البلاغــة :

في قوله « رمزاً » فن الإشارة ، وقد تقدم بحثه قريباً ، لأنه دل على ما في نفس البشر من خلجات ومعان . وقــد تشبث الشعراء بأذيال هــذه البلاغة ، قــال أبو تمام :

توحي بأســرارنا حواجبنا   وأعــين بالوصال ترتشــق

وقــال أيضــاً :

كلمته بجفون غــير ناطقة   فكان من ردّه ما قــال حاجبه

وقـال آخـر :

إذا كلمتني بالعيون الفواتر ردت عليها بالدموع البوارد

﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾

اللغـة :

(اصطفاك) : اختارك .

(اقنتي) : أخلصي العبادة وأديمي الطاعة .

الإعـراب :

(وإذ قالت الملائكة) الواو عاطفة والجملة معطوفة ، فقد عطف قصة البنت على قصة أمها لما بينهما من كمال المناسبة . ولك أن تعطف « إذ » على الظرف السابق وأن تعلقه باذكر محذوفاً ، وقالت الملائكة : فعل وفاعل والجملة في محل جر بإضافة الظرف إليها (يا مريم إن الله اصطفاك) يا حرف نداء ومريم منادى مفرد علم وإن واسمها ، وجملة اصطفاك خبر إن والجملة كلها مقول القول (وطهرك واصطفاك على نساء العالمين) الفعلان معطوفان على اصطفاك وعلى نساء متعلقان باصطفاك والعالمين مضاف إليه (يا مريم اقنتي لربك) يا حرف نداء ومريم منادى مفرد علم واقنتي فعل أمر مبني على حذف النون والياء

فاعل والجار والمجرور متعلقان باقنتي (واسجدي واركعي مع الراكعين) فعلا الأمر منسوقان على اقنتي ومع ظرف مكان متعلق باركعي والراكعين مضاف إليه •

البلاغـة :

١ ـ في هاتين الآيتين التقديم ، فقد قدم السجود وهو متأخر في حكم الصلاة للاهتمام به ، ولكونه أدل على التذلل والعبادة • وهذا ديدنهم تقديم الأهم على المهم •

٢ ـ وفيهما أيضاً التكرير ، فقد كرر النداء للإيذان بأن كل واحد منهما مسوق لمعنى ، فالأول تذكير بالنعمة ، وهو بمثابة تمهيد للثاني الذي هو للتكليف والترغيب في العمل •

٣ ـ وفيهما أيضاً إطلاق الجزء وادارة الكل ، وقدم السجود لأنه أفضل أركان الصلاة كما تقدم •

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾

اللغـة :

(أقلامهم) الأقلام : جمـع قلم وهو فـعَل بمعنى مفعول ، أي

مقلوم . والقلم : القطع ومثله القبض والنقض بمعنى المقبوض والمنقوض .

(المسيح) : لقب من الألقاب الشريفة التي تشعر بالرفعة كالصديق والفاروق وهو بالعبرية المشيح ومعناه المبارك وسمي المسيح قيل : لكثرة سياحته ، وقيل : لأنه كان مسيح القدمين لا أخمص لهما ، وقيل : لأنه كان إذا مسح أحداً من ذوي العاهات برىء .

(عيسى) : معرب من ايشوع ، وقيل : مشتق من العيس ، وهو بياض تعلوه حمرة .

الإعراب :

(ذلك من أنباء الغيب) ذلك اسم إشارة مبتدأ ومن أنباء الغيب خبره والجملة مستأنفة مسوقة للإخبار بأن ذلك كله من نبأ زكريا ويحيى ومريم وعيسى عليهم السلام (نوحيه إليك) فعل مضارع وفاعله نحن والهاء مفعول به والجار والمجرور متعلقان بنوحيه والجملة حالية أو استئنافية أيضاً (وما كنت لديهم) الواو حالية أو استئنافية وما نافية وكان واسمها ، ولديهم ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر كنت أي : موجوداً لديهم (إذ يلقون أقلامهم) إذ ظرف لما مضى ودخوله على المضارع لحكاية الحال الماضية ، وهو متعلق بما تعلق به « لديهم » أي بالاستقرار المحذوف .

وقد قال أبو علي الفارسي : العامل في « إذ » هو « كنت » . وقد اعترض عليه بما قرره هو نفسه إذ قال : إن « كان » الناقصة سلبت الدلالة على الحدث وتجردت للزمان فلا يتعلق بها الظرف ولا الجار والمجرور . وجملة يلقون في محل جر بالإضافة وأقلامهم : مفعول

به (أيهم يكفل مريم) الجملة في محل نصب حال بتقدير فعل ، أي يتساءلون ، ويبعد جعلها فاعلاً لفعل محذوف ، لما في ذلك من التكلف ، كما فعل الجلال وأي مبتدأ والهاء مضاف إليه والميم علامة جمع الذكور وجملة يكفل مريم خبر المبتدأ . (وما كنت لديهم إذ يختصمون) الواو عاطفة وما نافية وكان واسمها ، ولديهم ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر كنت وإذ ظرف لما مضى متعلق بالاستقرار المحذوف وجملة يختصمون في محل جر بالإضافة (إذ قالت الملائكة) الظرف متعلق بمحذوف ، أي : اذكر ، وقالت الملائكة فعل وفاعل والجملة في محل جر بالإضافة وجملة الظرف ومتعلقة مستأنفة مسوقة للشروع في قصة عيسى عليه السلام (يا مريم) يا أداة نداء ومريم منادى مفرد علم (إن الله يبشرك) الجملة مقول القول وإن واسمها وجملة يبشرك خبرها (بكلمة) متعلقان بيبشرك (منه) صفة لكلمة (اسمه المسيح عيسى بن مريم) اسمه مبتدأ والمسيح خبر والجملة صفة ثانية لكلمة وعيسى بدل من المسيح وابن مريم بدل أو نعت . وذكرت مريم مع أنها هي المخاطبة للإيذان باختصاص عيسى عليه السلام بأنه ولد من غير أب كما جرت العادة (وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين) وجيهاً حال من كلمة وإن كانت نكرة لأنها موصوفة والجار والمجرور متعلقان بوجيهاً فهما في موضع نصب على الحال (ويكلم الناس في المهد) الواو عاطفة ويكلم فعل مضارع والفاعل هو والجملة معطوفة على « وجيهاً » فهي حال أيضاً وعدل إلى الفعلية للتجدد والناس مفعول به وفي المهد متعلقان بمحذوف حال من فاعل « يكلم » (وكهلاً ومن الصالحين) عطف على قوله « في المهد » أي : صبياً وكهلاً ، ومن الصالحين عطف على وجيهاً فاستتم بذلك الأوصاف الأربعة لـ « كلمة » .

البلاغـة :

الكناية في قوله : « يلقون أقلامهم » عن القرعة .

الفوائـد :

(إذ) تكون على ثلاثة أوجه :

٢ ـ تكون للتعليل وهذه حرف بمنزلة لام التعليل ، كقول الفرزدق :
بعدها فعل مضارع فهي لحكاية الحال الماضية .

٢ ـ تكون للتعليل وهذه حرف بمنزلة لام التعليل،كقول الفرزدق :

فأصبحوا قد أعاد الله نعمتهم   إذ هم قريش وإذ ما مثلهم بشر

فالظرفية هنا منسلخة ولاتصح بحال ، لأن المعنى يفسد ، أي أعاد الله نعمتهم وقت كونهم قريشاً ، فيفيد أن كونهم من قريش أمر طارىء عليهم .

٣ ـ أن تكون للمفاجأة ، وهي الواقعة بعد «بينا»و«بينما»كقوله :

استقدر الله خيراً وارضين به   فبينما العسر إذ دارت مياسير

والأولى عندئذ أن تكون حرفاً .

(أي) تأتي على خمسة أوجه :

١ ـ اسم شرط جازم وتعرب بحسب موقعها .

٢ ـ اسم موصول وتعرب بحسب موقعها إلا إذا أضيفت وحذف صدر صلتها فتبنى على الضم : « ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتياً » .

٣ ــ اسم استفهام كما في الآية المتقدمة ، وحكمها حكم الموصولية •

٤ ــ أن تقع صفة للنكرة أو حالاً بعد المعرفة للدلالة على معنى التمام والكمال ، كقول أبي العتاهية :

إن الشباب والفراغ والجده   مفسدة للمرء أيّ مفسدة

٥ ــ تكون وصلة لنداء ما فيه أل : يا أيها الناس •

(العلم) ينقسم العلم إلى اسم وكنية ولقب، وإذا اجتمع الاسم واللقب يؤخر اللقب عن الاسم، وربما قدم عليه كما في الآية • ويطرد هذا إذا كان اللقب أشهر من الاسم ولا ترتيب في الكنية ، ويعرب الثاني بدلاً من الأول ، ويجوز أن تضيف اللقب إلى الاسم إذا كانا مفردين كهرون الرشيد ومحمد المهدي ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ ﴾

اللغة :

(الأكمه) : الذي ولد أعمى يقال : كمه كمهاً ، من باب تعب ، فهو أكمه والمرأة كمهاء ، مثل أحمر وحمراء وهو العمى يولد عليه الإنسان وربما كان عارضاً .

(الأبرص) : المصاب بالبرص بفتحتين وهو داء معروف يعتري الإنسان ، ولم تكن العرب تنفر من شيء نفرتها منه ، فكانوا يصفون العظيم إذا أصيب به بالوضّاح فقالوا : جذيمة الوضاح وهو من ملوك العرب المشهورين ويقال للقمر أبرص لشدة بياضه وللوزَغ سام أبرص لبياضه .

الإعراب :

(قالت : رب أنى يكون لي ولد) تقدم إعرابها قبل قليل بحروفها فجدد بها عهداً (ولم يمسسني بشر)الواو للحال ولم حرف نفي وقلب وجزم ويمسسني فعل مضارع مجزوم بلم والنون للوقاية والياء مفعول به وبشر فاعل والجملة حالية (قال كذلكِ الله يخلق مايشاء) الجملة مستأنفة لا محل لها والجار والمجرور متعلقان بمحذوف مفعول مطلق لفعل محذوف ، أو حال وعلقهما بعضهم بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف والله مبتدأ وجملة يخلق خبر وما اسم موصول مفعول به وجملة يشاء لا محل لها لأنها صلة الموصول وجملة الله يخلق مقول القول (إذا قضى أمراً) إذا ظرف مستقبل وجملة قضى في محل جر بالإضافة وأمراً مفعول به (فإنما يقول له كن فيكون) الفاء رابطة لجواب إذا وجملة إنما يقول لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وله متعلقان بيقول وكن فعل أمر تام والجملة مقول القول والفاء

استئنافية ويكون فعل مضارع تام مرفوع بالضمة والفاعل هو والجملة خبر لمبتدأمحذوف أي فهو يكون والجملة مستأنفة ، وهذا قول سيبويه وهو الصحيح وقرأ ابن عامر بالنصب « فيكونَ » على أن الفاء للسببية ، ويشكل على هذه القراءة أن الاستقبال مسلوب عنه عندئذ بها.(ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل)الواو استئنافية ولك أن تعطفها على « وجيهاً » كأنه قال : وجيهاً ومعلما ، وقرىء ونعلمه فتكون الجملة مقولاً لقول محذوف لأنه يكون من كلام الله ويعلمه فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به أول والكتاب مفعول به ثان وما بعده منسوق عليه (ورسولاً إلى بني إسرائيل) الواو عاطفة ورسولاً مفعول به لفعل محذوف أي ويجعله رسولاً أي من باب الإخبار بالمغيبات ، وأجاز الزمخشري وغيره أن يعرب رسولاً حالاً كأنه عطفه على يعلمه بالمعنى وإلى بني إسرائيل متعلقاً بمحذوف صفة لـ « رسولاً » (أني قد جئتكم بآية من ربكم) أن وما في حيزها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض ، أي بأني قد جئتكم ، وقد سبق القول بأن هذا مطرد قبل أنّ وأنْ ، والجار والمجرور متعلقان بـ « رسولاً » لأنه تضمن معنى النطق ، أي ورسولاً ناطقاً بأني قد جئتكم . وقد كثرت التأويلات في هذه التعابير ، ولذلك جعلها الزمخشري من المضائق المعجزة . وقيل الباء للملابسة وهي مع مدخولها في محل نصب على الحال ، والمعنى أني رسول الله اليكم حال كوني متلبساً بمجيئي بالآيات وجملة قد جئتكم خبر أن وبآية متعلقان بجئتكم ومن ربكم متعلقان بمحذوف صفة لآية (أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير) أن وما في حيزها في تاويل مصدر بدل من آية لأن ما يفعله لا يعدو أن يكون من دلائل آياته الباهرة ، ولك أن تجعله

خبراً لمبتدأ محذوف تقديره هي والمعنى واحد وفي قراءة بكسر همزة إن فتكون إن وما بعدها مستأنفة وجملة أخلق خبر إن ولكم متعلقان بمحذوف في محل نصب على معنى التعليل أي لأجل هدايتكم ، أو معنى الحال أي هادياً لكم ، ومن الطين متعلقان بأخلق وكهيئة الكاف اسم بمعنى مثل فهي في محل نصب مفعول به أو حرف فتكون وما بعدها في محل نصب صفة لمفعول به محذوف أي شيئاً مثل هيئة الطير وهيئة مضاف إليه إن كانت اسماً والطير مضاف مضاف الى هيئة (فأنفخ فيه) الفاء عاطفة ، أنفخ معطوف على أخلق ، والجار والمجرور متعلقان بأنفخ (فيكون طيراً بإذن الله) الفاء عاطفة ويكون فعل مضارع ناقص معطوف على أخلق وطيراً خبر يكون واسمها مستتر وبإذن الله متعلقان بيكون على رأي من يجيز تعلق الجار والمجرور والظرف بالأفعال الناقصة أو بمحذوف حال ، والأول أقرب الى المعنى (وأبرىء الأكمه والأبرص) عطف على أخلق والأكمه مفعول به (وأحيي الموتى بإذن الله) عطف على ماتقدم أيضاً وبإذن الله متعلقان بأحيي (وأنبئكم بما تأكلون) عطف أيضاً والجار والمجرور متعلقان بأنبئكم ناب عن المفعولين وجملة تأكلون لا محل لها لأنها صلة الموصول (وما تدخرون في بيوتكم) الواو عاطفة وما عطف على « ما » المتقدمة وجملة تدخرون لا محل لها وفي بيوتكم جار ومجرور متعلقان بتدخرون (إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين) إن حرف مشبه بالفعل وفي ذلك جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر إن المقدم ، واللام هي المزحلقة وآية اسمها المؤخر ولكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لآية وجملة إن وما في حيزها إما أن تكون من كلام عيسى عليه السلام فتكون داخلة في حيز القول ، ويحتمل أن تكون من كلام الله تعالى فتكون مستأنفة . وإن شرطية وكنتم في محل جزم فعل الشرط وكان فعل ماض ناقص

والتاء اسمها ومؤمنين خبرها وجواب الشرط محذوف والتقدير إن كنتم مؤمنين انتفعتم بهذه الآية وجملة الشرط استئنافية (ومصدقاً لما بين يدي من التوراة) الواو عاطفة ومصدقاً حال من فعل محذوف أي وجئتكم مصدقاً ، أو تعطفه على محل « بآية » ولما اللام حرف جر وما اسم موصول مجرور باللام والجار والمجرور متعلقان « بمصدقاً » وبين ظرف متعلق بمحذوف لا محل له لأنه صلة ما ويديّ مضاف إليه وعلامة جره الياء لأنه مثنى والياء مضاف إليه ومن التوراة جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (ولأحلّ لكم بعض الذي حرم عليكم) الواو حرف عطف واللام للتعليل وأحلّ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة جوازاً بعد لام التعليل واللام ومدخولها متعلقان بجئتكم مقدرة ، ولا يجوز عطفه على « مصدقاً » لأنه حال ولأحل تعليل ، ولكم جار ومجرور متعلقان بأحل وبعض مفعول به والذي اسم موصول مضاف إليه ، وجملة حرم عليكم لا محلّ لها لأنها صلة الموصول (وجئتكم بآية من ربكم) الواو حرف عطف وجملة جئتكم عطف على جئتكم السابقة وتكررت للتوكيد وبآية جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال فالباء للملابسة ، والمعنى أني رسول إليكم حال كوني ملتبساً بمجيئي . ولك أن تعلقها بجئتكم ، ومن ربكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لآية (فاتقوا الله وأطيعون) الفاء الفصيحة ، أي إذا علمتم أنه لا يسوغ لكم بعد هذه الآلاء الباهرة التي مننت بها عليكم أن تأخذكم هوادة في طاعة الله فاتقوا الله . واتقوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل وأطيعون عطف على اتقوا وحذفت ياء المتكلم لمراعاة الفواصل .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ * فَلَمَّآ

أحسّ عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون (٥٢) ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين (٥٣) ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين (٥٤) ﴾

اللغة :

(الحواريون) : جمع حواري ، وهو صفوة الرجل وخالصته ، ومنه قيل للحضريات : حواريات ، لخلوص ألوانهن وفتنتهن ونعومتهن قال :

فقل للحواريات يبكين غيرنا ولا تبكنا إلا الكلاب النوابح

وتكاد هذه النسبة تكون مطّردة كالحوالي وهو الكثير الحيلة . وزعم صاحب المنجد أنّ اللفظة حبشية ولكننا نرجح أنها عربية خالصة . ففي أساس البلاغة : وامرأة حوارية ونساء حواريات : بيض قال الأخطل:

حواريــة لا يدخل الذمّ بيتها مطهرة يأوي إليهــا مطهر

وقد نسجت أساطير جميلة حول الحواريين تحتاج إلى قصاص بارع يصوغ منها أروع القصص .

(المكر) في اللغة : الستر ، يقال : مكر الليل أي أظلم وستر بظلمته ما فيه ، واشتقاقه من المكر ، وهو شجر ملتفّ ، كأنهم تخيلوا أن المكر يلف الممكور به . وامرأة ممكورة البطن : أي ملتفة ثــم خصصوه بالخبث والخداع .

الإعــراب :

(إن الله ربي وربكم فاعبدوه) كلام مستأنف مسوق لتقدير أصل

الديانة المترتبة على الإيمان بما أورده ، وإن واسمها ، وربي خبرها وربكم عطف على ربي . فاعبدوه : الفاء الفصيحة أي إذا شئتم حسن المصير فاعبدوه ، واعبدوه فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والهاء مفعول به وجملة اعبدوه لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (هذا صراط مستقيم) يصح أن تكون الجملة مستأنفة أو مفسرة ، وعلى الحالين لا محل لها . وهذا مبتدأ وصراط خبر ومستقيم صفة لصراط (فلما أحس عيسى منهم الكفر) الفاء عاطفة على محذوف تقديره فكذبوه ، لأنه قول مرتب على هذا المحذوف . ويجوز أن تعرب استئنافية ولما ظرفية حينية أو رابطة وقد تقدم ذكرها كثيراً ، وجملة أحس عيسى في محل جر بإضافة الظرف إليه أو لا محل لها إذا أعربناها رابطة . وأحس فعل ماض وعيسى فاعل ومنهم جار ومجرور متعلقان بأحس والكفر مفعول به ويجوز أن يتعلقا بمحذوف حال من الكفر أي حال كونه صادراً منهم (قال من أنصاري إلى الله) جملة قال لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وهو لما ومن اسم استفهام مبتدأ وأنصاري خبره وإلى الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الياء في أنصاري ، والمعنى من أنصاري حال كوني ماضياً إلى سبيل الله شارعاً في المناضلة عنه ونصرته ؟ وللزمخشري رأي طريف في هذا الجار والمجرور إذ جعلهما من صلة أنصاري مضمناً معنى الإضافة ، كأنه قال : من الذين يضيفون أنفسهم إليّ ينصرونني كما ينصرني ؟ (قال الحواريون : نحن أنصار الله) جملة مستأنفة مسوقة لتقرير الجواب على استفهامه . وقال الحواريون فعل وفاعل وجملة نحن أنصار الله من المبتدأ والخبر مقول القول (آمنا بالله) آمنا فعل وفاعل وبالله جار ومجرور متعلقان بآمنا والجملة خبر ثان لنحن (واشهد بأنّا مسلمون) الواو استئنافية واشهد

فعل أمر وبأنا الباء حرف جر وأن واسمها ، ومسلمون خبرها . وأن وما في حيزها مصدر في محل جر بالباء والجار والمجرور متعلقان باشهد ، وهذا أحسن من جعلها عاطفة لئلا يلزم عطف الإنشاء على الخبر ، وهو مرجوح ، وإنما طلبوا شهادته بإسلامهم تأكيداً لإيمانهم (ربنا آمنا بما أنزلت) ربنا منادى مضاف وجملة آمنا خبر ثالث لنحن وبما جار ومجرور متعلقان بآمنا وجملة أنزلت لا محل لها لأنها صلة الموصول (واتبعنا الرسول) عطف على جملة آمنا والرسول مفعول به (فاكتبنا مع الشاهدين) الفاء الفصيحة أي إذا كان الأمر كما تقدم فاكتبنا ، ولك أن تجعلها استئنافية ومع ظرف مكان متعلق باكتبنا والشاهدين مضاف إليه (ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين) الواو استئنافية ومكروا فعل وفاعل ومكر الله عطف على مكروا والله الواو حالية والله مبتدأ وخير الماكرين خبره والجملة في محل نصب على الحال .

البلاغة :

١ ـ الاستعارة التمثيلية في أحس ، إذ لا يحس إلا ما كان متجسداً ، والكفر ليس بمحسوس ، وإنما يعلم ويدرك كعلم ما يدرك بالحواس .

٢ ـ فن المشاكلة وقد مرت الإشارة إلى هذا الفن ، وحقيقة ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته ، فكأنه قال : وأخذهم بمكرهم ، لأن الله تعالى وتقدس لا تستعمل في حقه لفظة توهم الشناعة . وهو كثير شائع في القرآن ، فاعلمه . ومنه في الشعر قول عمرو بن كلثوم :

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

أي فنجازيه على جهله ، فجعل لفظة فنجهل موضع فنجازيه للمشاكلة . ومن طريف المشاكلة قول أبي تمام الطائي :

والدهر ألأم من شرقت بلؤمه إلا إذا أشرقته بكريم

أي انتصرت عليه بكريم فقال : أشرقته ، للمشاكلة .

﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٥٥) فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ (٥٦) وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ (٥٧) ﴾

الاعراب :

(إذ قال الله يا عيسى) إذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق باذكر مقدراً أو متعلق بمكروا أو ظرف لخير الماكرين . وجملة قال الله في محل جر بالإضافة ويا حرف نداء وعيسى منادى مفرد علم مبني على الضم المقدر على الألف (إني متوفيك ورافعك الي) إن واسمها ومتوفيك خبرها والكاف مضاف اليه ورافعك عطف على متوفيك وإلي جار ومجرور متعلقان برافعك لأنه إسم فاعل (ومطهرك من الذين كفروا) ومطهرك عطف على ما تقدم ومن الذين جار ومجرور متعلقان بمطهرك وجملة كفروا صلة الموصول لا محل لها (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا) وجاعل عطف أيضاً والذين اسم موصول في محل جر بالاضافة وجملة اتبعوك صلة الموصول لا محل لها وفوق

ظرف مكان متعلق بمحذوف مفعول به ثان لجاعل والذين مضاف إليه وجملة كفروا صلة الموصول (إلى يوم القيامة) الجار والمجرور متعلقان بجاعل ، يعني أن هذا الجعل مستمر إلى يوم القيامة (ثم إلي مرجعكم) ثم حرف عطف للتراخي وإلي جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ومرجعكم مبتدأ مؤخر (فأحكم بينكم) الفاء حرف عطف للتعقيب وأحكم فعل مضارع مرفوع وبينكم ظرف مكان متعلق بأحكم (فيما كنتم فيه تختلفون) فيما جار ومجرور متعلقان بأحكم وجملة كنتم صلة الموصول وكان واسمها ، وفيه جار ومجرور متعلقان بتختلفون وجملة تختلفون في محل نصب خبر كنتم ، والجملة كلها في محل نصب مقول ا لقول(فأما الذين كفروا) الفاء استئنافية والجملة مستأنفه مسوقة لتكون تفسيراً للحكم بين الفريقين • وأما حرف شرط وتفصيل والذين مبتدأ وجملة كفروا صلة الموصول لا محل لها (فأعذبهم عذاباً شديداً في الدنيا والآخرة) الفاء رابطة لجواب أما وأعذبهم فعل وفاعل مستتر ومفعول به والجملة الفعلية خبر الذين وعذاباً مفعول مطلق وشديداً صفة وفي الدنيا جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة ثانية والآخرة عطف على الدنيا (وما لهم من ناصرين) الواو حالية أو استئنافية وما نافية ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ومن حرف جر زائد وناصرين مجرور بمن لفظاً مرفوع محلاً لأنه مبتدأ مؤخر والجملة حالية أو استئنافية (وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات) عطف على الآية السابقة والصالحات مفعول به منصوب بالكسرة لأنه جمع مؤنث سالم (فيوفيهم أجورهم) الفاء رابطة لجواب أما ويوفيهم فعل مضارع مرفوع وفاعله ضمير مستتر تقديره هو والهاء مفعول به أول وأجورهم مفعول به ثان والجملة خبر الذين (والله لا يحب الظالمين) الواو استئنافية والله مبتدأ وجملة لا يحب الظالمين خبر •

البلاغـة :

اختلف المفسـرون في قوله : « إنـي متوفيك ورافعـك إلي » ، قال قتادة وغيره : هذا من المقدم والمؤخر ، والتقدير : إني رافعك إلي ومتوفيك . يعني بعد ذلك . قال علي بن طلحة عن ابن عباس : إني متوفيك أي مميتك . وجمهور المفسرين يقولون : المراد بالوفاة هنا النوم ، كما قال تعالى : « وهو الذي يتوفاكم بالليل » الآية . وقـد اقتبس هذا المعنى بلفظه بعض الشعراء فقال :

تبـارك من توفاكم بليـل ويعلم مـا جرحتم في النهـار

﴿ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾

الإعـراب :

(ذلك نتلوه عليك من الآيات) جملة مستأنفة مسوقة لبيان ما تقدم من أمر عيسى وذلك مبتـدأ وجملة نتلوه خبر وعليك جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ويجوز أن يكون اسم الإشارة مبتدأ وجملة نتلوه في موضع نصب على الحال ومن الآيات جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (والذكر الحكيم) عطف على الآيات والحكيم صفة (إن مثل عيسى عند الله) كلام مستأنف سيق تمهيداً لذكر محاجة وفد نجران الذي قدم على النبي صلى اللـه عليه وسلم يسأله في أمر عيسى عليه السلام . وإن واسمها ، وعيسى مضاف إليه وعند الله ظرف متعلق

بمحذوف حال (كمثل آدم) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر وآدم مضاف إليه مجرور بالفتحة لأنه لا ينصرف كما تقدم (خلقه من تراب) الجملة مفسرة لشبه عيسى بآدم لا محل لها وخلقه فعل ومفعول به والفاعل هو يعود على الله ومن تراب جار ومجرور متعلقان بخلقه (ثم قال له كن فيكون) ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي وقال فعل ماض وله جار ومجرور متعلقان بقال وجملة كن التامة في محل نصب مقول القول وقوله فيكون عطف ، وهي حكاية حال ماضيه (الحق من ربك) جملة مستأنفة مسوقة لتقرير أن الحق الثابت الذي لا يطرأ عليه التغيير هو من ربك فالحق مبتدأ ، ومن ربك خبر ، ويجوز أن يكون الحق خبراً لمبتدأ محذوف أي ما قصصنا عليك هو الحق ، ومن ربك جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (فلا تكن من الممترين) الفاء الفصيحة أي إذا علمت هذا وقد علمته فلا تكن والجملة جواب الشرط غير جازم لا محل لها ولا ناهية وتكن فعل مضارع ناقص مجزوم بلا واسمها ضمير مستتر تقديره أنت ومن الممترين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر •

البلاغـة :

المقصود بالنهي « لا تكن من الممترين » إما زيادة تهييجه صلى الله عليه وسلم على الثبات ، والطمأنينة ، وحاشاه أن يكون ممترياً ، أو أن الخطاب لغيره لطفاً بهم •

﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ

فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ ﴾

اللغة :

(حاجّك) : خاصمك وجادلك ، وقارعك الحجة . والمحاجّة هي مفاعلة ، ولا تقع إلا من اثنين فصاعداً .

(تعالوا) : تعال فعل أمر على الأصح ولامه مفتوحة دائماً ، وأصله طلب الإقبال من مكان مرتفع تفاؤلاً بذلك ، وإذناً للمدعو لأنه من العلو والرفعة . فإذا أمرت المفرد قلت : تعال ، ثم توسع فيه فاستعمل في مجرد طلب المجيء . وقد لحنوا أبا فراس الحمداني لأنه كسر لامه مع ياء الخطاب بقوله :

أيا جارتا ما أنصف الدهر بيننا   تعالي أقاسمك الهموم تعالي

وقد يجاب عنه بأنه ضرورة شعرية .

(نبتهل) المباهلة والابتهال في الأصل : الملاعنة . وفعله الثلاثي بهلة بهلاً من باب نصر لعنه . واسم الفاعل باهل ، والانثى باهلة ، وبها سميت قبيلة عربية ، ثم تطورت الكلمة وأطلقت على كل دعاء خيراً كان أم شراً ، وإن لم يكن لعاناً . وقد استعمل هذه الكلمة أبو العلاء المعري في رسالة الغفران إذ قال في صدد حديثه عن الخرمية ، وهم فئة من الزنادقة : « فعلى معتقدي هذه المقالة بهلة المبتهلين » والبهلة بضم الباء وفتحها : اللعنة أي لعنة اللاعنين ، وهذا المعنى هو المراد في الآية .

الإعـراب :

(فمن حاجّك فيه) الفاء استئنافية ومن اسم شرط جازم في محل رفـع مبتدا حاجك فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والفاعل ضمير مستتر تقديره هو والكاف مفعول به وفيه جار ومجرور متعلقان بحاجك والضمير يعود إلى عيسى أو الحق مطلقاً والجملة مستأنفة مسوقة لبيان حكم المباهلة وشروطها المستنبطه من الكتاب والسنة . وحاصل كلام الأئمة فيها أنها بعد النبي صلى اللـه عليه وسلم لا تجوز إلاّ في أمر مهم شرعاً ، وفـع فيه اشتباه وعناد ، لا يتاح دفعهما إلا بالمباهلة (من بعد ما جاءك من العلم) الجار والمجرور متعلقان بحاجك أي من ذلك الوقت وما اسم موصول مضاف إليه وجملة جاءك صلة الموصول ومن العلم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال أي كائناً من العلم (فقل : تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم) الفاء رابطة وقل فعل أمر وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت وتعالوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل وجملة قل في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر « ما » وجملة تعالوا في محل نصب مقول القول وندع فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب وفاعله نحـن وأبناءنا مفعول به وأبناءكم وما تلاه عطف على قوله « أبناءنا » وإنما أضافهم إليه صلى اللـه عليه وسلم والأمر مختص به وبمن يباهله لأن ذلك آكد في الدلالة على الثقة بالنفس والإيمان بانتصار حجته ، وإلا ما كان عرض أفلاذ كبده وأهله للهلاك ، ولكن المباهلة لم تتم ورجع الوفد بحجة استشارة قومه من دون الارتطام بها كما هو مبين في كتب التاريخ فارجع إليها . (ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين) ثم حرف عطف للتراخي ونبتهل فعل مضارع معطوف على ندع مجزوم والفاء حرف عطف للتعقيب ونجعل عطف على نبتهل والفاعل بينهما نحن

ولعنت الله مفعول به وعلى الكاذبين جار ومجرور متعلقان بنجعل أو في محل نصب على أنهما بمثابة المفعول الثاني (إن هذا لهو القصص الحق) كلام مستأنف مسوق لتقدير ما تقدم ذكره وإن واسمها ، اللام المزحلقة وهو ضمير فصل لا محل له والقصص خبر أو « هو » مبتدأ والقصص خبره والجملة خبر إن والحق صفة للقصص (وما من إله إلا الله) الواو استئنافية وما نافية ومن حرف جر زائد وإله مجرور لفظاً مبتدأ ويجوز أن يكون الخبر محذوفاً أي لنا . وإلا أداة حصر والله بدل من محل إله وهو الرفع . ويجوز أن يكون الله خبر إله والجملة مستأنفة (وإن الله لهو العزيز الحكيم) تقدم إعراب نظيرتها قريباً (فإن تولوا فإن الله عليم بالمفسدين) الفاء استئنافية والجملة مستأنفة وإن شرطية وتولوا فعل ماض مبني على الفتح المقدر على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين والواو فاعل والجملة في محل جزم فعل الشرط فإن الفاء رابطة وإن واسمها ، وعليم خبرها وبالمفسدين جار ومجرور متعلقان بعليم والجملة في محل جزم جواب الشرط .

الفوائد :

نص العلماء على كتابة « لعنة » بالتاء المفتوحة هنا وفي سورة النور فقط وما عداها تكتب بالتاء المربوطة على الأصل المعروف .

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٤) ﴾

الإعراب :

(قل يا أهل الكتاب) كلام مستأنف مسوق للبحث في الجدل الذي ثار حول إبراهيم عليه السلام عند مقدم وفد نجران ، وقل فعل أمر وفاعله

أنت ويا حرف نداء وأهل الكتاب منادى مضاف (تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم) الجملة نصب على أنها مقول القول وتعالوا تقدم إعرابها قبل قليل وإلى كلمة جار ومجرور متعلقان بتعالوا وسواء صفة وبيننا ظرف مكان متعلق بسواء لأنها أجريت مجرى المصادر كما تقدم في أول البقرة وبينكم عطف على بيننا (أن لا نعبد إلا الله) أن وما في حيزها مصدر مؤول بدل من « كلمة » ، أو خبر لمبتدأ محذوف تقديره هي ، وأن مصدرية ولا نافية ونعبد فعل مضارع منصوب بأن وفاعله مستتر تقديره نحن وإلا أداة حصر والله مفعول به . والكلمة تطلق في اللغة على الجملة المفيدة (ولا نشرك به شيئاً) الواو عاطفة ولا نافية ونشرك عطف على نعبد وبه جار ومجرور متعلقان بنشرك وشيئاً مفعول به أو مفعول مطلق وقد تقدم الكلام على هذا الإعراب (ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله) الواو عاطفة ولا نافية ويتخذ فعل مضارع معطوف على لا نعبد ولا نشرك وبعضنا فاعل وبعضاً مفعوله الأول وأرباباً مفعوله الثاني ومن دون الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لـ « أرباباً » (فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنّا مسلمون) الفاء استئنافية وما بعدها كلام مستأنف لا محل له مسوق لتقرير جوابهم وإن شرطية وتولوا فعل ماض في محل جزم فعل الشرط أي أعرضوا ، فقولوا الفاء رابطة لجواب الشرط والجملة في محل جزم جواب الشرط واشهدوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والجملة في محل نصب مقول القول وبأنا الباء حرف جر وأن حرف مشبه بالفعل ونا اسمها ومسلمون خبرها وأن وما بعدها في محل جر بالباء والجار والمجرور متعلقان باشهدوا .

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ

﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾

الإعـراب :

(يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم) كلام مستأنف لإتمام قصة الجدل في أمر إبراهيم عليه السلام ، ويا حرف نداء وأهل الكتاب منادى مضاف ولم : اللام حرف جر وما اسم استفهام حذفت ألفها بعد حرف الجر كما سيأتي في باب الفوائد ، والجار والمجرور متعلقان بتحاجون وتحاجون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل وفي إبراهيم جار ومجرور متعلقان بتحاجون ولا بد من حذف مضاف أي في دين إبراهيم لأن المجادلة لا تكون في الذوات (وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده) الواو حالية وما نافية وأنزلت فعل ماض مبني للمجهول والتوراة نائب فاعل والإنجيل عطف على التوراة وإلا أداة حصر من بعده جار ومجرور متعلقان بأنزلت فهو استثناء مفرّغ (أفلا تعقلون) الهمزة للاستفهام الإنكاري التعجبي وهي داخلة على مقدر هو المعطوف عليه بهذا العاطف أي ألا تتفكرون فلا تعقلون بطلان قولكم ؟ (ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم) الهاء للتنبيه وأنتم مبتدأ وهؤلاء خبر والجملة مستأنفة مسوقة لبيان بطلان قولهم وجملة حاججتم مستأنفة مسوقة لبيان الجملة قبلها والمعنى أنتم هؤلاء الأشخاص الحمقى ، وآية حمقكم أنكم أمعنتم في اللّجاج والمكابرة فيما لا طائل تحته ، وفيما جار ومجرور متعلقان بحاججتم ولكم جار ومجرور

متعلقان بمحذوف خبر مقدم وبه جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة لعلم فلما تقدم أعرب حالاً وعلم مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية لا محل لها لأنها صلة ما الموصولة (فلم تحاجون)الفاء عاطفة ولم تحاجون تقدم إعرابها قريباً (فيما ليس لكم به علم) فيما جار ومجرور متعلقان بتحاجون وليس فعل ماض ناقص ولكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ليس المقدم وبه جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال وعلم اسم ليس المؤخر (والله يعلم وأنتم لا تعلمون) الواو استئنافية والله مبتدأ وجملة يعلم خبر وأنتم الواو عاطفة وأنتم ضمير منفصل مبتدأ وجملة لا تعلمون خبر •

الفوائد :

١ ــ أعلم أن الأصل وصل الهاء التنبيهية باسم الإشارة لأن تعريف أسماء الإشارة في أصل الوضع بما يضاف إليها من إشارة المتكلم الحسية من يد أوجارحة أخرى فجيء في أوائلها بحرف ينبه بها المتكلم المخاطب حتى يلتفت إليه وينظر إلى أي شيء يشير من الإشارة الحاضرة ، ويفصل بـ «أنا» وأخواته كثيراً نحو : ها أنا ذا وها أنتم أولاء وها هو ذا وبغيرها قليلاً ، وليس المراد بقولك : ها أنا أفعل ، أن تعرف المخاطب نفسك وأن تعلمه أنك لست غيرك ، لأن هذا محال ، بل المعنى فيه وفي : ها أنت ذا تقول ، وها هو ذا يفعل ، استغراب وقوع مضمون الفعل المذكور بعد اسم الإشارة من المتكلم أو المخاطب أو الغائب • والجملة بعد اسم الإشارة لازمة لبيان الأمر المستغرب ، ولا محل لها إذ هي مستأنفة ، وقال أبو عمرو بن العلاء :

« الأصل في ها أنتم : أأنتم ، أبدلت الهمزة الأولى هاء لأنها أختها »•

قال النحاس : وهذا قول حسن . وقال بعضهم : هي حالية ، أي ها أنت قائلاً والحال هنا لازمة لأن الفائدة معقودة بها ، والعامل في الحال حروف التنبيه أو اسم الإشارة . والذي نراه أن ما قررناه أولى ، وأن الاستئناف هو الأرجح ، إذ ليس المراد أنت المشار إليه في حال قولك . وما أعجب هذه اللغة الشريفة .

٢ ـ إذا وصلوا « ما » في الإستفهام حذفوا ألفها لوجوه : الأول للتفرقة بينها وبين أن تكون حرفاً . والثاني : لاتصالها بحرف الجر حتى صارت كأنها جزء منه لتنبىء عن شدة الاتصال . والثالث : للتخفيف ، لأن « ما » تقع كثيراً في الكلام ، وأبقوا الفتحة لتدل على أن المحذوف من جنسها ، كما فعلوا في علام ؟ وإلام ؟ وحتام ؟ وبم ؟ وعم ؟ وفيم ؟ ومم ؟ قيل : إن بعض العوام سأل أحد النحويين فقال له : بما توصيني ؟ وأثبت الألف في « ما » ، فقال : بتقوى الله واسقاط الألف من « ما » .

﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ۗ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾

اللغة :

(الحنف) الميل ، والمراد مائلاً عن الأديان كلها إلى الدين القيم .

الإعراب :

(ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً) كلام مستأنف أورده سبحانه تبرئة لإبراهيم مما حاولوا إلصاقه به . وما نافية وكان فعل ماض ناقص

وإبراهيم اسمها ويهودياً خبرها والواو حرف عطف ولا نافية ونصرانياً معطوف على « يهودياً » (ولكن كان حنيفاً مسلماً) الواو عاطفة ولكن مخففة مهملة وكان فعل ماض ناقص واسمها هو وحنيفاً خبرها الأول ومسلماً خبر ثان . (وما كان من المشركين) عطف على ما تقدم ومن المشركين متعلقان بمحذوف خبر كان (إن أولى الناس بإبراهيم) إن واسمها ، والناس مضاف إليه وبإبراهيم جار ومجرور متعلقان بأولى والجملة استئنافية (للذين اتبعوه) اللام المزحلقة والذين خبر إن واتبعوه فعل وفاعل ومفعول به والجملة صلة (وهذا النبي) الواو حرف عطف على الذين والنبي بدل من اسم الإشارة (والذين آمنوا) الواو حرف عطف والذين اسم موصول معطوف على هذا النبي وجملة آمنوا صلة الموصول (والله ولي المؤمنين) الواو استئنافية والله مبتدأ وولي خبر والمؤمنين مضاف إليه .

﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٦٩) يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ (٧٠) يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٧١) ﴾

اللغة :

(تلبسون) بكسر الباء أي تخلطون .

الإعراب :

(ودت طائفة من أهل الكتاب) ودت فعل ماض والتاء للتأنيث وطائفة فاعل ومن أهل الكتاب جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة

لطائفة والجملة مستأنفة مسوقة للحديث عن اليهود الذين دعوا عدداً من الصحابة منهم حذيفة ومعاذ وعمار إلى دينهم • وسيأتي بحث مهم عن معنى ودت في باب الفوائد (لو يضلونكم) لو مصدرية ويضلونكم فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل والكاف مفعول به ولو مؤولة مع ما بعدها بمصدر منصوب لأنه مفعول ودت ، والتقدير تمنّت إضلالكم (وما يضلون إلا أنفسهم) الواو حالية وما نافية ويضلون فعل وفاعل وإلا أداة حصر وأنفسهم مفعول به والجملة في محل نصب حال (وما يشعرون) عطف على الجملة السابقة (يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله) جملة مستأنفة مسوقة لتأكيد استركاك عقولهم ويا حرف نداء وأهل الكتاب منادى مضاف ولم اللام حرف جر وما اسم استفهام في محل جر باللام وحذفت ألف ما لوقوعها بعد حرف الجر كما تقدم قريباً ، وتكفرون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل والجار والمجرور المتقدم عليه متعلق به وبآيات الله جار ومجرور متعلقان بتكفرون (وأنتم تشهدون) الواو حالية وأنتم ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ وتشهدون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل والجملة خبر وجملة أنتم تشهدون في محل نصب حال (يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل) جملة مستأنفة ثالثة مسوقة لتأكيد استركاك عقولهم وقد تقدم إعراب نظيرتها (وتكتمون الحق) الواو عاطفة وتكتمون فعل مضارع والواو فاعل والحق مفعول به (وأنتم تعلمون) تقدم إعرابها •

الفوائد :

تستعمل « ود » بمعنى تمنى فتستعمل معها لو أو أن وربما جمع

بينهما فيقال : وددت لو أن فعل « والمصدر » الودادة والاسم منهود" وقد يتداخلان في المصدر والاسم وقال الراغب : إذا كان ود بمعنى أحب لا يجوز إدخال « لو » فيه أبداً ، وقال علي بن عيسى : إذا كان « ود » بمعنى تمنى صلح للماضي وللحال وللمستقبل ، وإذا كان بمعنى المحبة والإرادة لم يصلح إلا للماضي لأن الإرادة كاستدعاء الفعل وإذا كان للحال والمستقبل جاز أن ولو وإذا كان للماضي لم يجز أن لأن أن للمستقبل .

﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِالَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾

اللغـة :

(وجه النهار) أوله" وسمي الوجه وجهاً لأنه أول ما يبدو من الإنسان لمن يشاهده قال :

من كان مسروراً بمقتل مالك فليأت نسوتنا بوجه نهار

وقـال :

وتضيء" في وجه الظلام منيرة" كجمانة البحري سل" نظامها

الإعـراب :

(وقالت طائفة من أهل الكتاب) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة للحديث عن نوع آخر من تلبيسات اليهود فقد توطأ اثنا عشر حبراً من يهود خيبر فقال بعضهم لبعض : ادخلوا في دين محمد أول النهار باللسان ، دون اعتقاد بالجنان ، ثم اكفروا اخر النهار لادخال التشكيك في صدور أصحاب محمد وربما أفضى ذلك إلى رجوعهم عن دينهم . وقالت فعل ماض وطائفة فاعل ومن أهل الكتاب جـار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لطائفة (آمنوا بالذي أنزل عـلى الذين آمنوا) الجملة في محل نصب مقول القول وآمنوا فعل أمر مبني عـلى حذف النون وبالذي جار ومجرور متعلقان بآمنوا وجملة أنزل صلة وأنزل فعل ماض مبني للمجهول ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هو وعـلى الذين آمنوا جار ومجرور متعلقان بأنزل وجـملة آمنوا صلة (وجه النهار) ظرف زمان متعلق بآمنوا (واكفروا آخره) الواو حرف عطف واكفروا فعل أمر مبني على حذف النون معطوف عـلى آمنوا وآخره ظرف زمان متعلق باكفروا (لعلهم يرجـعون) جملة الرجاء في محل نصب على الحال أي راجين رجوعهم عن دينهم ولعل واسمها وجملة يرجعون خبرها ثم أردف بتتمة مقولهم فهو داخل في حيزه (ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم) الواو عاطفة ولا ناهيـة وتؤمنوا فعل مضارع مجزوم بلا والواو فاعل وإلا أداة اسـتثناء ولمن اللام حرف جر ومن اسم موصول في محل جر باللام والجـار والمجرور في محل نصب على الاستثناء من محذوف تقديره ولا تؤمنوا أي تعترفوا وتظهروا بأن يؤتى أحد بمثل ما أوتيتم لأحد من الناس إلا لأشياعكم دون غيرهم وتبع فعل ماض وفاعله هو والجملة الفعلية

صلة ودينكم مفعول به (قل : إن الهدى هدى الله) الجملة من قـول ومقولها وهو ان واسمها وخبرها لا محل لها لأنها اعتراضية (أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم) أن وما في حيزها في تأويل مصدر مجرور بنزع الخافض والجار والمجرور متعلقان بتؤمنوا وأحد نائب فاعل يؤتى ومثل مفعول به ثان وما اسم موصول في محل جر بالإضافة وجمـلة أوتيتم صلة (أو يحاجوكم عند ربكم) أو حرف عطف ويحـاجوكم فعل مضارع معطوف على يؤتى وعلامة نصبه حذف النون والواو فاعل والكاف مفعول به وعند ظرف مكان متعلق بمحذوف حـال وربكم مضاف إليه (قل إن الفضل بيد الله) قل فعل أمر وفاعله أنت وإن واسمها ، وبيد الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر وإن ومـا في حيزها جملة اسمية في محل نصب مقول القول (يؤتيه من يشاء) جملة يؤتيه في محل نصب حال ويؤتي فعل مضارع وفاعله هو والهاء مفعول يؤتي الأول ومن اسم موصول في محل نصب مفعول يؤتي الثاني وجملة يشاء صلة (والله واسع عليم) الواو استئنافية والله مبتدأ وواسع خبر أول وعليم خبر ثان (يختص برحمته من يشاء) الجملة خبر ثالث ويختص فعل مضارع مرفوع وفاعله هو أي الله تعـالى وبرحمته جار ومجرور متعلقان بيختص ومن اسم موصول في محل نصب مفعول بـه وجملة يشـاء لا محل لها مـن الإعراب لأنهـا صلة الموصـول (والله ذو الفضل العظيم) الواو عاطفة والله مبتدأ وذو الفضل خبر مرفوع وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة لأنه من الأسماء الخمسة والفضل مضاف إليه والعظيم صفة للفضل .

الفوائـد :

كثر الخوض في هذه الآية والاختلاف في إعرابها وتخريجها ، وأوصل

بعض المعربين أوجه الإعراب فيها إلى تسعة دون أن يصلوا إلى وجه حاسم يخلو من الاعتراضات •

ما يقوله الواحدي :

قال الواحديّ وهو من كبار المشتغلين بالمسائل الإعرابية : « وهذه الآية من مشكلات القرآن وأصعبه إعراباً وتفسيراً ، ولقد تدبّرت أقوال أهل التفسير والمعاني في هذه الآية فلم أجد قولاً يطّرد في الآية من أولها إلى آخرها مع بيان المعنى وصحة النّظم » •

ما يقولـه الشـهاب الحلبي :

وقال الشهاب الحلبي المعروف بالسّمين : « أعلم أنه قد اختلف الناس والمفسرون والمعربون في هذه الآية على أوجه » وذكر السمين الأوجه التسعة ، ولما كان كتابنا يتوخى الأسهل والأقرب إلى المنطق والأبعد عن التكلف اكتفينا في باب الإعراب بما أوردناه فيه ورأينا أنه الأقرب إلى ما توخيناه وقد اختاره الزمخشري في كشافه ، ولكننا نرى من المفيد أن نثبت ما قاله أبو حيان ، ثم نعقب عليه بما قاله ابن هشام •

ما يقوله ابو حيان :

قال أبو حيان الأندلسي في تفسيره البحر المحيط بعد كلام طويل : « يحتمل القول وجوهاً :

١ ــ أن يكون المعنى : ولا تصدقوا تصديقاً صحيحاً وتؤمنوا إلا لمن جاء بمثل دينكم مخافة أن يؤتى أحد من النبوة والكرامة مثل ما أوتيتم ومخافة أن يحاجوكم بتصديقكم إياهم عند ربهم إذا لم يستمروا


صفحة مفقودة

المعترضة بالحالية ويميزها منها أمور : أحدها أنها تكون غير خبرية كالأمرية في « ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم قل : إن الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثلما أوتيتم » ، كذا مثل ابن مالك وغيره بناء على أن « أن يؤتى أحد » متعلق بتؤمنوا وأنّ المعنى : ولا تظهروا تصديقكم بأن أحداً يؤتى من كتب الله مثل ما أوتيتم وبأن ذلك الأحد يحاجونكم عند الله تعالى يوم القيامة بالحق فيغلبونكم إلا لأهل دينكم لأن ذلك لا يغير اعتقادهم بخلاف المسلمين فإن ذلك يزيدهم ثباتاً ، وبخلاف المشركين فإن ذلك يدعوهم إلى الإسلام . ومعنى الإعتراض حينئذ أن الهدى بيد الله ، فإذا قدره لأحد لم يضره مكرهم . والآية محتملة لغير ذلك ، وهي أن يكون الكلام قد تم عند الاستثناء ، والمراد : لا تظهروا والإيمان الكاذب الذي توقعونه وجه النهار وتنقضونه آخره إلا لمن كان منكم كعبد الله بن سلام ثم أسلم ، وذلك لأن إسلامهم كان أغيظ لهم ورجوهم إلى الكفر كان عندهم أقرب ، وعلى هذا ف « أن يؤتى » من كلام الله تعالى ، وهو متعلق بمحذوف مؤخر ، أي : الكراهية أن يؤتى أحد دبرتم هذا الكيد .

وهذا الوجه أرجح لوجهين : أحدهما أنه الموافق لقراءة ابن كثير : أأن يؤتى بهمزتين ، أي : الكراهية أن يؤتى قلتم ذلك ، والثاني أن في الوجه الأول عمل ما قبل إلا فيما بعدها ، مع أنه ليس من المسائل الثلاث المذكورة آنفاً ، والثاني مما يميزها الدّعائية كقول عوف بن محلم :

إن الثمانين ، وبلغتها قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

وكالتنزيهية في قوله تعالى : « ويجعلون لله البنات . سبحانه ، ولهم ما يشتهون » وكالاستفهامية في قوله تعالى : « فاستغفروا لذنوبهم ،

ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا » إلى آخر هذا البحث الممتع الذي عكره الأسلوب الجاف .

ما يقوله الزمخشري :

ولا مندوحة لنا عن ذكر عبارة الزمخشري التي جاءت مؤيدة لما ذهبنا إليه في الإعراب ، قال : « ولا تؤمنوا متعلق بقوله : أن يؤتى أحد ، وما بينهما اعتراض ، أي : ولا تظهروا إيمانكم بأن يؤتى أحد مثلما أوتيتم إلا لأهل دينكم دون غيرهم ، أرادوا : أسروا تصديقكم بأن المسلمين قد أوتوا مثلما أوتيتم ولا تفشوه إلا لأشياعكم وحدهم دون المسلمين لئلا يزيدهم ثباتاً ، ودون المشركين لئلا يدعوهم إلى الإسلام ، أو يحاجوكم به عند ربكم : عطف على أن يؤتى والضمير في يحاجوكم لأحد لأنه في معنى الجمع ، ولا تؤمنوا لغير أتباعكم أن المسلمين يحاجونكم يوم القيامة بالحق ويغالبونكم عند الله بالحجة » .

وقد كدنا نخرج عن شرط الكتاب في تلخيص الأقوال ، فحسبنا ما أوردناه ولعل بعض العلماء كان على حق عندما قرر أن هذه الآية أعظم آي هذه السور إشكالاً ، وكلام الله أكبر ، وغور لغتنا العربية أبعد وأعمق من أن يسبر .

﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾

اللغة :

(دينار) : الدينار : ضرب من قديم النقود الذهبية ، والجمع دنانير

وأصله دنّار بنونين ، فاستثقل توالي مثلين فأبدلوا أولهما حرف علة تخفيفاً لكثرة دورانه في الاستعمال ، ويدل على ذلك رده إلى النونين عند جمعه جمعاً مكسراً أو عند تصغيره ، فقالوا : دنانير ودنينير .

(الأميين) جمع أمي والمراد به هنا :من ليس من أهل الكتاب . ومعلوم أن اليهود استباحوا دماء العرب وأموالهم وأعراضهم .

الإعـراب :

(ومن أهل الكتاب) جملة مستأنفة مسوقة للشروع في بيان خيانتهم في الأموال بعد بيان خيانتهم في الدين ، والواو استئنافية ومن أهل الكتاب جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم (مَن إن تأمنه بقنطار يؤده إليك) من اسم موصول مبتدأ مؤخر ولك أن تعربها نكرة موصوفة أيضا أي : ناس وهي مبتدأ مؤخر وإن شرطية وتأمنه فعل الشرط مجزوم والهاء مفعول به والفاعل أنت وبقنطار جار ومجرور متعلقان بتأمنه ويؤده جواب الشرط مجزوم وعلامة جزمه حذف حرف العلة والهاء مفعول به وإليك جار ومجرور متعلقان بيؤده وجملة الشرط وجوابه إما صلة للموصول إذا كانت من موصولة . وإما صفة لها في محل رفع إذا كانت من نكرة موصوفة (ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك) عطف على الجملة السابقة وتقدم إعرابها بحروفها (إلا ما دمت عليه قائماً) إلا أداة حصر وما دمت فعل ماض ناقص والتاء اسمها وقائماً خبرها وعليه جار ومجرور متعلقان بـ « قائماً » والاستثناء مفرغ من الظرف العام فهو ظرف (ذلك بأنهم قالوا) جملة مستأنفة مسوقة لبيان استحلالهم أموال العرب وإسم الإشارة في محل رفع مبتدأ والباء حرف جر وأن وما بعدها في محل

جر بالباء والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر وجملة قالوا خبر إن (ليس علينا في الأميين سبيل) الجملة في محل نصب مقول قولهم وليس فعل ماض ناقص وعلينا جار ومجرور متعلقان بمحذوف في محل نصب خبر ليس المقدم وفي الأميين جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال وسبيل اسم ليس المؤخر (ويقولون على الله الكذب) الواو استئنافية ويقولون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل وعلى الله جار ومجرور متعلقان بيقولون والكذب مفعول به على التضمين فمعنى يقولون يفترون والأحسن أن يعرب صفة لمصدر محذوف وذلك المصدر مفعول مطلق أي القول المكذوب (وهم يعلمون) الواو حالية وهم ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ وجملة يعلمون خبر •

الفوائد :

(ما دام) من أخوات كان وشرط إعمالها أن تتقدمها « ما » الظرفية والمصدرية ، فإذا قلت : لا أكلمك ما دام زيد قاعداً ، فالمراد زمن دوام قعوده ، و « ما » من قولك : ما دام ، تقع لازمة ولا بد منها ولا يكون معها الفعل إلا ماضياً ، وليس كذلك ما زال ، فإنه يجوز أن يقع موقع « ما » غيرها من حروف النفي ، ويكون الفعل مع النافي ماضياً ومضارعاً ، نحو : ما زال ولم يزل ولا يزال ، وأصل مادة « دام » السكون والثبوت يقال : دام الماء أي سكن ، ودوّمت الشمس إذا وقفت في كبد السماء •

﴿ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ ﴾

الإعـراب :

(بلى من أوفى بعهده واتقى) كلام مستأنف مسوق ليكون إثباتاً لما نفوه بقولهم : ليس علينا في الأميين سبيل ، أي العرب • وبلى حرف جواب وتصديق مثل نعم وأكثر ما تقع بعد الاستفهام وتختص بالإيجاب وسيأتي المزيد عنها في موضعه من هذا الكتاب ، ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ وأوفى فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وبعهده جار ومجرور متعلقان بأوفى ، واتقى عطف على أوفى (فإن الله يحب المتقين) الفاء رابطة لجواب الشرط وإن واسمها ، وجملة يحب خبرها والمتقين مفعول به وجملة فإن الله الخ في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر « من » (إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً) كلام مستأنف لا محل له من الإعراب مسوق لبيان كذب اليهود إذا حلفوا أو باعوا سلعة وحلفوا أنهم أعطوا فيها كذا وكذا ، وإن واسمها ، وجملة يشترون صلة وبعهد الله جار ومجرور متعلقان بيشترون والباء داخلة على المتروك وأيمانهم عطف على بعهد الله وثمناً مفعول به وقليلاً صفة (أولئك لا خلاق لهم في الآخرة) اسم الإشارة مبتدأ ولا نافية للجنس وخلاق اسمها المبني على الفتح ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها وفي الآخرة جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال وجملة لا خلاق لهم خبر أولئك وجملة الإشارة وما تلاها في محل رفع خبر إن (ولا يكلمهم الله) الواو عاطفة ولا نافية ويكلمهم فعل مضارع مرفوع والهاء مفعول به مقدم والله فاعل مؤخر والجملة عطف على جملة لا خلاق لهم (ولا ينظر إليهم) عطف أيضاً (يوم القيامة) الظرف متعلق بينظر (ولا يزكيهم) عطف على « ولا

ينظر إليهم » (ولهم عذاب أليم) الواو عاطفة ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وعذاب مبتدأ مؤخر وأليم صفة والجملة معطوفة أيضاً .

البلاغة :

١ ـ الاستعارة المكنية في الاشتراء ، أي أنهم يستبدلون بما عاهدوا عليه وبما حلفوا به من الأيمان متاع الدنيا ، وأراد بذلك تحريفهم للتوراة وتبديل ما ورد فيها .

٢ ـ الكناية في قوله « ولا يكلمهم ولا ينظر إليهم » عن السخط وشدة الغضب ، ومعنى « ولا يكلمهم الله » أي بما يسرهم « ولا ينظر إليهم » ولا يعطف عليهم بخير مقتاً من الله لهم ، كقول القائل : أنظر إلي نظر الله إليك ، بمعنى تعطّفه عليّ تعطّف الله عليك بخير ورحمة ، وكما يقال للرجل :

لا استجاب الله لك . والله لا تخفى عليه خافية على حد قول شمير بن الحارث الضّبّيّ :

دعوت الله حتى خفت أن لا يكون الله يسمع ما أقول

﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾

اللغة :

(يلوون ألسنتهم) يفتلونها ويديرونها عن الصحيح إلى المزيف ،

يقال : لويت عنقه : أي فتلته ، والمصدر : الّلي والّليّان ، وأصل الّلي الفتل والقلب ، من قول القائل : لوى فلان يد فلان ، ومنه قول فرعان بن الأعرف السعدي في ابنه منازل :

تخون مالي ظالماً ولوى يدي لوى يده الله الذي هو غالبه

وهـذا البيت من أبيات جميلة ، وقبله :

جزت رحم بيني وبـين منـازل
جزاءً كما يستنزل الدّين طالبه
وما كنت أخشى أن يكون منازل
عدّوي وأدنى شانىء أنا راهبه
حملت على ظهري وفديت صاحبي
صغيراً إلى أن أمكن الطّر شاربه
وأطعمته حتى إذا صار شـيظماً
يكاد يساوي غارب الفحل غاربه

تخون مالي ظالماً ... البيت .

الإعـراب :

(وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب) كلام مستأنف مسوق لوصف فريق منهم ككعب بن الأشرف ومالك بن الصّيف وحيّي بن أخطب وأبي ياسر وشعبة بـن عمرو الشاعر كانوا يلوون ألسـنتهم ويتشدقون بها محرفين ما فيها من نعت النبي محمد صلى الله عليه وسلم وغيره ، والواو استئنافية وإن حرف مشبه بالفعل ومنهم جار ومجرور

متعلقان بمحذوف خبر إن المقدم واللام المزحلقة وفريقاً اسم إن المؤخر وجملة يلوون صفة لـ « فريقاً » وجمع الضمير اعتباراً بالمعنى لأنه اسم جمع كالرهط والقوم ، والواو فاعل وألسنتهم مفعول به وبالكتاب : جار ومجرور متعلقان بيلوون (لتحسبوه من الكتاب) اللام لام التعليل وتحسبوه فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل وحذفت النون لأنه من الأفعال الخمسة والهاء مفعول تحسبوه الأول ومن الكتاب جار ومجرور في موضع المفعول الثاني وأن المضمرة وما بعدها في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بيلوون (وما هو من الكتاب) الواو حالية وما نافية حجازية تعمل عمل ليس وهو ضمير منفصل في محل رفع اسمها ومن الكتاب جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها (ويقولون : هو من عند الله) الواو حرف عطف ويقولون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون وهو معطوف على يلوون وهو مبتدأ ومن عند الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر والجملة الإسمية في محل نصب مقول القول (وما هو من عند الله) تقدم إعرابها بحروفها • (ويقولون على الله الكذب) عطف على ما سبق ويقولون فعل مضارع والواو فاعل وعلى الله جار ومجرور متعلقان بيقولون الكذب مفعول به أو مفعول مطلق وقد تقدم إعرابه قريباً ، (وهم يعلمون) الواو حالية وهم ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ وجملة يعلمون خبرها •

البلاغة :

التشبيه في قوله : « لتحسبوه » أي يعطفون ألسنتهم بشبه الكتاب لتحسبوا ذلك الشبه من الكتاب •

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾

اللغـة :

(البشر) الإنسان ذكراً وأنثى ، واحداً وجمعاً ، ولا واحد له من لفظه ، مثل القوم والخلق .

(ربانيين) الربانيون : جمع ربّاني ، وفيه أقوال أشهرها وأصحها ما ذكره سيبويه قال : الربّاني منسوب إلى الرب ، والألف والنون فيه زائدتان في النسب دلالة على المبالغة ، كرقباني ولحياني وشعراني للغليظ الرقبة والطويل اللحية والكثير الشعر ولا تفرد هذه الزيادة عن النسب ، أما إذا نسبوا إلى الرقبة واللحية والشعر من غير مبالغة قالوا : رقبي ولحوي وشعري . وهذه فائدة جليلة نرى اطّرادها في كل نسبة قصد منها المبالغة ، فيصح أن يقال : علماني نسبة للعلم .

الإعـراب :

(ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة) كلام مستأنف مسوق لبيان افتراء اليهود عـلى الأنبياء إثر افترائهم عـلى الله ، وما نافية وكان فعل ماض ناقص ، لبشر جار ومجرور متعلقان بمحـذوف خبر مقدم وأن حرف مصدري ونصب ويؤتيه فعل مضارع منصوب بأن والهاء مفعول به أول وأن وما في حيزها في تأويل مصدر اسـم

كان المؤخر والله فاعل يؤتيه والكتاب مفعول به ثان والحكم والنبوة معطوفان (ثم يقول للناس) ثم حرف عطف للتراخي وجملة يقول معطوف على يؤتيه وللناس جار ومجرور متعلقان بيقول (كونوا عباداً لي من دون الله) الجملة في محل نصب مقول القول وكان واسمها ، وعباداً خبرها ولي جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لـ « عباداً » ومن دون الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (ولكن كونوا ربانيّين) الواو عاطفة ولكن مخففة من الثقيلة مهملة وكونوا فعل أمر ناقص مبني على حذف النون والواو اسمها وربانيين خبرها وجملة كونوا ربانيين في محل مقول قول محذوف أي ولكن يقول كونوا .. (بما كنتم تعلّمون الكتاب) الباء حرف جر وما مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر مجرور بالباء والجار والمجرور متعلقان بربانيين لما فيه من رائحة الفعل وكان واسمها ، وجملة تعلمون الكتاب خبر كنتم والكتاب مفعول به . (وبما كنتم تدرسون)عطف على «بماكنتم» وجملة تدرسون خبر كنتم(ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً)الواو عاطفة ولا مزيدة لتأكيد النفي في قوله « ما كان لبشر أن يؤتيه » ، ويأمركم فعل مضارع معطوف على يؤتيه ، أي : ما كان لبشر أن يؤتيه الله ما ذكر ثم يأمر الناس بعبادة نفسه أو باتخاذ الملائكة والنبيين أرباباً ، وتوسيط الاستدراك بين المعطوف والمعطوف عليه للمسارعة الى تحقيق الحق . وقرىء برفع يأمركم على الاستئناف وابتداء الكلام . وسيأتي مزيد من تفصيل إعرابه في باب الفوائد . أن تتخذوا الواو حرف عطف وتتخذوا فعل مضارع منصوب بأن وعلامة نصبه حذف النون والواو فاعل والمصدر المؤول منصوب بنزع الحافض والجار

والمجرور متعلقان بيأمر والملائكة مفعول به أول والنبيين معطوف على الملائكة منصوب بالياء لأنه جمع مذكر سالم وأرباباً مفعول به ثان (أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون) كلام مستأنف لخطاب المؤمنين عن طريق التعجب من حال غيرهم والهمزة للاستفهام الإنكاري ويأمركم فعل مضارع مرفوع وفاعله هو والكاف مفعول به وبالكفر جار ومجرور متعلقان بيأمركم وبعد ظرف زمان متعلق بيأمركم أيضاً وإذ ظرف زمان مضاف لـ « بعد » وقد مر أنه لا يضاف إليها إلا الزمان نحو حينئذ ويومئذ ، وأنتم ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ ومسلمون خبره والجملة الاسمية في محل جر بإضافة الظرف إليها .

الفوائد :

١ ــ نفي الكون في قوله تعالى « ما كان لبشر » يراد به نفي خبره نحو : ما كان لك أن تفعل هذا ، والمراد نفي الفعل لا نفي الكون ، ويطرد هذا في نوعين :

آ ــ نوع يكون النفي من جهة العقل كالآية الآنفة الذكر لأن الله لا يعطي الكتاب لمن يقول مثل هذه المقالة الشنعاء .

ب ــ نوع يكون فيه النفي على سبيل الانبغاء والإمكان كقول أبي بكر : ما كان لابن أبي قحافة أن يتقدم فيصلي بين يدي رسول الله أي : ما ينبغي له ذلك ولا بإمكانه ، والمدار في التمييز بينهما على الذوق والإلمام بسياق الكلام وفحواه .

٢ ــ إذا عطفت قوله : « ولا يأمركم » على « يؤتيه » فتكون « لا » زائدة مؤكدة لمعنى النفي السابق . وإذا عطفته على « يقول »

فيجوز فيه وجهان :

آ ـ الزيادة : فالمعنى ، ما كان لبشر أن ينصبه الله للدعاء إلى عبادته وترك الأنداد ثم يأمر الناس بأن يكونوا عباداً له ويأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً .

ب ـ أن تكون غير زائدة ، ووجهه بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينهى قريشاً عن عبادة الملائكة ، وأهل الكتاب عن عبادة عيسى فلما قالوا له : أتتخذك رباً ؟ قيل لهم : ما كان لبشر أن يستنبئه الله ثم يأمر الناس بعبادته وينهاهم عن عبادة الملائكة والنبيين ، وقيل هو معطوف على قوله « ثم يقول » ويكون التقدير : ولا له أن يقول ، وقرىء بالرفع على الاستئناف وابتداء الكلام .

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ (٨١) ﴾

اللغة :

الإصر : المراد به هنا العهد وسمي العهد إصراً لأنه مما يؤصر أي : يعقد ويشد . والإصر كل ما يشد به .

الإعراب :

(وإذ أخذ الله ميثاق النبيين) كلام مستأنف مسوق لبحث العهد الذي أخذه الله تعالى على النبيين وأممهم والواو استئنافية وإذ ظرف

لما مضى من الزمن متعلق باذكر محذوفاً وقد مر نظيره وجملة أخذ في محل جر بالإضافة والله فاعل وميثاق مفعول به والنبيين مضاف إليه (لَمَا آتيتكم من كتاب وحكمة) اللام المفتوحة موطئة للقسم لأن أخذ الميثاق فيه معنى الاستحلاف وقيل : هي للابتداء التي يتلقى بها القسم وما اسم موصول مبتدأ وجملة آتيتكم لا محل لها من الإعراب لأنها صلة الموصول ومن كتاب جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال وحكمة عطف على كتاب (ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم) ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي وجاءكم فعل ماض والكاف مفعول به ورسول فاعل مؤخر مرفوع ومصدق صفة ولما اللام حرف جر وما اسم موصول في محل جر باللام والجار والمجرور متعلقان بمصدق ومعكم ظرف مكان متعلق بمحذوف لا محل له لأنه صلة الموصول (لتؤمننّ به ولتنصرنّه) الواو واقعة في جواب قسم مقدر وتؤمننّ فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون المحذوفة لتوالي الأمثال والأصل لتؤمنوننّ ولما التقى ساكنان حذفت الواو أيضاً وهي فاعل وبقيت الضمة دليلاً عليها ، والنون المشددة هي نون التوكيد الثقيلة لا محل لها ، وبه متعلق بتؤمننّ ، ولتنصرنه عطف على لتؤمنن وهو مثله في الإعراب والواو المحذوفة فاعل والهاء مفعول به وجملة القسم المقدر وجوابه خبر ما (قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري) جملة مفسرة لا محل لها وقال فعل ماض وفاعله هو والهمزة للاستفهام التقريري والتوكيدي لأن الاستفهام بمعناه الحقيقي مستحيل في حقه وأقررتم فعل وفاعل والجملة في محل نصب مقول القول وأخذتم عطف على أقررتم وعلى ذلكم جار ومجرور متعلقان

بأخذتم وإصري مفعول به والياء ضمير متصل في محل جر بالإضافة (قالوا أقررنا) الجملة مستأنفة لا محل لها وجملة أقررنا في محل نصب مقول القول (قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) الجملة مستأنفة مسوقة لتسجيل الشهادة علـى إقرارهم وقال فعل ماض والفاعل هو، فاشهدوا الفاء هي الفصيحة واشهدوا فعل أمر والواو فاعل والجملة لا محل لها ، وأنا الواو حالية أو استئنافية وأنا مبتدأ ومعكم ظرف متعلق بمحذوف حال ومن الشاهدين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر وجملة أنا معكم في محل نصب على الحـال أو اسـتئنافية لا محـل لهـا .

الفوائـد :

١ ـ شغلت هذه الآية المعربين كثيراً وسنورد خلاصة لأهم ماقيل فيها سالكين سبيل الاختصـار .

ما يقوله سـيبويه :

قال سيبويه : سألت الخليل عن قوله : « وإذا أخـذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم » فقال : « ما » بمعنى الذي ، قال النحاس في شرحه لكتاب سيبويه : التقدير في قول الخليل : الذي آتيتكموه ثم حذفت الهاء لطول الاسم واللام لام الابتداء ، وبهذا قال الأخفش ، وتكون « ما » في محل رفع على الابتداء . وقوله : ثم جاءكم وما بعده جملة معطوفة عـلى الصلة والعائد محذوف أي مصدق به .

ما يقوله المبرد والزّجاج والكسائي :

ما : شرطية دخلت عليها لام التحقيق كما تدخل على إن ولتؤمننّ جواب القسم الذي هو أخذ الميثاق ، إذ هو بمنزلة الاستحلاف كمـا

تقول : أخذت ميثاقك لتفعلنّ كذا ، وهو سار مسد الجزاء • وقال الكسائي : إن الجزاء في قوله فمن تولى •

ابن هشام يرد على أبي البقاء :

وقال ابن هشام في الرد على أبي البقاء : « وأما أبو البقاء فإنه قال في « لما آتيتكم من كتاب وحكمة » الآية : من فتح اللام ففي «ما» وجهان أحدهما أنها موصولة مبتدأ والخبر إما من كتاب أي الذي آتيتكموه من الكتاب ، أو لتؤمننّ به واللام جواب القسم لأن أخذ الميثاق قسم وجاءكم عطف على آتيتكم والأصل ثم جاءكم به فحذف عائد ما والأصل مصدق له ، ثم ناب الظاهر عن المضمر ، أو العائد ضمير استقر الذي تعلقت به « مع » والثاني أنها شرطية واللام موطئة وموضع ما نصب" بآتيت والمفعول الثاني ضمير المخاطب و «من كتاب» مثل « من آية » في « ما ننسخ من آية » وفيه أمور :

آ ـ إن اجازته كون من كتاب خبراً فيه الإخبار عن الموصول قبل كمال الصلة لأن « ثم جاءكم » عطف على الصلة •

ب ـ إن تجويزه كون لتؤمننّ خبر مع تقديره إياه جواباً لأخذ الميثاق يقتضي أن له موضعاً وأنه لا موضع له من حيث جعله خبراً ومن حيث أنه جواب للقسم وهذا تناقض ، وإنما كان حقه أن يقدره جواباً لقسم محذوف ويقدر الجملتين خبراً ، وقد يقال : إنما أراد بقوله : اللام جواب القسم لأن أخذ الميثاق قسم ، وأخذ الميثاق دال على جملة قسم مقدرة ومجموع الجملتين ، وإنما سمى « لتؤمننّ » خبراً لأنه الدال على المقصود بالأصالة لأنه وحده هو الخبر بالحقيقة ،

وإنه لا قسم مقدر بل « بل أخــذ الله ميثاق النبيين » هو جملة القسم ، وقد يقال : لو أراد هذا لم يحصر الدليل فيما ذكر للاتفاق على وجود المضارع مفتتحاً بلام مفتوحة مختتماً بنون مؤكدة وهو دليل قاطع على القسم وإن لم يذكر معه أخذ الميثاق أو نحوه .

ج ـ إن تجويزه كون العائد ضمير استقر يقتضي عود ضمير مفرد إلى شيئين معاً فإنه عائد إلى الموصول .

د ـ إنه جوّز حذف العائد المجرور مع أن الموصول غير مجرور ، فإن قيل : اكتفى بكلمة به الثانية فيكون كقوله :

لو أنّ ما عالجت لين فؤادها فقسا استلين به للان الجندل

قلنا قد جوز على هذا الوجه عود « به » المذكورة إلى « الرسول » لا إلى « ما » .

هـ ـ إنه سمى ضمير آتيتكم مفعولاً ثانياً وإنما هو مفعول أول .

٢ ـ اللام الموطئة للقسم: هي الداخلة على شرط وسميت موطئة لأنها توطىء ما يصلح أن يكون جواباً للشرط وللقسم فيصير جواب الشرط محذوفاً إذ ذاك لدلالة جواب القسم عليه .

﴿ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ (٨٢) أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٨٣) ﴾

الإعـراب :

(فمن تولى بعد ذلك) كلام مستأنف للرد على أهل الكتاب الذين

اختصموا إلى النبي صلى اللـه عليه وسلم والفاء استئنافية ومن شرطية في محل رفع مبتدأ تولى فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وبعد ظرف متعلق بتولى وذلك اسم إشارة في محل جر بالإضافة (فأولئك هم الفاسقون) الفاء رابطة لجواب الشرط وأولئك اسم إشارة مبتدأ وهم ضمير فصل لا محل له والفاسقون خبر أو « هم الفاسقون » مبتدأ وخبر والجملة خبر أولئك وجملتا فعل الشرط وجوابه في محل رفع خبر «من» .

(أفغير دين الله يبغون) الهمزة للاستفهام الانكاري ودخلت على الفاء العاطفة جملة على جملة ، والمعنى : فأولئك هم الفاسقون فغير دين الله يبغون ، ثم توسطت الهمزة بينهما ، ويجوز أن يعطف على محذوف تقديره : أيتولون فغير دين الله يبغون ، وقد تقدمت الإشـارة إلى ويبغون فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون لأنه من الافعال الخمسة والواو فاعل (وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً) الواو حالية وله جار ومجرور متعلقان بأسلم ، وأسلم فعل ماض والجملة في محل نصب حال ومن اسم موصول فاعل أسلم وفي السموات جـار ومجرور متعلقان بمحذوف لا محل له لأنه صلة والأرض عطف على السموات وطوعاً وكرهاً مصدران منصوبان على الحالية بمعنى طائعين أو كارهين أو على أنهما مفعولان مطلقان لفعلين محذوفين والأول أولى (وإليه يرجعون) الواو عاطفة وإليه جار ومجرور متعلقان بيرجعون ويرجعون قرىء بالتاء والياء وهو فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع بثبوت النون والواو نائب فاعـل .

﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا

نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾

اللغـة :

(الأسباط) : جمع سبط بكسر السين ، وهو ولد الولد . ويغلب على ولد البنت ، مقابل الحفيد الذي هو ولد الابن . والأسباط من اليهود مقابل القبيلة من العرب .

الإعـراب :

(قل : آمنا بالله) كلام مستأنف مسوق للطلب إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول هو وأصحابه : آمنا بالله . ولذلك وحد الضمير في قوله : « قل » ، وجمعه في قوله : « آمنا » . وقل فعل أمر وفاعله أنت وآمنا فعل ماض وفاعل وجملة آمنا مقول القول وبالله جار ومجرور متعلقان بآمنا (وما أنزل علينا) الواو عاطفة وما اسم موصول معطوف عـلى الله وجملة أنزل علينا صلة الموصول (وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط) الواو حرف عطف وما اسم معطوف على ما الأولى وأنزل فعل ماض مبني للمجهول ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هو وجملة أنزل صلة وعلى إبراهيم جار ومجرور متعلقان بأنزل والأسماء المتعاقبة عطف على إبراهيم (وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم) عطف على ما تقـدم ، وأوتي فعـل ماض مبني للمجهول وموسى نائب فاعل وما بعده عطف عليه ومن ربهم جار ومجرور متعلقان بأوتي (لا نفرق بين أحد منهم) لا نافية ونفرق فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر تقديره نحن وبين ظرف مـكان متعلق بنفرق ، وأحد مضاف إليه ومنهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة

لأحد والجملة حالية (ونحن له مسلمون) الو و حالية أو استئنافية ونحن مبتدأ وله جار ومجرور متعلقان بـ « مسلمون » • ومسلمون خبر نحن والجملة إما نصب على الحال وإما مستأنفة لا محل لها •

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ ﴾

الإعـراب :

(ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه) كلام مستأنف مسوق للشروع في الحديث عن المرتدين الذين لحقوا بالكفار ، وكانو اثني عشر رجلاً ارتدوا وخرجوا من المدينة وأتوا مكة كفاراً ، منهم الحارث بن سـويد الأنصاري • والواو استئنافية ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ويبتغ فعل الشرط وعلامة جزمه حذف حرف العلة وفاعله ضمير مستتر تقديره هو وغير : لنا فيها وجهان إما أن تكون مفعولاً به ليبتغ وديناً تمييز وإما أن تكون حالاً لأنها كانت في الأصل صفة لـ : ديناً ، ثم تقدمت عليه،وديناً على هذا الوجه مفعول به ، فلن الفاء رابطة

لجواب الشرط ولن حرف نفي ونصب واستقبال ويقبل فعل مضارع مبني للمجهول منصوب بلن ومنه جار ومجرور متعلقان بيقبل وجملة لن يقبل منه في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر من (وهو في الآخرة من الخاسرين) الواو للعطف وهو مبتدأ وفي الآخرة جار ومجرور متعلقان بالخاسرين ومن الخاسرين : جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر هو والجملة عطف على جواب الشرط ، ويحتمل أن تكون الواو استئنافية والجملة مستأنفة بمثابة الإخبار عن حاله في الآخرة (كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم) كلام مستأنف مسوق للحديث عن المرتدين الآنفي الذكر وقيل : نزلت بشأن اليهود أو المراد هؤلاء وأولئك . وكيف اسم استفهام معناه الجحد والنفي ، أي لا يهدي الله وهو في محل نصب حال ويهدي فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الياء والله فاعل وقوماً مفعول به وجملة كفروا صفة ل : قوماً وبعد ظرف زمان متعلق بكفروا وإيمانهم مضاف إليه (وشهدوا أن الرسول حق) هذا العطف من الدقائق إذ لا يصح عطفه على كفروا كما يبدو لأول وهلة لفساد المعنى فالأصح أن يعطف على ما في « إيمانهم » من معنى الفعل لأن معناه : بعد أن آمنوا بالله ، فهو من باب العطف على التوهم . ويمكن أن يقال إن الواو لا تقتضي الترتيب فهي معطوفة على كفروا ، ويجوز أن تكون الواو حالية بإضمار « قد » بعدها أي : وقد شهدوا ، والأول أمكن في المعنى وأبعد عن الوهن . وأن واسمها وخبرها وهي وما في حيزها في محل نصب بنزع الخافض أي بأن الرسول حق فيكون الجار والمجرور متعلقين بشهدوا (وجاءهم البينات) الواو عاطفة وجاءهم فعل ماض ومفعول به والبينات فاعل والجملة عطف على جملة شهدوا

ويجوز أن تكون الواو للحال بتقدير قد أي وقد شهدوا فالجملة نصب على الحال (والله لا يهدي القوم الظالمين) الواو استئنافية والله مبتدأ وجملة لا يهدي خبر والقوم مفعول به والظالمين صفة القوم (أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله) الجملة مستأنفة مسوقة لبيان جزائهم ومصيرهم ، وأولئك اسم إشارة في محل رفع مبتدأ أول وجزاؤهم مبتدأ ثان وأن وما في حيزها خبر جزاؤهم والجملة الاسمية خبر اسم الإشارة وعليهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر أن المقدم ، ولعنة الله اسم أن المؤخر(والملائكةوالناس أجمعين)الواوحرف عطف والملائكةعطف على الله والناس عطف أيضاً وأجمعين تأكيد مجرور وعلامة جره الياء لأنه جمع مذكر سالم (خالدين فيها) خالدين : حال وفيها جار ومجرور متعلقان بخالدين (لا يخفف عنهم العذاب) الجملة حال ثانية ولا نافية ويخفف فعل مضارع مبني للمجهول وعنهم جار ومجرور متعلقان بيخفف والعذاب نائب فاعل (ولا هم ينظرون) الواو عاطفة ولا نافية وهم ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ وينظرون أي يمهلون فعل مضارع والواو نائب فاعل والجملة في محل رفع خبر « هم » والجملة عطف على جملة لا يخفف (إلا الذين تابوا) إلا أداة استثناء والذين مستثنى وجملة تابوا لا محل لها لأنها صلة الموصول (من بعد ذلك) جار ومجرور متعلقان بتابوا ، وذلك اسم إشارة في محل جر بالإضافة (وأصلحوا) الجملة معطوفة على جملة تابوا (فإن الله غفور رحيم) الفاء هي الفصيحة وإن واسمها ، وغفور خبرها الأول ورحيم خبرها الثاني . هذا وقد اختلف في إعراب جملة الاستثناء وأكثر المعربين يعربونها حالاً متداخلة أي حالاً من حال ، لأن خالدين حال من الضمير في « عليهم » وأعربها آخرون جملة مستأنفة وهي بذلك مسوقة لبيان خلودهم في النار ،

وجدير بالذكر أن الذي تاب هو الحارث بن سويد بن الصامت الانصاري حين ندم على ردته وأرسل إلى قومه الأنصار يقول : سلوا هل لي من توبة ؟ فأرسل إليه أخوه الجلاس الآية ، فأقبل إلى المدينة فتاب وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم توبته .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٩١﴾ ﴾

الإعراب :

(إن الذين كفروا بعد إيمانهم) كلام مستأنف مسوق للحديث عن اليهود الذين كفروا بعيسى عليه السلام والإنجيل بعد إيمانهم بموسى والتوراة ثم ازدادوا كفراً بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ، وقيل هي عامة ، وإن واسمها ، وجملة كفروا لا محل لها لأنها صلة الموصول وبعد ظرف زمان متعلق بكفروا وإيمانهم مضاف إليه (ثم ازدادوا كفراً) ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي وازدادوا فعل ماض والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل وكفراً تمييز محول عن الفاعل أي : ازداد كفرهم ، وزاد يتعدى لاثنين ومطاوعه يتعدى لواحد فقط (لن تقبل توبتهم) لن حرف نصب وتقبل فعل مضارع مبني للمجهول منصوب بلن وتوبتهم نائب فاعل والجملة خبر إن (وأولئك هم الضالون) الواو حرف عطف أو استئنافية لئلا نحتاج إلى تقدير في عطف الجملة

الاسمية على الجملة الفعلية وقيل هي للحال ، والمعنى لن تقبل توبتهم من الذنوب في حال أنهم ضالون وأولئك اسم إشارة . وهم ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ ثان والضالون خبر « هم » والجملة الاسمية في محل رفع خبر اسم الإشارة أو « هم » ضمير منفصل لا محل له الضالون خبر أولئك (إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار) جملة مستأنفة مسوقة لتأكيد ما تقدم وإن واسمها ، وجملة كفروا صلة الموصول وماتوا عطف على كفروا وهم الواو حالية وهم ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ وكفار خبر والجملة نصب على الحال (فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً) الفاء رابطة للجواب لما في الموصول من رائحة الشرط وإنما دخلت الفاء هنا ولم تدخل في قوله « لن تقبل منهم » لأن الفاء مؤذنة بالاستحقاق بالوصف السابق ، وهنا قال « وماتوا وهم كفار » ولم يصرح هناك بهذا القيد ، ولن حرف نصب ويقبل فعل مضارع مبني للمجهول منصوب بلن والجملة خبر إن ومن أحدهم جار ومجرور متعلقان بيقبل وملء نائب فاعل والأرض مضاف إليه وذهباً تمييز وقد اختلف في ناصبه اختلافاً حدا بالكسائي إلى ترجيح نصبه بنزع الخافض ولعله أرجح (ولو افتدى به) الواو عاطفة على محذوف وسيأتي حكمها في باب الفوائد لو شرطية غير جازمة وافتدى فعل ماض مبني على الفتح المقدر على الألف وفاعله هو وبه جار مجرور متعلقان بافتدى (أولئك لهم عذاب أليم) الجملة برأسها خبر ثان لإن وأولئك اسم إشارة مبتدأ ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وعذاب مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية خبر اسم الإشارة وأليم صفة (وما لهم من ناصرين) الواو عاطفة وما نافية ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ومن حرف جر

زائد وناصرين مجرور بمن لفظاً مرفوع محلاً على أنه مبتدأ مؤخر .

الفوائد :

١ ـ العطف على التوهم : جعل جمهور النحاة العطف على التوهم مطرداً ، وهو أن تتوهم أن الأمر جار على الأصل فتعطف عليه كقول زهير بن أبي سلمى :

بدا لي أني لست مدركَ ما مضى ولا سابقٍ شيئاً إذا كان جائيا

بعطف سابق على توهم زيادة الباء في خبر ليس أي لست بمدرك ولا سابق ، وقول الآخر :

مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب إلا ببين غرابها

أي ليسوا بمصلحين ولا ناعب .

٢ ـ زعم نحويو البصرة أنه نصب الذهب لاشتغال الملء بالأرض ، ومجيء الذهب بعدهما ، فصار نصبها نظير نصب الحال ، وذلك أن الحال يجيء بعدها فعل قد شغل بفاعله فينصب كما ينصب المفعول الذي يأتي بعد الفاعل الذي قد شغل بفاعله . قالوا : ونظير قوله : ملء الأرض ذهباً ، في نصب الذهب في الكلام: لي مثلك رجلاً ، بمعنى لي مثلك من الرجال . وزعموا أن نصب الرجل لاشتغال الإضافة بالاسم ، فينصب كما ينصب المفعول به لاشتغال الفعل بالفاعل .

٣ ـ استشكل جماعة من المفسرين قوله تعالى : «فلن تقبل توبتهم»

مع كون التوبة مقبولة كما في الآية الأولى وكما في قوله تعالى : « وهو الذي يقبل التوبة عن عباده » وغير ذلك ، فقيل : لن تقبل توبتهم عند الموت . قال النحاس : وهذا قول حسن ، كما قال تعالى : « وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال : إني تبت الآن » . وقيل : الأولى أن يحمل عدم قبول التوبة في هذه الآية على من مات كافراً غير تائب ، فكأنه عبر عن الموت على الكفر بعدم قبول التوبة ، أو تابوا في الآخرة عند معاينة العذاب ، كما أشير إليه بقوله تعالى : « ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رءوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا » الخ وبقوله تعالى : « فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا » .

٤ ـ الواو المصاحبة للشرط تستدعي شرطاً آخر يعطف عليه الشرط الذي اقترنت الواو به ، والعادة في مثل ذلك أن يكون المنطوق منبهاً على المسكوت عنه بطريق الأولى . مثاله قولك : أكرم فلاناً ولو أساء ، فهذه الواو عطفت المذكور على محذوف تقديره : أكرم فلاناً لو أحسن ولو أساء ، إلا إنك نبهت بإيجاب اكرامه ان أساء ، على أن اكرامه إن أحسن بطريق الأولى، والافتداء بملء الأرض ذهباً هو جدير بالقبول ، فإن لم يقل فبطريق الأولى أن لا يقبل الافتداء بأقل من ذلك ، وهذا من دقائق النكت وأسرار لغتنا التي لا تقف عند مدى .

﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ قُلْ فَأْتُواْ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾﴾

اللغـة :

(حلاً) الحِلّ : بكسر الحاء مصدر حلّ ، يقال : حل الشيء حلالاً وحِلاً . ويستوي في الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع .

الإعـراب :

(لن تنالوا البِرّ حتى تنفقوا مما تحبون) : كلام مستأنف مسوق لبيان ما ينفع المؤمنين ويقبل منهم إثر بيان ما لا ينفع الكفار ولا يقبل منهم ، ولن حرف نفي ونصب واستقبال وتنالوا فعل مضارع منصوب بلن وعلامة نصبه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل والبر مفعول به وحتى حرف غاية وجر وتنفقوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد حتى والواو فاعل ومما جار ومجرور متعلقان بتنفقوا وجملة تحبون لا محل لها لأنها صلة « ما » الموصولية . واعلم أنّ هذه الآية وردت منظومة من غير قصد ، فلا تعد شعراً ، لأن الشعر عند العروضيين هو المنظوم بقصد ، وهذه الآية بيت كامل من مجزوء الرّمل ، ويأتي على الشكل التالي :

لـن تنالـوا البِرّ حتى   تنفقـوا مـا تحبّون

وسيرد الكثير من الآيات الموزونة بغير قصد الشعر .

(وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم) الواو استئنافية وما اسم شرط جازم في محل نصب مفعول به مقدم لتنفقوا وتنفقوا فعل الشرط مجزوم والواو فاعل ومن شيء جار ومجرور متعلقان بتنفقوا فإن الفاء

رابطة لجواب الشرط المحذوف بمثابة التعليل له ، وقد وقعت موقعه والتقدير : فيجازيكم بحسبه ومقداره فإنه عليم بكل شيء ، وإن واسمها، وعليم خبرها وبه : جار ومجرور متعلقان بعليم (كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل) كلام مستأنف مسوق لتفنيد تخرصات اليهود إذ قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : إنك تزعم أنك على ملة إبراهيم ، وكان إبراهيم لا يأكل لحوم الإبل ولا ألبانها ، وأنت تأكل ذلك وتشربه ، فلست على ملته . وكل مبتدأ وجملة كان حلاً خبره وكان فعل ماض واسمها هو وحلاً خبرها ولبني إسرائيل جار ومجرور متعلقان بقوله « حلاً » وإسرائيل مضاف إليه مجرور بالفتحة لأنه ممنوع من الصرف والمانع له العلمية والعجمة (إلا ما حرم إسرائيل على نفسه) إلا أداة استثناء وما اسم موصول في محل نصب على الاستثناء من اسم كان المستتر وجملة حرم لا محل لها من الإعراب لأنها صلة الموصول وإسرائيل فاعل وعلى نفسه جار ومجرور متعلقان بحرم والمراد بإسرائيل يعقوب وجملة الاستثناء حالية (من قبل أن تنزل التوراة) اختلف المعربون في تعليق من قبل والظاهر أنه متعلق بـ « حلاً » لمناسبة المعنى وأن وما في حيزها في تأويل مصدر مضاف لقبل والتوراة نائب فاعل (قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين) الجملة مستأنفة مسوقة لقطع الطريق على جوابهم والفاء الفصيحة لأنها أفصحت عن شرط مقدر أي إذا كنتم واثقين من أقوالكم وأصررتم عليها فأتوا بالتوراة ، وأتوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل وبالتوراة متعلقان بأتوا والجملة مقول القول ، فاتلوها الفاء عاطفة واتلوها فعل أمر مبني على حذف النون

والواو فاعل والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به وإن شرطية وكنتم فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط والتاء اسمها وصادقين خبرها وجواب الشرط محذوف دل عليه « فأتوا بالتوراة » (فمن افترى على الله الكذب) جملة مستأنفة مسوقة لوصف المفترين بالظالمين والفاء استئنافية ومن اسم شرط غير جازم في محل رفع مبتدأ وافترى فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وفاعله ضمير مستتر يعود على « من » ، وعلى الله جار ومجرور متعلقان بافترى والكذب مفعول به (من بعد ذلك) الجار والمجرور متعلقان بافترى أو بمحذوف حال (فأولئك هم الظالمون) الفاء رابطة لجواب الشرط وألئك اسم إشارة مبتدأ وهم مبتدأ ثان والظالمون خبر « هم » والجملة الاسمية خبر اسم الإشارة وهم ضمير فصل ، والظالمون خبر أولئك وجملة الإشارة وما بعدها في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر « من » .

﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾

اللغة :

(بكة) لغة في مكة ، وسميت مكة لأنها قليلة الماء تقول العرب :

مك الفصيل ضرع أمه وأمكه إذا امتص ما فيه من اللبن . وفي القاموس ما يدل على أنها سميت بذلك لأنها تمك الذنوب أي تمحوها وتزيلها . أما بكة فقد سميت بذلك لأنها تبك أعناق الجبابرة ، أي تذلهم وتهلكهم . وقيل : من بكه اذا زحمه ، سميت بذلك لازدحام الناس فيها . قال :

اذا الشريب أخذته الاكه فخله حتى يبك بكه

هذا وقد ذكروا لمكة أسماء كثيرة منها مكة وبكة والبيت العتيق والبيت الحرام والبلد الأمين والمأمون وأم رحيم وأم القرى وصلاح والعرش والقادس لأنها تطهر من الذنوب والمقدسة والناسة بالنون وبالباء أيضاً والحاطمة والرأس وكوثاء والبلدة والبنية والكعبة .

الإعراب :

(قل : صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفاً) كلام مستأنف مسوق للتعريض بكذبهم أي ثبت أن الله صادق فيما أنزل وأنتم الكاذبون . وقل فعل أمر مبني على السكون وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت وصدق الله فعل ماض وفاعل والجملة في محل نصب مقول القول فاتبعوا : الفاء هي الفصيحة أي إذا أردتم النجاة بعد أن ثبت لكم ذلك على الوجه الأكمل فاتبعوا ، واتبعوا فعل أمر مبني على حذف النون لأن مضارعه من الأفعال الخمسة والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل وملة مفعول به وإبراهيم مضاف إليه وحنيفاً حال (وما كان من المشركين) الواو حالية وما نافية وكان فعل ماض ناقص واسمها ضمير مستترتقديره هو يعود على إبراهيم

ومن المشركين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر كان (**إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة**) كلام مستأنف مسوق للدلالة على أن أول مسجد وضع للناس هو المسجد الحرام ثم بيت المقدس وأول من بناه إبراهيم عليه السلام ، وإن واسمها وبيت مضاف إليه ووضع فعل ماض مبني للمجهول ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هو وللناس جار ومجرور متعلقان بوضع والجملة صفة لبيت وللذي اللام المفتوحة هي المزحلقة والذي اسم موصول في محل رفع خبر إن وببكة جار ومجرور متعلقان بمحذوف لا محل له لأنه صلة الموصول (**مباركاً وهدى للعالمين**) مباركاً حال من اسم الموصول أو من الضمير المستكن في متعلق الجار والمجرور وهدى عطف على مباركاً وللعالمين جار ومجرور متعلقان بهدى أي هادياً لهم (**فيه آيات بينات مقام إبراهيم**) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف في محل رفع خبر مقدم وآيات مبتدأ مؤخر وبينات صفة لآيات والجملة مستأنفة لبيان بركته وهداه ؛ ومقام مبتدأ خبره محذوف أي منها مقام إبراهيم أو خبر لمبتدأ محذوف تقديره أحدها أي أحد تلك الآيات البينات مقام ابراهيم والجملة استئنافية .

وسترى في باب الفوائد مناقشة طريفة وما أوردناه هو الأولى (**ومن دخله كان آمناً**) الواو استئنافية ومن شرط جازم في محل رفع مبتدأ ويجوز أن تكون موصولية ودخله فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والفاعل هو والهاء مفعول به على السعة أو منصوب بنزع الخافض وقد تقدم إعرابه وكان فعل ماض ناقص في محل جزم جواب الشرط واسمه هو وآمناً خبر كان وفعل الشرط وجوابه خبر من

الشرطية والموصولة (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لفرض الحج والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وعلى الناس جار ومجرور متعلقان بما تعلق به الخبر وهو « لله » وحج مبتدأ مؤخر والبيت مضاف إليه ومن اسم موصول في محل جر بدل من الناس بدل بعض من كل أو اشتمال والضمير محذوف أي منهم وأعربها بعضهم فاعلاً بـ « حج » وفيه نظر يأتيك تفصيله الممتع في باب الفوائد ، وجملة استطاع صلة الموصول وإليه جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة لسبيلاً فلما تقدمت عليه أعربت حالاً (ومن كفر فإن الله غني عن العالمين) الواو عاطفة ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ أو اسم موصول وكفر فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وفاعله هو والفاء تعليل لجواب الشرط المقدر أي فلن يضر الله فان الله عنه غني ، وعلى كل حال فالجملة لا محل لها من الإعراب لأنها صلة الموصول وفعل الشرط وجوابه خبر وإن حرف مشبه بالفعل والله اسمها وغني خبرها وعن العالمين جار ومجرور متعلقان بغني .

الفوائد :

١ ـ للنحاة كلام طويل اشتجر فيه الخلاف بينهم وشايعهم المفسرون فهاموا في كل واد ، حتى كاد يفوتهم المراد ، ولو أنهم جنحوا الى السهولة لاختاروا الوجه الذي اخترناه فأراحوا واستراحوا ، ولكنهم خاضوا في القول واستغلوا طاقاتهم النحوية القوية ، فأتوا في مناقشاتهم بالممتع المطرب ، وسنعرض لك هنا خلاصة عن تلك المناقشات لتكون تسجيلاً تاريخياً لاشتجار الآراء وشاهداً لموضوعية الفكر .

قال الزمخشري : مقام : عطف بيان من آيات ، ورد عليه النحاة فقالوا : إنه خرق لإجماع النحاة الذين قرروا أن النكرة لا تبين بالمعرفة وجمع المؤنث السالم لا يبين بالمفرد المذكر . وقالوا : لا يجوز أن يكون بدلاً من آيات لأنهم نصوا على أن المبدل منه إذا كان متعدداً وكان البدل غير واف بالعدة تعين القطع . ورد عليهم أنصار الزمخشري بأنه أي الزمخشري كان مجتهداً فلا يبالي بمخالفة الإجماع .

وابن جني أجاز خرق الاجماع :

وقال ابن جني : إنه يجوز خرق الإجماع في الفنون الأدبية .

ما يقوله جلال الدين السيوطي :

وقال الجلال السيوطي في حاشيته على البيضاوي ما نصه : « قوله ، مبتدأ محذوف خبره ، أي أحد الوجوه في « مقام » قال الشهاب الحلبي : وهو المختار . وقال الزمخشري هو عطف بيان ورد عليه بأن « آيات » نكرة و « مقام إبراهيم » معرفة ، ولا يجوز التخالف في عطف البيان بإجماع البصريين والكوفيين . وقال الصفاقسي : يحتمل أن يكون الزمخشري أطلق عطف البيان وأراد به البدل كالجماعة تسمحاً ، وكذلك قال ابن هشام في المغني : قد يكون عبر عن البدل بعطف البيان لتآخيهما . ويؤيده قوله في « أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم » أن « من وجدكم » عطف بيان لقوله : « حيث سكنتم » وهذا سيبويه إمام الصنعة يسمي التوكيد صفة ،

وإنما نقلنا هذا الكلام وهو غيض من فيض ـ للاستمتاع وترويض الذهن ، وقد أغنانا إعراب « مقام » مبتدأ خبره محذوف أو خبر لمبتدأ محذوف عن كل هذا التطويل .

٢ ـ المناقشة الثانية في « من استطاع » :

ما ارتئيناه من إعراب « من » بدلاً من « الناس » هو المختار ، وقال بعض النحاة : « من » فاعل حج لأنه مصدر يعمل عمل فعله ، والمصدر مضاف إلى مفعوله . ورد النحاة عليه بأنه يجب على الناس أن يحج مستطيعهم ، وذلك باطل . وأجاب التاج السبكي عن ابن السيد فقال : ولا مانع من أن يكون في الحج شيئان : فرض كفاية على كل الناس أن يحج مستطيعهم فإن لم يحج أثم الخلق كلهم ، وفرض عين على المستطيع . ولا حاجة إلى كل هذا التكلف ، والاخذ والرد . وذلك باعراب « من » بدلاً من الناس ، فتأمل والله يرشدك .

هذا وقد أعرب الكسائي « من » شرطية في محل رفع مبتدأ وجوابها محذوف والتقدير : من استطاع فليحج أو فعليه أن يباشر الحج بنفسه .

* * *

﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾

اللغـة :

(العوج) بكسر العين وفتحها ، معروف ، ولكن العرب فرقوا بينهما جرياً على سلائقهم في التصرف بهـذه اللغة الشريفة ، فخصوا المكسور بالمعاني ، والمفتوح بالأعيان . تقول : في كلامه عوج بالكسر. وفي الجـدار عوج بالفتح .

الاعراب :

(قل : يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله) كلام مستأنف مسوق للإنكار على الذين يكفرون بآيات الله . وقل فعل أمر وفاعله أنت ويا حرف نداء للمتوسط وأهل الكتاب منادى مضاف ولم اللام حرف جر وما اسم استفهام إنكاري في محـل جر باللام وحذفت ألف ما الاستفهامية لدخول حرف الجر عليها والجار والمجرور متعلقان بتكفرون وبآيات الله جار ومجرور متعلقان بتكفرون أيضاً وجملة النداء استئنافية (والله شهيد على ما تعملون) الواو حالية والله مبتدأ وشهيد خبر والجار والمجرور متعلقان بشهيد وجملة تعملون صلة وجملة والله شهيد حالية (قل يا أهل الكتاب لم تصدون عـن سـبيل الله) كلام

مستأنف لتأكيد الانكار والتوبيخ وقد تقدم إعراب مثيلها . (مَن آمن) من اسم موصول مفعول به لتصدون وجملة آمن لا محل لها لأنها صلة « من » (تبغونها عوجاً) الجملة حالية ، وتبغونها فعل مضارع وفاعل ومفعول به وعوجاً حال وقع فيها المصدر موضع الاسم المشتق أي معوجة وفي هذا الإعراب من المبالغة أنهم يطلبون أن تكون الطريقة المستقيمة نفس العوج على طريق المبالغة في مثل رجل صوم ، ويكون ذلك أبلغ في ذمهم وتوبيخهم . وقيل : الهاء في تبغونها ضمير منصوب بنزع الخافض . وعبارة ابن جرير الطبري : « ومعنى قوله « تبغونها عوجاً » تبغون لها عوجاً » ، وعليه قول سحيم عبد بني الحسحاس :

بغاك وما تبغيه حتى وجدته   كأنك قد واعدته أمس موعداً

يعني طلبك وما تطلبه يقال : ابغني كذا ، يراد ابتغه لي ، فإذا أرادوا : أعنّي على طلبه وابتغه معي ، قالوا : أبغني بفتح الهمزة ، وهو قول سليم . (وأنتم شهداء) الواو حالية وأنتم ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ وشهداء خبر والجملة الاسمية حالية (وما الله بغافل عما تعملون) الواو للحال أيضاً وما نافية حجازية والله اسمها المرفوع والباء حرف جر زائد وغافل مجرور لفظاً منصوب محلاً لأنه خبر « ما » وعما جار ومجرور متعلقان بغافل وجملة تعملون صلة ما الموصولية .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ

مُسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب) كلام مستأنف مسوق لإيراد خلة من خلال اليهود مستوحاة من العنصرية التي يتميزون بها ، ويا حرف نداء للمنادى المتوسط وأي منادى نكرة مقصودة مبني على الضم في محل نصب والهاء للتنبيه والذين بدل وجملة آمنوا صلة الموصول وإن شرطية وتطيعوا فعل الشرط وعلامة جزمه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة والواو فاعل وفريقاً مفعول به ومن الذين جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لقوله فريقاً وجملة أوتوا الكتاب صلة والكتاب مفعول به ثان لأوتوا المبني للمجهول (يردوكم بعد إيمانكم كافرين) يردوكم جواب الشرط مجزوم وعلامة جزمه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة والواو فاعل والكاف مفعول به أول ليردوكم وبعد ايمانكم ظرف متعلق بكافرين وكافرين مفعول به ثان (وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله) كلام مستأنف مسوق لتوجيه الإنكار والاستبعاد إلى كيفية الكفر عن طريق المبالغة ، وكيف اسم استفهام إنكاري مبني على الفتح في محل نصب على الحال وتكفرون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل وأنتم الواو حالية وأنتم ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ وتتلى فعل مضارع مبنى للمجهول والجملة خبر وعليكم جار ومجرور متعلقان بتتلى وآيات الله نائب فاعل (وفيكم رسوله) الواو حالية أو عاطفة وفيكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ورسوله مبتدأ مؤخر (ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم) الواو استئنافية ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ويعتصم فعل الشرط وفاعله

ضمير مستتر تقديره هو وبالله جار ومجرور متعلقان بيعتصم فقد : الفاء رابطة للجواب وقد حرف تحقيق وهدي فعل ماض مبني للمجهول ونائب الفاعل هو والى صراط جار ومجرور متعلقان بهدي ومستقيم صفة وجملة فقد هدي في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر من .

الفوائد :

لمحة تاريخية :

لليهود أصالة راسخة في إحداث التفرقة بين الأمم والشعوب ليضمنوا لأنفسهم السيادة والاستعلاء المزعومين ، وهي خلة من خلال اليهود مستوحاة من العنصرية التي يتميزون بها ، ويشتدون في الدعاية لها . وفي معرض نزول هذه الآية يروي التاريخ أن شاساً بن قيس اليهودي ، وكان شيخاً طاعنا في السن ، ممعنا في اللجاجة واللدد ، يكره المسلمين ويتربص بهم الدوائر للإيقاع بهم وتفريق شملهم الملتئم ، مر شاس هذا بنفر من الأوس والخزرج وهم في مجلس يتحدثون فيه فغاظه ما رأى من ألفتهم وصلاح ذات بينهم في الإسلام ، بعد الذي كان بينهم من العداوة والبغضاء في الجاهلية . فقال : والله ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار . فأمر شاباً من اليهود وكان معه فقال له : اعمد إليهم واجلس معهم وذكرهم يوم بعاث وما كان فيه ، وأنشدهم بعض ماكانوا يتناشدونه من أشعار تستهدف إثارة الحفائظ (وبعاث بضم الباء وهو يوم مشهور اقتتل فيه الأوس والخزرج وكان الظفر فيه للأوس) ففعل الشاب اليهودي ما أمره به شاس ، فتنازع عند ذلك القوم ، وانبعثت أسباب الخصام من جديد ، وتفاخروا وتغاضبوا وتبادلوا الشتائم ، وتنادوا : السلاح السلاح ، وكادوا يمتشقون السيوف : فبلغ ذلك

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين والأنصار ، فقال : يا معشر المسلمين ! أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن أكرمكم الله بالإسلام ، وقطع عنكم إصر الجاهلية ، وألف بين قلوبكم ، ترجعون الى ما كنتم عليه كفاراً ؟ فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان ، وكيد من عدوهم ، فألقوا السلاح من أيديهم ، وبكوا وعانق بعضهم بعضاً ثم انصرفوا مع رسول الله سامعين مطيعين . فما كان يوم أقبح أولاً وأحسن آخراً من ذلك اليوم .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾

اللغة :

(واعتصموا) الاعتصام : الالتجاء والتمسك ، وأنا معتصم بفلان ومستعصم به ومعتصم بحبله ، ونحن في عصمة الله ، وكل ما عصم به الشيء ــ أي : حفظ وصين ــ فهو عصام . وللعين والصاد ــ إذا كانتا فاءً وعيناً للكلمة ــ خصائص لغوية رائعة ، فهما تدلان على الشدة

والمنعة وما هو بمعناهما من الحفظ والتأبي ، فيقال : فلان لا تعصب سلماته ، أي : لا يقهر ، قال الكميت بن زيد :

ولا سمراتي يبتغيهن عاضـد ولا سلماتي في بجيلة تعصب

وفلان معصوب الخلق : مطويه مكتنز اللحم . وكانوا إذا سودوا إنساناً عصبوه . وهذا يوم عصيب وعصبصب أي : شديد . وفلان يتعصب لقومه . وعصر معروف ، ولا بد من استعمال شدة في العصر ، وهذا أمر قد تعصرت الشبيبة به وبلغت الأشد عليه . والمعصرات : السحب التي تمطر الماء . وعصفت الريح فهي عاصف ومعصفة ، وهي أشد ، وعصف بهم الدهر : أودى بهم وأبادهم ، قال عدي بن زيد :

ثم أضحوا عصف الدهر بهم وكذاك الدهر حالاً بعد حال

وجعلهم كعصف مأكول معروف ، ويقال للجائع : صاحت عصافير بطنه ، وهو تعبير عامي فصيح ، أي : صوتت بشدة . وسمي العصفور لأنه لا ينفك عن الزقزقة . ووهب النعمان للنابغة مائة من عصافيره ، وهي نجائب كانت له ، انتهت في يوم دارة مأسل ، قال ذو الرمة :

نجائب من ضرب العصافير ضربها أخذنا أباها يوم دارة مأسل

ولو شئنا الاستقصاء لأسمعناك العجب العجاب فحسبنا ما تقدم .

(شفا) الشفا : طرف الحفرة ، بالتذكير والتأنيث . وسيأتي المزيد من الكلام عنها في باب الفوائد .

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) كلام مستأنف مسوق

لما فيه تكميل المؤمنين لأنفسهم ، وقد تقدم إعراب النداء فجدد به عهداً . واتقوا فعل أمر والواو فاعل والله مفعول به وحق تقاته مفعول مطلق ، والإضافة هنا من باب إضافة الصفة إلى موصوفها ، والأصل التقاة الحق ، والتقاة مصدر تقدم تحقيقها (ولا تموتنّ إلا وأنتم مسلمون) الواو حرف عطف ولا ناهية وتموتن فعل مضارع مجزوم بلا الناهية وعلامة جزمه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة والواو المحذوفة لالتقاء الساكنين ضمير متصل في محل رفع فاعل والنون المشددة للتوكيد ولا محل لها وإلا أداة حصر والواو حالية وأنتم مبتدأ ومسلمون خبر والجملة الاسمية نصب على الحال (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) الواو عاطفة واعتصموا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل وبحبل الله جار ومجرور متعلقان باعتصموا وجميعاً حال ولا ناهية وتفرقوا فعل مضارع حذفت إحدى تاءيه جوازاً ، وأصله تتفرقوا مجزوم بلا وعلامة جزمه حذف النون (واذكروا نعمة الله عليكم) الواو حرف عطف واذكروا فعل أمر معطوف على اعتصموا ونعمة الله مفعول به وعليكم جار ومجرور متعلقان بنعمة (إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم) إذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق باذكروا وجملة كنتم في محل جر بالإضافة إليها وكنتم فعل ماض ناقص واسمها ، وأعداء خبرها والفاء عاطفة وألف فعل ماض وفاعله ضمير مستتر يعود على الله وبين ظرف متعلق بألف وقلوبكم مضاف إليه (فأصبحتم بنعمته إخواناً) الفاء عاطفة وأصبحتم فعل ماض ناقص والتاء اسمها وبنعمته جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال وإخوانا خبر أصبحتم (وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها) عطف على ما تقدم وكان واسمها وعلى شفا حفرة جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها ومن النار جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لحفرة فأنقذكم عطف على كنتم ومنها

جار ومجرور متعلقان بأنقذكم (كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف مفعول مطلق أو حال ، وقد تقدم كثيراً ، ويبين الله فعل مضارع وفاعل وآياته مفعول به والجملة مستأنفة ولعل واسمها ، وجملة تهتدون خبرها وجملة الرجاء حالية .

البلاغة :

١ ـ الاستعارة التمثيلية في الاعتصام بحبل الله ، فقد شبه الوثوق بالله والاعتماد على حمايته بحال من يمسك بحبل وثيق ، وقد تدلى من مكان عال، فهو آمن من انقطاعه وانبتاته. وقد أراد بالحبل هنا القرآن الكريم ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم : « القرآن حبل الله المتين ، لا تنقضي عجائبه ، ولا يخلق عن كثرة الرد . من قال به صدق ، ومن عمل به رشد ، ومن اعتصم به هدي إلى صراط مستقيم » .

٢ ـ الطباق بين أعداء وإخوان .

الفوائد :

١ ـ الشفا في الأصل مذكر ، وقد عاد الضمير عليه في الآية مؤنثاً لأنه اكتسب التأنيث بإضافته الى الحفرة . والقاعدة المطردة هي أن المضاف المذكر قد يكتسب من المضاف إليه المؤنث تأنيثه وبالعكس ، وشرط ذلك في الصورتين صلاحية المضاف للاستغناء عنه بالمضاف إليه مع صحة المعنى . فمن الأول قول الأغلب :

طول الليالي أسرعت في نقضي ... نقضن كلي ونقضن بعضي

فأنث « أسرعت » مع أنه خبر عن مذكر إلا أنه اكتسب التأنيث من « الليالي » . وعليه يفسر قول مجنون ليلى :

وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

ومن التصوير الثاني قول الآخر :

إنارة العقل مكسوف بطوع هوى

وعقل عاصي الهوى يزداد تنويرا

فذكر « مكسوف » مع أنه خبر عن مؤنث وهو « إنارة » لأنها اكتسبت التذكير من إضافتها إلى العقل وهذا باب هام فتأمل .

٢ ـ (أصبح) تستعمل لاتصاف الموصوف بصفة وقت الصباح ، وتستعمل بمعنى صار فلا يلحظ فيها وقت الصباح بل مطلق الانتقال والصيرورة من حال إلى حال ، قال الربيع بن ضبع :

أصبحت لا أحمل السلاح ولا أملك رأس البعير إن نفرا

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾

الاعراب :

(ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير) كلام معطوف على ما قبله من عطف الخاص على العام مسوق لبيان رأس الخيرات . والواو حرف

عطف ولك أن تجعلها استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لبيان ما تقدم واللام لام الأمر وهي تسكن بعد الواو والفاء وثم ، وتكن فعل مضارع ناقص مجزوم بلام الأمر ومنكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم لتكن وأمة اسمها المؤخر وجملة يدعون الى الخير في محل رفع صفة لأمة ويجوز أن تكون جملة يدعون هي الخبر ومنكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة تقدمت على الموصوف فأعربت حالاً وإلى الخير جار ومجرور متعلقان بيدعون (ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) الجملتان معطوفتان على جملة يدعون إلى الخير (وأولئك هم المفلحون) تقدم إعرابها كثيراً (ولا تكونوا كالذين تفرقوا) الواو عاطفة ولا ناهية وتكونوا فعل مضارع ناقص مجزوم بلا والواو اسمها وكالذين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها ولك أن تجعل الكاف اسماً بمعنى مثل فتكون هي الخبر والذين اسم موصول في محل جر بالإضافة وجملة تفرقوا صلة الموصول (واختلفوا من بعد جاءهم البينات) الواو عاطفة واختلفوا عطف على تفرقوا ومن بعد جار ومجرور متعلقان باختلفوا وما مصدرية مؤولة مع جاءهم البينات بمصدر مضاف لبعد والهاء مفعول به مقدم والبينات فاعل مؤخر (وأولئك لهم عذاب عظيم) الواو استئنافية أو عاطفة واسم الإشارة مبتدأ ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وعذاب مبتدأ مؤخر وعظيم صفة والجملة الاسمية في محل رفع خبر اسم الإشارة .

البلاغة :

١ ــ في الآية عطف الخاص وهو باب دقيق المسلك يبدو كأخذة السحر فهو يؤذن بمزيد العناية بالخاص ، وتفصيل ذلك أن الدعوة

إلى الخير عامة وإردافها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مؤذن باختصاصهما بمزيد من العناية وإظهار فضلهما على سواهما من الخيرات.

٢ ـ المقابلة : فقد طابق بين الأمر والنهي وبين المعروف والمنكر .

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (١٠٦) وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٠٧)﴾

الاعراب :

(يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) الظرف متعلق بمحذوف تقديره : اذكر ، فتكون الجملة مستأنفة مسوقة لبيان حال الفريقين . وجملة تبيض وجوه في محل جر باضافة الظرف اليها . ووجوه فاعل ، وتسود وجوه عطف على تبيض وجوه (فأما الذين اسودت وجوههم) الفاء للتفريع وفيها معنى الاستئناف فتكون الجملة مستأنفة وأما حرف شرط وتفصيل والذين اسم موصول في محل رفع مبتدأ وجملة اسودت وجوههم صلة (أكفرتم بعد إيمانكم) الجملة مقول قول محذوف مع الفاء الرابطة لجواب أما ، أي : فيقال لهم : أكفرتم ، وجملة « فيقال » خبر الذين وهي جواب « أما » وشرط « أما » لا يذكر صريحاً بل التزموا حذفه : ويظهر عند حل المعنى والتعبير بما

نابت عنه « أما » وهو مهما ، والتقدير : مهما يكن من شيء فأما الذين اسودت يقال لهم كذا ، فاحفظه وقس عليه ، والهمزة للاستفهام الإنكاري التوبيخي وكفرتم فعل وفاعل وبعد ظرف متعلق بكفرتم وإيمانكم مضاف إليه (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) الفاء الفصيحة لأنها أفصحت عما هو مقدر أي اذا عرفتم ذلك فذوقوا العذاب ، وبما جار ومجرور متعلقان بذوقوا وما مصدرية وهي مع مدخولها في محل جر بالباء أي بسبب كفركم وجملة تكفرون في محل نصب خبر كنتم (وأما الذين ابيضت وجوههم) تقدم إعرابها (ففي رحمة الله هم فيها خالدون) الفاء رابطة لجواب أما والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر الذين وهم مبتدأ وفيها جار ومجرور متعلقان بخالدون وخالدون خبرهم وجملة هم فيها خالدون حالية .

البلاغـة :

١ ــ في هذه الآية فن التدبيج وهو فن دقيق المسلك، حلو المأخذ ، رشيق الدلالة ، وحده أن يذكر الشاعر أو الناثر لونين أو أكثر ، يقصد بذلك الكناية أو التورية عما يريد من أغراض ، وقد لا يقصد غير الوصف . فالبياض والسواد لونان متضادان ، والتضاد يعني التطابق ، ولكنه كنى بهما عن فريقين من الناس ، فمن كان من أهل الحق وسم ببياض اللون ونصاعته ، ومن كان من أهل الباطل وسم بسواد الليل وحلكته ، ولا يخفى ما في ذلك من التهويل ، وتباين المصير المحتوم لكل من الفريقين . ومن طريف التدبيج في الشعر وما ينطوي عليه من كناية قول أبي تمام في رثاء محمد بن حميد الطوسي شهيد الجهاد :

تردى ثياب الموت حمراً فما دجا لها الليل الا وهي من سندس خضر

والتدبيج تفعيل من الدبج وهو النقش والتزيين ، وأصل الديباج فارسي معرب ٠ ومن طريفه قول صفي الدين الحلي :

بيض صنائعنا سود وقائعنا خضر مرابعنا حمر مواضينا

٢ ــ الاستعارة في « ذوق ا لعذاب » فقد شبهه بالمر مما يؤكل ، ثم حذف المشبه به وأبقى شيئاً من لوازمه وهو الذوق ٠ ولا يخفى ما فيه من الشعور بالمرارة ، وذلك على طريق الاستعارة التبعية المكنية ٠

٣ ــ المجاز المرسل في « رحمة الله » والعلاقة فيه الحالية لأن الرحمة لا يحل فيها الإنسان وإنما يحل في مكانها ، وهو الجنة ٠

﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ ﴾

الاعراب :

(تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق) كلام مستأنف مسوق لبيان ما اشتمل على نعيم الأبرار وعذاب الكفار ٠ واسم الإشارة مبتدأ وآيات الله خبره وجملة نتلوها عليك حالية أي متلبسة بالحق ، فالجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال أيضاً (وما الله يريد ظلماً للعالمين) الواو استئنافية وما نافية حجازية والله اسمها وجملة يريد في محل نصب

خبرها وظلماً مفعول به وللعالمين جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لـ « ظلماً » والعالمين مجرور بالياء نيابة عن الكسرة لأنه ملحق بجمع المذكر السالم (ولله ما في السموات وما في الأرض) الواو استئنافية ولله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وما اسم موصول مبتدأ مؤخر وفي السموات جار ومجرور متعلقان بمحذوف صلة للموصول لا محل له من الإعراب وما في الأرض عطف على « ما في السموات » (وإلى الله ترجع الأمور) الواو حرف عطف وإلى الله جار ومجرور متعلقان بترجع وترجع فعل مضارع مبني للمجهول والأمور نائب فاعل .

البلاغـة :

(التكرير) في هذه الآية فن التكرير . وقد اختلف أهل العربية في وجه تكرير الله تعالى ذكره اسمه مع قوله « وإلى الله ترجع الأمور » ظاهراً وقد تقدم اسمه ظاهراً في قوله « ولله ما في السموات وما في الأرض » فقال بعض البصريين : ذلك نظير قول العرب : وأما زيد فذهب زيـد وكما قال الشاعر :

ألا لا أرى الموت يسبق الموت شيء نغص الموت ذا الغنى والفقـيرا

فأظهر في موضع الإضمار . وقال بعض نحويي الكوفة ليس ذلك نظير هذا البيت لأن موضع الموت في البيت موضع كناية ، أي ضمير ، وليس ذلك كذلك في الآية ، لأن قوله : « ولله ما في السموات وما في الأرض » خبر ، ليس من قوله « وإلى الله ترجع الأمور » في شيء ، وذلك أن كل واحدة من القصتين مفارق معناها معنى الأخرى ، مكتفية كل واحدة منهما بنفسها ، غير محتاجة الى الأخرى ، وما قال الشاعر

لا أرى الموت ، محتاج إلى تمام الخبر عنه . وهذا القول الثاني عندنا أولى بالأرجحية ، لأن كتاب الله عز وجل لا توجه معانيه ، وما فيه من البيان ، إلى الشواذ من الكلام والمعاني ، وله في الفصيح من المنطق والظاهر من المعاني وجه صحيح موجود .

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾

الاعراب :

(كنتم خير أمة أخرجت للناس) كلام مستأنف مسوق لبيان حال هذه الأمة في الفضل على غيرها من الأمم ولتثبيت المؤمنين على ما هم عليه من الجنوح إلى الخير والصدوف عن المنكر ، وكان واسمها وخير أمة خبرها وقيل : كان تامة ، أي وجدتم وخلقتم خير أمة ، والأول أرجح وأخرجت فعل ماض مبني للمجهول ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هي ، وللناس جار ومجرور متعلقان بأخرجت والجملة في محل نصب خبر ثان لكنتم وقيل نصب على الحال وقيل نعت لأمة والأوجه متساوية الرجحان(تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر)الجملةخبر ثالث لكنتم أو نصب على الحال،واختار الزمخشري أن تكون مستأنفة مبينة كونهم خير أمة، كما تقول:زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بما يصلحهم وأرى انها مفسرة لامحل لها،وتأمرون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون

والواو فاعل وبالمعروف جار ومجرور متعلقان بتأمرون ومثلها وتنهون عن المنكر (وتؤمنون بالله) الجملة معطوفة (ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لتكون جواباً عن سؤال فحواه : كيف قال ذلك مع أن غير الإيمان لا خير فيه حتى يقال : إن الإيمان خير منه ؟ ولو شرطية وآمن فعل ماض مبني على الفتح وأهل الكتاب فاعل واللام واقعة في جواب لو، وكان فعل ماض ناقص واسمها ضمير مستتر تقديره هو يعود على المصدر وهو الإيمان المدلول عليه بفعله وخيراً خبر كان ولهم جار ومجرور متعلقان بـ « خيراً » والجملة واقعة في جواب الشرط (منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون) الجملة مستأنفة مسوقة لتكون جواباً عما ينشأ من لو الشرطية الدالة على انتفاء الإيمان ، ومنهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم والمؤمنون مبتدأ مؤخر وأكثرهم مبتدأ والفاسقون خبره .

البلاغـة :

(المقابلة) في الآية فن المقابلة ، فقد تعدد الطباق بين تأمرون وتنهون وبين المعروف والمنكر وبين « المؤمنون » و « الفاسقون » ، وقـد تقـدم الكلام عن المقابلة .

﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى وَإِن يُقَـٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ

بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾

اللغة :

(ثقفوا) تقدم معناها فيما سبق وهي هنا بمعنى أدركوا وغلبوا وذلوا . ومن أقوالهم :طلبناه فثقفناه في مكان كذا ، أي ادركناه . وثقفت العلم في أوحى مدة إذا أسرعت في أخذه . وكان أبو تمام ثقفاً لقفاً (باءوا) : رجعوا .

الاعراب :

(لن يضروكم إلا أذى) كلام مستأنف مسوق لبيان أن ضررهم منقطع يقع في فترات لا يؤبه لها . ولن حرف نفي ونصب واستقبال ويضروكم فعل مضارع منصوب بحذف النون لأنه من الأفعال الخمسة والواو فاعل والكاف مفعول به وإلا أداة حصر وأذى مفعول مطلق أي ضرراً مقتصراً على أذى مؤقت لا يلبث أن يزول فالاستثناء مفرغ ، وقيل : الاستثناء هنا منقطع ، وعليه اقتصر ابن جرير الطبري ، قال : وهذا من الاستثناء المنقطع الذي هو مخالف معنى ماقبله كما قيل: ماashتكى شيئاً إلا خيراً ، وهذه كلمة محكية عن العرب سماعاً (وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار) الواو عاطفة وإن شرطية ويقاتلوكم فعل الشرط مجزوم بحذف النون والواو فاعل والكاف مفعول به أول والأدبار مفعول ثان (ثم لا يُنصرون) ثم حرف عطف وتراخ وقد أتت هنا لمجرد الاستئناف ولا

نافية وينصرون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو نائب فاعل ، وسيأتي في باب البلاغة سر العدول عن العطف على الفعل المجزوم كما يقتضيه سياق الكلام ، كأنه قال : ثم أخبركم أنهم لا ينصرون (ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا) الجملة مستأنفة مسوقة لتقرير ضرب الذلة على اليهود وضربت فعل ماض مبني للمجهول والتاء للتأنيث وعليهم جار ومجرور متعلقان بضربت والذلة نائب فاعل وأينما اسم شرط جازم منصوب على الظرفية المكانية متعلق بضربت وثقفوا فعل ماض مبني للمجهول في محل جزم فعل الشرط والواو نائب فاعل والجواب محذوف دل عليه ما قبله أي فقد ضربت عليهم (إلا بحبل من اللـه) إلا أداة استثناء والجار والمجرور في محل نصب على الاستثناء من أعم الاحوال فيكون مستثنى بمعنى الحال أي ضربت عليهم الذلة في أعم أحوالهم إلا في هذه الحالة وهي اعتصامهم بحبل من الله ومن الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة ، وعلى هذا فهو استثناء متصل ، وقال آخرون : هو منقطع . وسيأتي مزيد بيان لهذا الإعراب في باب الفوائد (وحبل من الناس) عطف على قوله بحبل من الله (وباءوا بغضب من الله) الواو حرف عطف وباءوا فعل ماض معطوف والواو فاعل والجملة عطف على جملة ضربت وبغضب جار ومجرور متعلقان بباءوا ومن الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لغضب (وضربت عليهم المسكنة) عطف على ما تقدم وعليهم جار ومجرور متعلقان بضربت والمسكنة نائب فاعل ضربت وكرر الجملة تأكيداً للذلة المضروبة على اليهود (ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله) جملة مستأنفة مسوقة لبيان سبب ضرب الذلة والمسكنة على اليهود واسم الاشارة مبتـدأ والاشارة الى ما ذكـر من ضرب الذلة والمسكنة وغضب الله ، وبأنهم الباء حرف جر ، وأن واسمها والمصدر المؤول من أن وما في حيزها في محل جر بالباء والجار والمجرور متعلقان

بمحذوف خبر اسم الإشارة ، وكان واسمها ، والجملة خبر « أنهم » ، وجملة يكفرون في محل نصب خبر كانوا وبآيات الله جار ومجرور متعلقان بيكفرون (ويقتلون الأنبياء بغير حق) عطف على ما تقدم والأنبياء مفعول به وبغير حق جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) كلام مستأنف سيق لبيان تعليل العلة ، فعصيانهم سبب لكفرهم وقتلهم الأنبياء ، وهما سبب الذلة والمسكنة والغضب ، واسم الإشارة مبتدأ والباء حرف جر وما مصدرية أي : بسبب عصيانهم ، فالجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر « ذلك » ، وكان واسمها ، وجملة يعتدون خبرها .

البلاغة :

اشتملت هاتان الآيتان على ضروب من البلاغة بلغت أسمى حدود الإعجاز ولئن أسهب علماء البلاغة ، عليهم رضوان الله ، في إظهار أسرارها ، وسبر أغوارها واكتناه مخبآتها ، فقد أتيح لنا أن نشهد بأم أعيننا مصير فلسطين بسبب اليهود ، وبسبب ما نالوه من نجاح خالب مؤقت ، وسنوجز القول فيما قاله علماء البلاغة أولاً ، ثم نعقب عليه بما استنتجناه بأنفسنا وحدسنا به من مآل اليهود الذي لا بد منه .

١ ـ في الآية الأولى فن يقال له : « فن الإيضاح » ، وهو أن يذكر المتكلم كلاماً في ظاهره لبس ثم يوضحه في بقية كلامه ، والإشكال الذي يحله الايضاح يكون في معاني البديع من الألفاظ وفي إعرابها ، فإن في ظاهر هذه الآية إشكالين أحدهما من جهة الإعراب والآخر من جهة المعنى . فأما الذي من جهة الإعراب فعطف ما ليس بمجزوم على

المجزوم ، والذي من جهة المعنى أن صدر الآية يغني عن فاصلتها ، لأن توليهم عند المقاتلة دليل على الخذلان ، والخذلان والنصر لا يجتمعان والجواب أن الله سبحانه أخبر المؤمنين بأن عدوهم هذا إن قاتلهم انهزم ثم أراد تكميل العدة بإخبارهم أنه مع توليه الآن لا ينصر أبداً في الاستقبال فهو مخذول أبداً ما قاتلهم .

ولو وقع الاقتصار على دون الفاصلة لم يوف الكلام بهذا المعنى المراد ، لأنه لا يعطي قوله : « وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار » أنهم متى قاتلوهم كان الأمر كذلك فإن قولك : « إذا جاء زيد أكرمته » لا يلزم منه متى جاء على الدوام والاستمرار كان عليك الإكرام ، وإنما يعطي أنه إن جاءك أكرمته لتلك الجيئة ، ولعلمه سبحانه أن الاقتصار على ما هو دون الفاصلة لا يفهم منه دوام هذه البشارة إلى آخر الأبد ، والمقصود ديمومتها ، قال : « ثم لا ينصرون » ومنع الفعل الجزم وإن عطف على مجزوم ليبقى على المعنى الذي وضعت له صيغة المضارع من الدلالة على الحال والاستقبال ، ونوى في الفعل الاستئناف لا العطف على ما تقدم ، والله سبحانه يريد إدخال الطمأنينة في روع المؤمنين الذين تعاهدوا على الموت ، لأن الاستشهاد في معمعان الوغى وصحصحان الجهاد هو مستهل حياة قشيبة جديدة هي حياة المجد والخلود على حد قول الشاعر :

إن تسل أين قبور العظما   فعلى الأفواه أو في الأنفس

نقول : أراد الله سبحانه أن يؤكد للمؤمنين المجاهدين أن النصر سيكون حليفهم فأعقب الكلام الذي تم بجملة توضح اليقين وهي قوله : « ثم لا ينصرون » ليفيد الديمومة والاستمرار في الجهاد ، وعدم

الاستسلام للعدو ، ويبشرهم بأن عدوهم مخذول أبداً وأن عليهم أن يباشروا قتاله في كل وقت ، وأن لا يهنوا إذا خيل اليهم أن عدوهم قد ظهر عليهم ، فلا بد له أن يخذل في مستقبل الأيام ، فإن تاريخ الأمة لا يحسب بحساب الزمن ، ولا يعد بالسنين القليلة وإن حياة الأمم والشعوب ليست كحياة الافراد .

والإشـــكال الثاني أنه عطف الفعل المضارع المرفوع على المضارع المجزوم ، وهو يبدو للوهلة الأولى أو لأصحاب النظر السطحي المجرد أنه خلاف الأولى ، ولكنه عدل عن الجزم إلى الرفع ليعلم أن عدم النصر لهم هو عهد قطعه الله على نفسه ، ومن أصدق من الله حديثاً أو عهداً وإن انتفاء النصر عنهم مستمر إلى الأبد ، ولا عبرة في الحالات الطارئة ، والظروف الاستثنائية المؤقتة التي تسنح لهم في الفترات الطويلة المتعاقبة التي ينتصرون فيها فعدل عن الجزم الذي يقتضيه سياق الكلام ، كأنه قال ثم أخبركم مبشراً بأنهم لا ينصرون في المستقبل أبداً . كما أشرنا إلى ذلك في باب الإعراب .

٢ ـ والفن الثاني في هذه الآية هو : « فن التعليق » . وهو أن يتعلق الكلام إلى حين ، ولذلك اختير لفظ « ثم » دون حروف العطف ، لأنه يدل على المهلة الملائمة لدلالة الفعل المضارع على الاستقبال ، كأنه قال : ثم ها هنا ما هو أعلى في الامتنان ، وأسمى في مراتب الإحسان ، وهو أن هؤلاء اليهود قوم لا ينصرون البتة مهما واتتهم الامكانيات ، ومهما أغدقت عليهم المساعدات .

٣ ـ والفن الثالث في هذه الآية هو فن المطابقة المعنوية بـين نصر المؤمنين وخذلان الكافرين .

٤ ــ والفن الرابع في هذه الآية هو : « فن الاحتراس » . لأن الكلام لو عطف بالواو مثلاً لظن قصار النظر أنهم إنما وعدوا بالنصر في تلك الحالة ليس غير ، فدفع هذا الظن بكلمة « ثم » التي تقطع قطعاً لا يرين عليه الشك ، بأن النتيجة الحتمية هي النصر المؤزر للمؤمنين ، خشية أن يظن بعض الذين لا يحبون المسارعة الى الموت بأن الوعد بالنصر في تلك الحالة فقط ، وأن الحرب قد تكون سجالاً ، وأنه قد يأتي دورهم بالنصر ، فنفى سبحانه هذا الاحتمال ، وقطع على هؤلاء الظانين الطريق لالتماس المعاذير للتخلف عن الجهاد .

٥ ــ والفن الخامس : هو الإيغال أي عدم الوقوف عند تولية الأدبار مع تمام الكلام ، فأتم بما يوافق بقية الفواصل مع ما يكمل به المعنى التام .

٦ ــ ثم جاءت الآية الثانية مكملة للفنون التي تضمنتها الآيتان وذلك على الوجه التالي :

آ ــ الكناية التي هي هنا عبارة عن نسبة ، وقد تقدم ذكرها ، وهي في ضرب الذلة والمسكنة عليهم كما يضرب البيت أو القبة على أهلهما على حد قول أبي الطيب المتنبي :

إن في ثوبك الذي المجد فيه لضياء يزري بكل ضياء

ب ــ الاستعارة التمثيلية في تشبيه التمسك بأسباب السلامة بالتمسك بالحبل الوثيق وقد تدلى من مكان عال ، فهو آمن من مغبة السقوط والخذلان والارتطام .

فإذا أضفنا إلى ما تقدم من فنون ما تميزت به الآيتان من « حسن الافتتان » و « جمال النسق » و « روعة العبارة » و « نصاعة البيان » تبين لك الى أي مدى وصلتا اليه من إعجاز وسمو تميز بهما كتاب الله العظيم .

الفوائـــد :

اختلف أهل العربية في المعنى الذي جلب الباء في قوله تعالى : « إلا بحبل من الله وحبل من الناس » فقال بعض نحويي الكوفة وعلى رأسهم الفراء في كتابه « معاني القرآن » : الذي جلب الباء في قوله : بحبل ، فعل مضمر قد ترك ذكره . ومعنى الكلام : ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا أن يعتصموا بحبل من الله ، فأضمر في ذلك . واستشهد الفراء بقول حميد بن ثور الهلالي :

رأتني بحبليها فصدت مخافة   وفي الحبل روعاء الفؤاد فروق

وقال : أراد أقبلت بحبليها . ويقول أبي الطمحان القيني :

حنتني حانيـات الـدهر حتى   كأني خاتل أدنو لصيـد

قريب الخطو يحسب من رآني   ولست مقيـداً أني بقيد

يريد مقيداً بقيد فأوجب إعمال فعل محذوف وإظهار صلته وهو متروك ، وذلك في مذاهب العربية ضعيف ، ومن كلام العرب بعيد . إلى أن يقول : وقال بعض نحويي البصرة : قوله : « إلا بحبل من الله » استثناء خارج من أول الكلام ، قال الفراء : وليس ذلك بأشد

من قوله : « لا يسمعون فيها لغواً إلا سلاماً » ، وقال آخرون من نحويي الكوفة : هو استثناء متصل ، والمعنى ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا أي بكل مكان إلا بموضع حبل من الله ، كما تقول ضربت عليهم الذلة في الأمكنة إلا في هذا المكان . وهذا أيضاً طلب الحق فأخطأ المفصل ، وذلك أنه زعم أنه استثناء متصل ، ولو كان متصلاً كما زعم لوجب أن يكون إذا ثقفوا بحبل من الله وحبل من الناس غير مضروبة عليهم المسكنة ، وليس ذلك صفة اليهود لأنهم أينما ثقفوا بحبل من الله وحبل من الناس أو بغير حبل من الله عز وجل وغير حبل من الناس فالذلة مضروبة عليهم ، على ما ذكرنا عن أهل التأويل قبل فلو كان قوله : الا بحبل من الله وحبل من الناس ، استثناء متصلاً لوجب أن يكون القوم إذا ثقفوا بعهد وذمة أن لا تكون الذلة مضروبة عليهم ، وذلك خلاف ما وصفهم الله به من صفتهم ، وخلاف ما هم به من الصفة ، فقد تبين بذلك فساد قول هذا القائل أيضا .

تعليق ابن جرير :

وقال أبو جعفر الطبري : ولكن القول عندنا أن الباء في قوله : إلا بحبل من الله ، أدخلت لأن الكلام الذي قبل الاستثناء يقتضي في المعنى الباء ، وذلك أن معنى قوله : ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا : ضربت عليهم الذلة بكل مكان ثقفوا فيه ، ثم قال : إلا بحبل من الله وحبل من الناس ، على غير وجه الاتصال بالأول ، ولكنه على الانقطاع عنه ، ومعناه : ولكن يثقفون بحبل من الله وحبل من الناس ، كما قيل في : « وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ » فـ « خطأ » وإن كان منصوباً بما عمل فيما قبل الاستثناء فليس قوله باستثناء متصل بالأول ، بمعنى

إلا خطـأ فإن له قتله كـذلك ، ولكن قد يقتله خطـأ ، فكذلك قوله : أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وإن كان الذي جلب الباء التي بعد إلا الفعل الذي يقتضيها قبل إلا فليس الاستثناء بالاستثناء المتصل بالذي قبله ، بمعنى أن القوم إذا لقوا فالذلة زائلة عنهم بل الذلة ثابتة بكل حال ، ولكن معناه ما بيناه آنفا .

وقد آن أن ننتهي من هذا البحث الذي طال بعض الطول ونحمد الله على أنه ألهمنا ما لم يلهم أحداً من قبل . ولعلهم لو امتد بهم العمر إلى أيامنا لأدركوه كما أدركناه ، وسبروا غوره كما سبرناه . ولعل من خير حسن الختام أن ننبه إلى خطأ وقع فيه بعض الأئمة من المتقدمين وجل من تنزه عن الخطأ ، فقد زعم بعض من لا تحصيل له أن المعطوف على جواب الشرط بـ « ثم » لا يجوز جزمه البتة قال : لأن المعطوف على الجواب جواب ، وجواب الشرط يقع بعده وعقبه ، و « ثم » تقتضي التراخي فكيف يتصور وقوعه عقب الشرط ؟ فلذلك لم يجزم مع «ثم» . وهذا فاسد واضح البطلان ، وليس لنا أن نستشهد على بطلانه إلا بقوله تعالى : « وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » فـ « لا يكونوا » مضارع مجزوم نسقاً على « يستبدل » الواقع جواباً للشرط والعاطف ثم . وبهذا يكتمل عقد هذا البحث الذي نزفه إلى العالمين العربي والإسلامي ليستبشروا فالنصر آت ، وزوال هذه الدويلة المسخ وعد تنزلت به الآيات . ونقتبس هذه العبارة للزمخشري فهي خير ما يقال : « وحين رفع كان نفي النصر وعداً مطلقاً كأنه قال : ثم شأنهم وقصتهم التي أخبركم عنها ، وأبشركم بها بعد التولية أنهم مخذولون ، منتفٍ عنهم النصرُ والقوة لا ينهضون بعدها بنجاح ولا يستقيم لهم

أمر ، وكان كما أخبر من حال بني قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر » ، والله الموفق للصواب •

﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾

اللغـة :

(الآناء) الساعات ، واحدها أنى بفتح الهمزة والنون ، بوزن عصا ، أو إنى بكسر الهمزة وفتح النون بوزن معى ، أو أني بفتح الهمزة وسكون النون بوزن ظبي ، أو إني بكسر الهمـزة وسكون النون بوزن حمل •

الاعراب :

(ليسوا سواء) كلام مستأنف مسوق لبيان التفاوت بين أهل الكتاب ، وليس واسمها وخبرها ، والوقف تام على سواء (من أهل الكتاب أمة قائمة) الجملة مستأنفة أيضاً مسوقة لبيان ما أجمله ، ولتعداد محاسن مؤمني أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وثعلبة بن سعيد وأسيد بن عبيد

وأمثالهم من اليهود الذين أسلموا ، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وأمة مبتدأ مؤخر وقائمة صفة ، واختار الفراء أن تكون أمة مرفوعة على أنها فاعل سواء ، ولا أدري كيف استقام له ذلك مع ما فيه من توهين نظام الجملة (يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون) جملة يتلون صفة ثانية لأمـة والواو فاعل يتلون وآيات الله مفعوله وآناء الليل ظرف زمان متعلق بيتلون وهم الواو للحال وهم مبتدأ وجملة يسجدون في محل رفع خبر (يؤمنون بالله واليوم الآخر) الجملة صفة ثالثة لأمة والجار والمجرور متعلقان بيؤمنون واليوم عطف على الله والآخر صفة لليوم (ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات) جمل ثلاث معطوفة على جملة يؤمنون بالله (وأولئك من الصالحين) الواو استئنافية واسم الإشارة مبتدأ والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر اسم الإشارة (وما يفعلوا من خير فلن يكفروه) الواو استئنافية وما شرطية في محل نصب مفعول به مقدم ليفعلوا ويفعلوا فعل الشرط مجزوم والواو فاعل والجار والمجرور في محل نصب على الحال والفاء رابطة ولن حرف نصب ويكفروه فعل مضارع منصوب بلن والواو نائب فاعل والهاء مفعول به ثان وقد نصب فعل كفر مفعولين لأنه تضمن معنى الحرمان والمنع وجملة فلن يكفروه في محـل جزم جواب الشرط (والله عليم بالمتقين) الواو استئنافية والله مبتدأ وعليم خبره والجار والمجرور متعلقان بعليم •

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۚ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ

فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾

اللغــة :

(الصر) بكسر الصاد : الريح الباردة ، كالصّرصر . قال حاتم الطـائي :

أوقد فإن الليــل ليــل قرّ والريــح يا غــلام ريــح صِر

وسيأتيَ المزيد عنها في باب البـلاغة .

الاعراب :

(إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً) كلام مستأنف مسوق لذكر خـلة من خلال اليهود ، وهي حبهم للمال وشراهتهم إليه ، ومعاداتهم من أجله ، على أن خصوص الحديث يفيد عمومه ، فليس الحديث عن بني قريظة والنضير بمانع من شموله لكل من يجعل ديدنه حب المال والتطويح بكل خلق جميل في سبيله ، وإن واسـمها ، وجملة كفروا صلة ولن حرف نصب وتغني فعل مضارع منصوب بلن وعنهم جار ومجرور متعلقان بتغني وأموالهم فاعل ولا أولادهم عطف على «أموالهم» ومن الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ، لأنه كان في الأصل نعت لقوله شيئاً وتقدم عليه ، وشيئاً مفعول مطلق أو مفعول به وجملة لن تغني في محل رفع خبر إن (وأولئك

أصحاب النار) الواو عاطفة وأولئك اسم إشـارة مبتدأ وأصحاب النار خبره والجملة معطوفة على جملة لن تغني (هم فيها خالدون) هم مبتدأ وفيها جار ومجرور متعلقان بقوله خالدون وخالدون خبر « هم » والجملة خبر ثان لأولئك • (مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا) جملة مستأنفة مسوقة لضرب المثل في بيان كيفية عدم إغناء أموالهم التي كانوا يعولون عليها في دفع المضار النازلة بهم ، ومثل مبتدأ وما اسم موصول في محل جر بالإضافة وجملة ينفقون صلة وفي هذه جار ومجرور متعلقان بينفقون والحياة بدل من إسم الإشارة والدنيا صفة للحياة (كمثل ريح فيها صر) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف في محل رفع خبر مثل وريح مضاف اليه وفيها جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقـدم مبتدأ مؤخر والجملة صفة ريـح (أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته) جملة أصابت صفة ثانية لريح ، وحرث قوم مفعول به لأصابت وجملة ظلموا في محل جر صفة لقوم وأنفسهم مفعول به لظلموا فأهلكته عطف عـلى أصابت (وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون) الواو استئنافية وما نافية وظلمهم الله فعل ومفعول به مقدم وفاعل مؤخر ولكن مخففة من الثقيلة مهملة لمجرد الاستدراك وأنفسهم مفعول به مقدم ليظلمون ويظلمون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعـل •

البلاغـة :

١ ــ التشبيه التمثيلي فقد شبه سبحانه ما أنفقوه في عدم جدواه وقلة غنائه بالحرث الذي عصفت به الريح الصر ، وأصل الكلام : مثل

ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل حرث قوم ظلموا أنفسهم فأصابته ريح فيها صر ، ولكن خولف النظم في المثل المذكور لفائدة جليلة وهي تقديم ما هو أهم لأن الريح التي هي مثل العذاب ذكرها في سياق الوعيد والتهديد أهم من ذكر الحرث ، فقدمت عناية بذكرها ، واعتماداً على أن الأذواق والفطر المستقيمة تستطيع رد الكلام إلى أصله على أيسر وجه . وقد استدل الفقهاء بهذه الآية على أن صدقة الكفار لا تنفع أصحابها ؛ لأن العقيدة هي الأصل ، وعليها الاعتماد ، وهذا أسمى ما يصل إليه البيان .

٢ ــ التتميم : وقد تقدم ذكره ، وهو أن يأتي المتكلم بكلمة إذا طرحت من الكلام نقص معناه في ذاته أو صفاته ، والتتميم هنا في كلمة « فيها صر » فإنها أفادت المبالغة كما أفادت التجسيد والتشخيص ، كما تقول : برد بارد وليلة ليلاء ويوم أيوم ، ثم قيد الصر بالظرفية ، لأن الريح مطلقة ثم قيدها بالظرفية ، وكل مقيد ظرف لمطلقه ، لأن المطلق بعض المقيد ، فحصل التجسيد والتشخيص . وهذه من عيون النكت البلاغية ، فاحرص عليها والله يعصمك .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾

اللغــة :

(بطانة) بطانة الرجل بكسر الباء ووليجته من يطلعه على أسراره ثقة به وارتكاناً على مودته • وهو مشبه ببطانة الثوب ، وهي خلاف ظهارته • وفي مختار الصحاح : « وليجة الرجل خاصته وبطانته » ومنه قول الشاعر :

وهم خلصائي كلهم وبطانتي وهم عيبتي من دون كل قريب

(يألونكم) من ألا في الأمر أي قصر فيه • ويتعدى إلى مفعولين ، لأنه يتضمن معنى المنع ، يقال : لا آلوك نصحاً ، أي : لا أمنعك نصحاً • وقيل : هو لازم لا ينصب مفعولاً • وسيأتي ذلك مفصلاً في باب الإعــراب •

(خبالاً) الخبال بفتح الخاء : الفساد ، وأصله ما يلحق الحيوان من مرض وفتور فيورثه فساداً واضطراباً ، يقال : خبله بالتخفيف ، وخبّله بالتشديد ، فهو خابل ومخبّل ، وذاك مجنون ومخبّل •

(عنتم) العنت بفتح العين والنون : شدة الضرر والمشقة •

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم) كلام مستأنف مسوق لتحذير المؤمنين من موالاة اليهود ، لما بينهم من أواصر قرابة وصداقة ، والمراد إطلاقه ، فموالاة المستعمر الأثيم لا تجوز مطلقاً •

وقد تقدم إعراب النداء ولا ناهية وتتخذوا فعل مضارع مجزوم بلا والواو فاعل وبطانة مفعول بـه ومن دونـكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لبطانة أي كائنة من غيركم أو من غير أبناء جنسكم ، ويجوز تعليقها بتتخذوا فيكون الجار والمجرور في موضع المفعول به الثاني لتتخذوا ، وعلى الأول مفعول تتخذوا الثاني محذوف إيجازاً ، وتقديره أصفياء أو أولياء (لا يألونكم خبالاً) الجملة مستأنفة كأنها بمثابة البيان لحال البطانة الكافرة العدوة ، وقيل هي صفة ثانية لبطانة ؛ لا نافية ويألونكم فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل والكاف مفعول به أول وخبالا مفعول به ثان ، وإذا قلنا الفعل لازم فتكون الكاف في محل نصب بنزع الخافض أي : لا يألون لكم ، وخبالاً منصوب أيضاً بنزع الخافض أي : في الخبال ، ولك أن تنصبه على التمييز أو على أنه مصدر في موضع الحال (ودّوا ما عنتّم) الجملة مستأنفة كسابقتها ، وقيل : هي صفة ثالثة لبطانة ، وكلاهما صحيح ، وودوا فعل وفاعل وما مصدرية مؤولة مع ما في حيزها بمصدر هو المفعول به أي ودوا عنتكم وضرركم وسوء ثقتكم (قد بدت البغضاء من أفواههم) الجملة مستأنفة أيضاً أو هي صفة رابعة لبطانة ، وقد حرف تحقيق وبدت فعل ماض مبني على الفتح المقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين والبغضاء فاعل ومن أفواههم جار ومجرور متعلقان ببدت وعلقهما أبو البقاء بمحذوف منصوب على الحال ، ومعنى ظهور البغضاء من أفواههم أنهم ينسبون بما ينم على البغضاء المركوزة في سلائقهم وخلالهم (وما تخفي صدورهم أكبر) الواو للحال أو للاستئناف ، فالجملة حالية او مستأنفة وما اسم موصول مبتدأ وجملة تخفي صلة وصدورهم فاعل تخفي وأكبر خبر « ما » (قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون) الجملة مستأنفة تفيد

التعليل مسوقة لتقرير أن الآيات المترادفة جديرة بحملكم على موالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه ، وقد حرف تحقيق وبينا فعل ماض وفاعل ولكم جار ومجرور متعلقان ببينا والآيات مفعول به وإن شرطية وكنتم فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط والتاء اسم كنتم وجملة تعقلون خبر كنتم ، والجواب محذوف تقديره فلا توادوهم أبداً .

البلاغة :

١ ـ الاستعارة التصريحية في قوله بطانة إذ هي في الأصل بطانة الثوب المعروفة ثم استعيرت لخصيص الرجل وصفيه الذي يفضي إليه بذات نفسه وخلجات صدره .

٢ ـ الانفصال : وهو أن يقول المتكلم ما يوهم أنه معلوم ظاهر ، ولكنه ينطوي على أمر وراء ذلك ، وهو أبعد غاية وأسمى متناولاً ، وذلك في قوله « من أفواههم » فإن المعلوم أن المرء يعبر عما يكنه بفمه ، والانفصال في ذلك التسجيل عليهم بأنهم لا يتمالكون أن تند عن ألسنتهم ألفاظ تنم على الشعور بالبغضاء والموجدة .

٣ ـ الطباق بين بدت وتخفي .

الفوائد :

اختلف علماء النحو والبيان في إعراب الجمل الواقعة بعد بطانة ، وقد أجزنا أن تكون مستأنفات على وجه التعليل للنهي عن اتخاذهم بطانة من دون جنسكم وأبناء قومكم . وعليه جرى الزمخشري فقال :

« الأحسن والأبلغ أن تـــكون مستأنفات ، ويجوز أن تكون صفات متعاقبة » • وقد منع الواحدي هذا الوجه لعدم وجود حرف العطف ، وزعم أنه لا يقال : لا تتخذ صاحباً يؤذيك أحب مفارقتكم • على أنه يظهر لي أن الصفة تتعدد بغير عاطف كما يتعدد الخبر نحو « الرحمن ، علم القرآن ، خلق الانسان ، علمه البيان » •

بين ابن هشام والرازي :

تعقب ابن هشام الإمام فخر الدين الرازي بصدد هذه الآية فقال ما نصه: « وحصل للإمام فخر الدين في تفسير هذه الآية سهو، فإنه سأل: ما الحكمة في تقديم « من دونكم » على « بطانة » ؟ وأجاب بأنّ محط النهي هو « من دونكم » لا « بطانة » فلذلك قدم الأهم وليست التلاوة كما ذكر •

وأبو حيان وهم وتبعه الصفاقسيّ والحلبيّ :

ومضى ابن هشام في تعقيبه قائلاً : ونظير هذا أن أبا حيان فسر في سورة الأنبياء كلمة « زبراً » بعد قوله تعالى : « وتقطعوا أمرهم بينهم » وإنما هي في سورة المؤمنون ، وترك تفسيرها هناك ، وتبعه على هذا السهو رجلان لخصا من تفسيره إعراباً •

قلت : أراد ابن هشام بالرجلين اللذين شاركا ابا حيان في سهوه هما الصفاقسي وشهاب الدين الحلبي المعروف بالسمين •

﴿ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ ﴾

اللغــة :

(العض) : تحامل الأسنان بعضها على بعض ، وعضه بأسنانه : تناوله، يقال: عضضت بكسر الضاد أعض عضاً وعضيضاً ، والعض كله بالضاد إلا مع الزمان أو نحوه في قولهم : عظ الزمان أي اشتد ، وعظت الحرب أي اشتدت، فإنهما يتبادلان. وللعين والضاد إذا كانتا فاء وعيناً للكلمة خاصة غريبة خاصة ، فهما تفيدان معنى الشدة والإيذاء وما يدخل في معناهما ، قال الأخطل :

ضجوا من الحرب إذ عضت غواربهم وقيس عيلان من أخلاقها الضجر

والعضب الشتم والقطع ، ولا يخفى ما فيهما من شدة ومن إيذاء وسيف عضب أي : قاطع ، وشاة عضباء : مكسورة القرن ، وعضده شد أزره وساعده ، والمؤمن معضود بتوفيق الله ، قال تعالى : « سنشد عضدك بأخيك » ، وداء معضل : صعب لا يحل ، وبه مرض عضال ، وقد أعيا الأطباء وأعضلهم ، وأعضل الأمر ، وتزوج ذو الإصبع فأتى حيه يسألهم مهرها فمنعوه فقال :

واحـــدة أعضـــلكم أمرهـــا فكيف لو درت عـــلى أربـــع

وفلان عضلة من العضل أي داهية من الدواهي • وهذا من أعجب ما يسمع عن هذه اللغـــة الشريفة •

(الأنامل) : جمع أنمـــلة وهي رأس الاصبع •

الاعراب :

(ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم) جملة مستأنفة مسوقـــة لتنبيه المؤمنين عـــلى خطئهم بموالاة اليهود ، وها للتنبيه وقرع العصا وأنتم مبتدأ وأولاء خبره ، وقد تقدم أن اسم الإشارة لا بد من ذكره لوجود « ها » التي هي للتنبيه وجملة تحبونهم حالية أو مســـتأنفة كأنها بمثابة البيان لخطئهم وسوء اختيارهم لأصفيائهـــم وجملة ولا يحبونكم معطوفة على جملة تحبونهم وأعرب الجلال وغيره أولاء منـــادى أي يا هؤلاء فتكون جملة تحبونهم هي الخبر (وتؤمنون بالكتاب كله) يصح أن تكون الواو عاطفة فالجملة معطوفة على جملة تحبونهم، ويصح أن تكون الواو حالية فتكون الجملة نصباً على الحال، وبالكتاب جار ومجرور متعلقان بتؤمنون وكله تأكيد للكتاب ، وفي هذا منتهى التنديد بهم ، لأن مصافاة من لا يحبك أمر يستوجب اللوم والتنديد • هذا وقد منع أبو حيان أن تكون الواو حالية ، لأن المضارع المثبت إذا وقع حالاً لا تدخل عليه واو الحال ، تقول : جاء زيد يضحك ، ولا يجوز : ويضحك ، وانتهى إلى القول : لكن الأولى ما ذكرناه من كونها للعطف (وإذا لقوكم قالوا آمنا) الواو استئنافية وإذا ظرف

لما يستقبل من الزمن متضمن معنى الشرط وجملة لقوكم في محل جر بالإضافة وجملة قالوا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وجملة آمنا في محل نصب مقول القول (وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ) الواو عاطفة وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن وجملة خلوا في محل جر بالإضافة وخلا فعل ماض مبني على الفتح المقدر على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل وجملة عضوا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وعليكم جار ومجرور متعلقان بعضوا والأنامل مفعول به ومن الغيظ جار ومجرور في محل نصب تمييز أي غيظاً ويجوز أن تكون بمعنى اللام فتفيد العلة فيكون الجار والمجرور في محل نصب مفعول لأجله أي من أجل الغيظ (قل موتوا بغيظكم) الجملة مستأنفة وجملة موتوا في محل نصب مقول القول وبغيظكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف نصب على الحال أي متلبسين بغيظكم (إن الله عليم بذات الصدور) الجملة مستأنفة تفيد التعليل للأمر بالموت ، والأسهل أن تكون من جملة المقول فتكون في محل نصب بالقول ، وإن واسمها وخبرها ، وبذات الصدور : جار ومجرور متعلقان بعليم . ومعنى ذات الصدور : المضمرات وخلجات النفوس ، فذات تأنيث ذي ، بمعنى صاحبة الصدور ، وجعلت صاحبة الصدور لأنها لا تنفك عنها .

البلاغة :

١ ــ في هذه الآية فن الكناية ، وعض الأنامل كناية عن صفة . وقد جرت عادة العرب على التعبير عن المغتاظ النادم على مافعل بعضّ الأنامل والبنان ، وقد طفحت أشعارهم بهذا التعبير ، قال أبو طالب :

وقد صالحوا قوماً علينا أشحةً يعضون عضاً خلفنا بالأباهم

٢ ـ وفي الآية خروج الأمر عن معناه الحقيقي الى معنى الدعاء عليهم بديمومة غيظهم .

الفوائد :

ذهب الكوفيون إلى أن أسماء الإشارة إذا أريد بها التقريب كانت من أخوات كان في احتياجها إلى اسم مرفوع وخبر منصوب ، نحو : كيف أخاف الظلم وهذا الخليفة قادماً؟ وكيف أخاف البرد وهذه الشمس طالعةً، وكذلك كل ماكان فيه الاسم الواقع بعد أسماء الإشارة لا ثاني له في الوجود نحو هذا ابن صياذ أسقى الناس ، فيعربون هذا للتقريب اسماً ناقصاً والمرفوع اسم التقريب والمنصوب خبر التقريب . وهو كلام منطقي ، ولذلك أوردناه للاطلاع عليه .

﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾

الاعراب :

(إن تمسسكم حسنة تسؤهم) كلام مستأنف سيق لبيان تناهي عداوتهم وافتنانهم في أصناف العداوات ، وإن شرطية وتمسسكم فعل الشرط مجزوم والكاف مفعول به مقدم وحسنة فاعل مؤخر وتسؤهم

جواب الشرط المجزوم والهاء مفعول به (وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها) جملة معطوفة على الجملة السابقة مماثلة لها في الإعراب (وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً) الجملة معطوفة أيضاً وإن شرطية وتصبروا فعل الشرط وعلامة جزمه حذف النون والواو فاعل وتتقوا عطف على تصبروا ولا نافية ويضركم جواب الشرط ، وحرك بالضم لاتباع ضمة الضاد . كما هي القاعدة في الفعل المضعف ، وقد تقدمت . ويجوز تحريكها بالفتح لخفتها كما في قراءة ثانية ، وهناك قراءة ثالثة ، وهي : يضركم بكسر الضاد وسكون الراء ، من ضاره يضيره ، أي : يضره ، والكاف مفعول به وكيدهم فاعل وشيئاً مفعول مطلق أي شيئاً من الضرر (إن الله بما يعملون محيط) جملة مستأنفة تفيد التعليل وإن واسمها ، ومحيط خبرها وبما جار ومجرور متعلقان بمحيط وجملة يعملون لا محل لها لأنها صلة الموصول .

البلاغـة :

في الآية استعارة مكنية جميلة ، فقد استعير المس للحسنة ، وهي لا تمس الإنسان للدلالة على أنها أقل تمكناً من الإصابة ، إشارة إلى أن الكافرين يستاءون مما يصيب المؤمنين من خير ، وإن سنح لهم سنوحاً أو مر بهم مروراً عارضاً . أما إذا تمكنت السيئة منكم واجتاحتكم فلا تسل عن مدى فرحهم وسرورهم وهذا من بديع الكلام الذي تتقطع دونه الأعناق .

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى

ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾

اللغــة :

(غدوت) الغدو : الخروج أول النهار يقال : غدا يغدو أي خرج غدوة ويستعمل غدا بمعنى صار فيكون ناقصاً يرفع الاسم وينصب الخبر ومثلها راح وعاد ورجع وآض وارتد وقعد وتحول واستحال وكلها بمعنى صار وملحقة بها في العمل . قال لبيد :

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه يحور رماداً بعد إذ هو ساطع

فيحور هنا ناقصة بمعنى صار واسمها ضمير مستتر تقديره هو يعود على المرء ورماداً خبرها وفي الحديث الشريف : « لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً » أي تذهب في الصباح جائعة وترجع في المساء وقد شبعت وامتلأت بطونها أما في الآية فهي محتملة للمعنيين كما سيأتي (تبوىء) تنزل .

الاعراب :

(وإذ غدوت من أهلك تبوىء المؤمنين مقاعد للقتال) الواو استئنافية أو عاطفة على مقدم وعلى كل حال فالجملة مسوقة ليذكر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بيوم أحد ليتذكروا ما وقع في هذا اليوم في هذه الحالات الشاذة من عدم الصبر وكيف غدا النبي إلى أحد من

حجرة عائشة كما سيأتي في باب الفوائد والظرف متعلق بمحذوف أي اذكر وجملة غدوت في محل جر بإضافة الظرف إليها والتاء إما فاعل غدوت وإما اسمها في رأي من أعملها عمل صار والجار والمجرور متعلقان بغدوت على الأول وبمحذوف حال على الثاني وجملة تبوىء حالية على الأول من فاعل غدوت أو خبر غدوت والمؤمنين مفعول به لتبوىء ومقاعد مفعول به ثان لتبوىء وللقتال جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لمقاعد أي مقاعد مهيأة للقتال (والله سميع عليم) الواو استئنافية والله مبتدأ وسميع عليم خبراه (إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا) إذ ظرف لما مضى من الزمن بدل من إذ الأولى أي اذكر ذلك الوقت وهو يوم أحد وجملة همت في محل جر بالإضافة وطائفتان فاعل همت ومنكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لقوله طائفتان وأن حرف مصدري ونصب وتفشلا فعل مضارع منصوب بأن وعلامة نصبه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة وألف الاثنين فاعل وأن وما في حيزها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض والجار والمجرور متعلقان بهمت لأنه يتعدى بالباء والتقدير بأن تفشلا ولك في محلها وجهان النصب على نزع الخافض والجر ، (والله وليهما) لك في الواو أن تجعلها حالية فتكون الجملة في محل نصب على الحال ولك أن تجعلها مستأنفة والله مبتدأ ووليهما خبر (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) الواو عاطفة وعلى الله جار ومجرور متعلقان بيتوكل والفاء هي الفصيحة لأنها دخلت لمعنى الشرط والمعنى إذا حزب الأمر وصعب فتوكلوا والمؤمنون فاعل .

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾

إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾

اللغة :

(بدر) اسم ماء بين مكة والمدينة ، وقد كان هذا الماء لرجل اسمه بدر ، فسمي به . وعنده جرت الوقعة الموسومة بهذا الاسم ، في السابع عشر من شهر رمضان ، في السنة الثانية للهجرة .

(فورهم) : الفور : العجلة والسرعة ، وهو مصدر من فارت القدر إذا غلت فاستعير للسرعة ، ثم سميت به الحالة التي لا ريث فيها ولا إبطاء ولا تعريج على شيء .

(مسومين) معلمين بعلامة واضحة . وقد قرئت بصيغة اسم الفاعل وبصيغة اسم المفعول .

الاعراب :

(ولقد نصركم الله ببدر) الواو استئنافية واللام واقعة في جواب قسم محذوف وقد حرف تحقيق ونصركم الله فعل ومفعول به مقدم وفاعل مؤخر وببدر جار ومجرور متعلقان بنصركم . والجملة مستأنفة

مسوقة لتسلية المؤمنين عما لحق بهم من ضرر في غزوة أحد ، وتذكيرهم بنعمة الله ، وللإشارة بأن هزيمتهم في أحد كانت بسبب مخالفة النبي في الصمود والثبات وأن الحلاوة قد تعتريها مرارة وأن الجنات حفت بالمكاره (وأنتم أذلة) الواو للحال وأنتم مبتدأ وأذلة خبر والجملة في محل نصب على الحال (فاتقوا الله لعلكم تشكرون) الفاء الفصيحة واتقوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والله مفعول به ولعل واسمها ، وجملة تشكرون خبرها وجملة الرجاء في محل نصب حال (إذ تقول للمؤمنين) إذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق بنصركم أو بدل من « إذ » الأولى ، لأن الكلام هنا في صدد غزوة أحد . وجملة تقول في محل جر بالإضافة وللمؤمنين جار ومجرور متعلقان بتقول (ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم) الجملة الاستفهامية في محل نصب مقول قوله صلى الله عليه وسلم والهمزة للاستفهام الإنكاري كأنهم كانوا كالآيسين من النصر ، ولن حرف ناصب ويكفيكم فعل مضارع منصوب بلن والكاف ضمير متصل في محل نصب مفعول به وأن حرف مصدرية ونصب ويمدكم فعل مضارع منصوب بها وأن وما في حيزها في تأويل مصدر فاعل يكفيكم وربكم فاعل يمدكم (بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين) بثلاثة الجار والمجرور متعلقان بيمدكم ، وآلاف مضاف إليه ، ومن الملائكة جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لثلاثة آلاف ومنزلين صفة ثانية (بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا) بلى حرف جواب لإيجاب النفي في قوله : ألن يكفيكم ، والمعنى يكفيكم الإمداد بالملائكة . ولكن ذلك مرهون بشروط لا بد من تأديتها وهي الصبر والتقوى . وإن شرطية وتصبروا فعل الشرط مجزوم بحذف النون والواو فاعل وتتقوا عطف على تصبروا ويأتوكم عطف أيضاً ومن فورهم جار ومجرور متعلقان بيأتوكم وهذا اسم إشارة في محل

جر صفة لفوركم أو بدل منه والجملة كلها مستأنفة مسوقة لتعيين شروط الإمداد (يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) يمددكم جواب الشرط والكاف مفعول به وربكم فاعل ومن الملائكة جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لخمسة آلاف ومسومين صفة ثانية .

البلاغة :

الكناية في قوله تعالى : « وأنتم أذلة » عن ضعف حالتهم وضآلة عددهم وعددهم : ذكر التاريخ أنهم خرجوا يعتقب النفر منهم على البعير الواحد ، وما كان معهم إلا فرس واحد يوم بدر .

﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ ﴾

اللغة :

(طَرفاً) : أراد به الجانب أو الطائفة منهم .

(يكبتهم) : يخزيهم ويغيظهم من الكبت وهو الإصابة بالمكروه ، وقيل : هو الصرع للوجه واليدين . وعلى هذين المعنيين تكون التاء أصلية ، وليست بدلاً من شيء بل هي مادة مستقلة بذاتها . وقيل التاء بدل من الدال ، وأصله كبده إذا أصابه بمكروه أثر في كبده وجعاً ، كقولك رأسته إذا ضربت رأسه . ويدل على ذلك قراءة بعضهم : أو

يكبدهم ، بالدال . والعرب قد تبدل التاء من الدال ، ولعل أبا الطيب المتنبي قد رمق هذا الإبدال فلاءم بين لفظين ملاءمة غريبة عندما قال :

لأكبت حاسداً وأري عدواً كأنهما وداعك والرحيل

فقد لاحظ أبو الطيب إبدال التاء من الدال فتوهمها لأكبد ، وناسب أن يأتي بأري من الوري ، وهو إصابة الرئة يقال : وراه الحب ريا وتورية ؛ وهو فساد الجوف من حزن أو صبابة ، قال عبد بني الحسحاس :

وراهن ربي مثلما قد ورنيني وأحمي على أكبادهن المكاويا

ومنه الحديث الشريف « لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحاً حتى يريه » . وهذا من أوابد أبي الطيب التي لا تلحق .

الاعراب :

(وما جعله الله إلا بشرى لكم) كلام مستأنف مسوق لشرح كيفية النصر والواو استئنافية وما نافية وجعله الله **فعل ماض ومفعول به مقدم** وفاعل مؤخر وإلا أداة حصر **وبشرى مفعول به ثان إذا كان الجعل** هنا بمعنى التصيير ، **ولك أن تعتبر الجعل هنا بمعنى الخلق فتكون متعدية لواحد ، وبشرى منصوب على أنه استثناء من أعم العلل فهو مفعول لأجله وقد استوفى شروط النصب ولكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لبشرى (ولتطمئن قلوبكم به) الواو عاطفة واللام للتعليل وتطمئن فعل مضارع منصوب بأن المضمرة بعد لام التعليل والجار والمجرور في محل نصب عطف على**

بشرى وجر بالـلام لاختـلال شرط من شروط النصب وهـو عدم اتحاد الفاعل فإن فاعل الجعل هـو الله تعالى وفاعل الاطمئنان القلوب ، ولك أن تعلق الجار والمجرور بفعل محذوف تقديره : فعل هذا لتطمئن قلوبكم ، وقلوبكم فاعل تطمئن وبه جار ومجرور متعلقان بتطمئن (وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم) الواو استئنافية وما نافية والنصر مبتدأ وإلا أداة حصر ومن عند الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر والعزيز الحكيم صفتان لله تعالى (ليقطع طرفاً من الذين كفروا) اللام للتعليل ويقطع فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام والجار والمجرور متعلقان بنصركم في قوله « ولقد نصركم الله ببدر » ، وقيل بمحذوف تقديره أمدكم ونصركم ، ورجح أبـو حيان أن يكونا متعلقين بأقرب مذكور وهو العامل في قوله : « من عند الله » كأن التقدير : وما النصر إلا كائن من عند الله لا من عند غيره ، لأحد أمرين : إما قطع جانب من الكفار بقتل وأسر ، وإما بخزي وانقلاب بخيبة . وطرفاً مفعول به ومن الذين جار و مجرور متعلقان بمحذوف صفة وجملة كفروا لا محل لها لأنها صلة الموصول (أو يكبتهم فينقلبوا خائبين) أو حرف عطف ويكبتهم فعل مضارع معطوف على يقطع والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به والفاء حرف عطف وينقلبوا عطف على يكبتهم وخائبين حال وعلامة نصبه الياء لأنـه جمـع مذكر سـالم .

البلاغـة :

الاستعارة التصريحية التبعية في قوله : « ليقطع طرفاً » فقد شبه من قتل منهم وتفرق بالشيء المقتطع الذي تفرقت أجزاؤه واختل نظامه .

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾﴾

الاعراب :

(ليس لك من الأمر شيء) كلام مستأنف مسوق لتهوين الأمر على النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما أصيب به في غزوة أحد وليس فعل ماض ناقص ولك جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ليس المقدم ومن الأمر جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال وشيء اسم ليس المؤخر (أو يتوب عليهم) أو حرف عطف ويتوب فعل مضارع معطوف على اسم خالص من التقدير بالفعل فهو منصوب بأن مضمرة بعد العاطف وهو أو ، وسيأتي في باب الفوائد ، وعليهم جار ومجرور متعلقان بيتوب (أو يعذبهم) عطف على يتوب (فإنهم ظالمون) الفاء للتعليل وإن واسمها وخبرها والجملة التعليلية لا محل لها لأنها بمثابة الاستئنافية (ولله ما في السموات وما في الأرض) الواو استئنافية ولله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وما اسم موصول في محل رفع مبتدأ مؤخر وفي السموات جار ومجرور متعلقان بمحذوف لا محل له لأنه صلة وما في الأرض عطف على ما في السموات (يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) الجملة الفعلية في محل نصب حال لوقوعها بعد المعرفة ولمن جار ومجرور متعلقان بيغفر ويشاء فعل مضارع مرفوع وفاعله هو والجملة صلة الموصول وجملة يعذب من يشاء عطف عليها ومن اسم موصول في محل

نصب مفعول به (والله غفور رحيم) الواو استئنافية والله مبتدأ وغفور خبره الأول ورحيم خبره الثاني ٠

الفوائـد :

ينصب الفعل المضارع بأن مضمرة جوازاً بعد عاطف مسبوق باسم خالص من التقدير بالفعل ، وأحرف العطف المختصة بذلك أربعة وهي: الواو والفاء وأو وثم ٠ ومن ذلك قول ميسون بنت بحدل :

ولبس عبـاءة وتقر عيني أحب إلي من لبس الشفوف

هذا ويجوز أن تكون « أو » بمعنى « إلى » فيكون الفعل منصوباً بأن مضمرة وجوباً بعد أو ٠

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفًا مُّضَٰعَفَةًۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٣٠ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ١٣١ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٣٢ ﴾

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة) كلام مستأنف مسوق للنهي عن الربا والإمعان في تخويف المؤمنين ، قال أبو حنيفة رحمه

الله : هذه الآيات أخوف آيات القرآن حيث أوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين . ولا ناهية وتأكلوا فعل مضارع مجزوم بلا الناهية والواو فاعل والربا مفعول به وأضعافاً حال ومضاعفة صفة وجاءت الصفة لتنفي القلة التي يعبر عنها جمع القلة وهو وزن : أفعال ، وقيل : الصفة إشارة إلى تكرير التضعيف عاماً بعد عام . والمبالغة في هذه العبارة تفيد التوبيخ (واتقوا الله لعلكم تفلحون) الواو عاطفة واتقوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والله مفعوله ولعل واسمها، وجملة تفلحون خبرها وجملة الرجاء حالية (واتقوا النار التي أعدت للكافرين) واتقوا عطف على ما تقدم والنار مفعول بـه والتي اسم موصول في محل نصب صفة وجملة أعدت صلة الموصول وللكافرين جار ومجرور متعلقان بأعدت (وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون) الواو عاطفة وأطيعوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والله مفعول به والرسول عطف على الله ولعل واسمها ، وترحمون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل والجملة خبر لعل ، وجملة الرجاء حالية .

﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾

اللغـة :

(الكاظمين) اسم فاعل من كظم الغيظ وهو أن ينطوي على نفسه ويمسك على ما فيها معتصماً بالصبر ، وأصله من كظم القربة إذا ملأها وسد فاها لئلا يندلق ما فيها .

الاعراب :

(وسارعوا إلى مغفرة من ربكم) الواو عاطفة وسارعوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل وإلى مغفرة جار ومجرور متعلقان بسارعوا ومن ربكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لمغفرة (وجنة عرضها السموات والأرض) وجنة عطف على مغفرة وعرضها مبتدأ والسموات خبر والأرض عطف على السموات والجملة الاسمية صفة لجنة (أعدت للمتقين) الجملة الفعلية صفة لجنة أيضاً وأعدت فعل ماض مبني للمجهول ونائب الفاعل هي وللمتقين : جار ومجرور متعلقان بأعدت (الذين ينفقون في السراء والضراء) اسم الموصول نعت للمتقين وجملة ينفقون صلة الموصول وفي السراء جار ومجرور متعلقان بينفقون والضراء عطف على السراء (والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس) عطف على المتقين والغيظ مفعول لاسم الفاعل الكاظمين ، والعافين عطف أيضاً وعن الناس جار ومجرور متعلقان بالعافين (والله يحب المحسنين) الواو استئنافية والله مبتدأ ويحب فعل مضارع والمحسنين مفعول به والجملة خبر .

البلاغـة :

اشتملت هذه الآية على فن جليل القدر وهو التنكيت في التشبيه ،

وحده أن يقصد المتكلم إلى شيء بالذكر دون غيره مما يسد مسده لأجل نكتة ، وإذا وقع في التشبيه فقد بلغ الغاية ، وهو هنا في قوله تعالى : « عرضها السموات والأرض » ، فقد أراد وصفها بالسعة فخص عرضها بالذكر دون الطول ، وإنما عدل عن ذكر الطول لأن المستقر في البدائة والأذهان أن الطول أدل على السعة فإذا كان عرضها مما يسع السموات والأرض فما بالك بطولها !

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾

الاعراب :

(والذين إذا فعلوا فاحشة) الواو عاطفة أو استئنافية والذين عطف على المتقين أي أعدت للمتقين والمنفقين وللتائبين • ويجوز أن يكون « الذين » مبتدأ خبره « أولئك » كما سيأتي ، وإذا ظرف مستقبل وجملة فعلوا في محل جر بالإضافة وفاحشة مفعول به (أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله) أو حرف عطف وظلموا عطف على فعلوا وأنفسهم مفعول به وجملة ذكروا الله لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (فاستغفروا لذنوبهم) الفاء عاطفة واستغفروا عطف على ذكروا أي تابوا عنها ،

ولذنوبهم جار ومجرور متعلقان باستغفروا (ومن يغفر الذنوب إلا الله) الواو استئنافية ومن استفهامية ومعنى الاستفهام هنا النفي وهي في محل رفع مبتدأ وجملة يغفر خبر والذنوب مفعول به وإلا أداة حصر والله بدل من الضمير في يغفر أي من الفاعل المستتر (ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون) عطف على استغفروا ، ولم حرف جازم ، ويصروا فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف النون ، على ما فعلوا جار ومجرور متعلقان بيصروا ، وجملة فعلوا صلة ، وهم : الواو حالية وهم مبتدأ وجملة يعلمون خبر ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من ضمير يصروا . (أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم) أولئك اسم إشارة في محل رفع مبتدأ وجزاؤهم مبتدأ ثان ومغفرة خبر جزاؤهم والمبتدأ الثاني وخبره خبر اسم الإشارة . وإذا أعربنا الذين مبتدأ كانت الجملة خبراً للموصول . ومن ربهم صفة لمغفرة (وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها) وجنات عطف على مغفرة وجملة تجري من تحتها الأنهار صفة لجنات وخالدين حال وفيها جار ومجرور متعلقان بخالدين (ونعم أجر العاملين) الواو استئنافية ونعم فعل ماض جامد لإنشاء المدح وأجر العاملين فاعل نعم مضاف لمقترن بأل والمخصوص بالمدح محذوف تقديره نعم أجر العاملين ذلك ، يعني المغفرة في الجنات .

﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (١٣٧) هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (١٣٨) ﴾

اللغة :

(سنن) طرائق جمع سنة ، وهي الطريقة والعادة . ومعنى خلوها

مضيها وأصل الخلو في اللغة الانفراد ، والمكان الخالي هو المنفرد عمن فيه ، ويستعمل أيضا في الزمان بمعنى المضي ، لأن ما مضى انفرد عن الوجود وخلا عنه ، وكذلك الأمم الخالية أي الماضية •

الاعراب :

(قد خلت من قبلكم سنن) كلام مستأنف مسوق لتسلية المؤمنين عما أصابهم من الحزن والكآبة ، وتتمة لتفصيل بقية قصة أحد ، فإنه لا ينال أحد الخير حتى يمهره بالتضحية والصبر والجهاد • وقد حرف تحقيق وخلت فعل ماض مبني على الفتح المقدر على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين ومن قبلكم جار ومجرور متعلقان بخلت وسنن فاعل (فسيروا في الأرض) الفاء الفصيحة وهي التي تقع جواباً لشرط مقدر لأن المعنى مترتب عليه ، أي إذا شككتم فسيروا في الأرض لتعتبروا بما ترون من آثار هلاكهم ، وسيروا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل وفي الأرض جار ومجرور متعلقان بسيروا والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط مقدر غير جازم (فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) الفاء حرف عطف وانظروا معطوف على سيروا وكيف اسم استفهام في محل نصب خبر كان المقدم وكان عاقبة كان واسمها ، والمكذبين مضاف إليه والجملة الاستفهامية في محل نصب مفعول انظروا (هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين) كلام مستأنف والبيان هنا الدلالة التي تفيد إماطة الشبهة الحاصلة ، وهذا مبتدأ وبيان خبره وللناس جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لبيان وهدى معطوف على بيان وكذلك موعظة وهو من عطف الخاص على العام ، وللمتقين جار ومجرور متعلقان بموعظة أو بمحذوف صفة لها •

البلاغـة :

المجاز في قوله : « فسيروا في الأرض » والعلاقة في هذا المجاز ما تؤول اليه أمر السير في الأرض ، وتملّي الآثار المعروضة ، واستجلاء ما تركه الأولون من مخلفات ينبغي الاستبصار بها . وقد رمق أبو الطيب سماء هذا المجاز الرفيع بقوله :

تتخلف الآثار عن أصحابها حيناً ويدركها الفناء فتتبع

ثم تســاءل :

أين الذي الهرمان من بنيانه ؟ ما قومه ؟ ما يومه ؟ ما المصرع

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾﴾

اللغــة :

(تهنوا) تضعفوا ، وأصله توهنوا ، فحذفت الواو لوقوعها بين

ياء وكسرة في الأصل . لأن الفعل وهن بالفتح في الماضي وبالكسر في المضـــارع .

(القرح) : بفتح القاف وتضم أيضاً ، وقيل : هو بالفتح الجراح وبالضم ألمها ، وقد قرىء بهما .

(نداولها) نصرفها بين الناس نديل تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء ، ودالت له الدول ، ودالت الأيام ، وأدال الله بني فلان من عدوهم جعل الكرة لهم عليه .

قال أبو البقاء الرندي يرثي الأندلس :

هي الأمور كما شاهدتها دول ... من سره زمن ساءته أزمان

(التمحيص) التصفية والتطهير . (يمحق) يهلك .

الاعراب :

(ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون) الواو عاطفة والكلام معطوف على المفهوم من قوله : فسيروا ، ولا ناهية وتهنوا فعل مضارع مجزوم بلا ولا تحزنوا عطف أيضاً وأنتم الواو حالية وأنتم ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ والأعلون خبره مرفوع بالواو لأنه جمع مذكر سالم والجملة نصب على الحال (إن كنتم مؤمنين) إن شرطية وكان فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط والتاء اسمها ومؤمنين خبرها وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله أي فلا تهنوا وجملة الشرط استئنافية (إن يمسسكم قرح فقد مسّ القوم قرح مثله) كلام مستأنف مسوق لتسلية المؤمنين أيضاً، وإن شرطية ويمسسكم فعل الشرط والكاف مفعول به وقرح فاعل يمسسكم وجواب الشرط محذوف أي

فتأسوا وتسلوا • ومن أعرب فقد مس القوم هو ا لجواب غلط لأن الماضي معنىً لا يكون جواباً ، والتعليق لا يكون إلا في المستقبل • فقد الفاء عاطفة وقد حرف تحقيق ومس القوم عطف على الجواب المحذوف ومس فعل ماض والقوم مفعول به مقدم وقرح فاعل مؤخر ومثله نعت لقرح (وتلك الأيام نداولها بين الناس) الواو استئنافية واسم الإشارة مبتدأ والأيام بدل منه وجملة نداولها خبر والهاء مفعول به وبين الناس ظرف مكان متعلق بنداولها • ويجوز إعراب الأيام خبراً لاسم الإشارة وجملة نداولها حالية والعامل فيها معنى اسم الإشارة أي يشير إليها حالة كونها مداولة (وليعلم الله الذين آمنوا) الواو عاطفة على المعلل المحذوف ، والتقدير فعلنا ذلك ليتعظوا ، وليعلم اللام للتعليل ويعلم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة والله فاعل والذين اسم موصول مفعول به وآمنوا فعل ماض مبني على الضم والجملة صلة (ويتخذ منكم شهداء) الواو عاطفة ويتخذ فعل مضارع معطوف على يعلم ومنكم جار ومجرور متعلقان بيتخذ أو بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة لشهداء وشهداء مفعول به (والله لا يحب الظالمين) الواو اعتراضية والجملة معترضة بين هذه العلل المتعاقبة والله مبتدأ وجملة لا يحب الظالمين خبر (وليمحص الله الذين آمنوا) الجملة معطوفة على العلل المتقدمة والله فاعل والذين اسم موصول مفعول به وجملة آمنوا صلة (ويمحق الكافرين) عطف على ما سبق من العلل •

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾﴾

الاعراب :

(أم حسبتم أن تدخلوا الجنة) أم عاطفة منقطعة بمعنى بل ، وقد تقدم بحثها ، والكلام معطوف على ما تقدم على طريق الإضراب عن التسلية الى طريق التوبيخ ، والهمزة التي في ضمنها للإنكار ، وحسب فعل ماض بمعنى ظن والتاء فاعل وأن وما بعدها سدت مسد مفعوليها ، والمعنى : لا تحسبوا أو لا يدر بخلد أحد منكم أنكم تدخلون الجنة من دون جهاد وصبر ، والجنة مفعول به على السعة أو منصوب بنزع الخافض (ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) الواو حالية ولما جازمة ويعلم فعل مضارع مجزوم والله فاعل والذين اسم موصول مفعول به وجملة جاهدوا صلة لا محل لها ومنكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال والجملة نصب على الحال (ويعلم الصابرين) قرأ السبعة بفتح الميم ، فالواو للمعية ويعلم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد واو المعية والفاعل هو والصابرين مفعول به وقد تقدم النفي عليها ونفي العلم بالنسبة الى الله كناية عن نفي المعلوم وهما الجهاد والصبر . ومن العجيب أن يتنطع بعض المعربين القدامى فيقول : إن الفتحة فتحة التقاء الساكنين والفعل مجزوم عطفاً على « يعلم » الأولى ، فلما وقع بعده ساكن آخر احتيج إلى تحريك آخره فكانت الفتحة أولى لأنها أخف ، إذ لا يجوز حمل القرآن على الوجوه المرجوحة (ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه) الواو استئنافية واللام جواب لقسم محذوف وقد حرف تحقيق وكنتم كان الناقصة واسمها ، وجملة تمنون خبرها وأصل تمنون تتمنون فحذفت إحدى التاءين والموت مفعول به من قبل جار ومجرور متعلقان بتمنون وأن تلقوه أن حرف مصدري ونصب وتلقوه فعل مضارع منصوب بأن وعلامة نصبه حذف النون

والواو فاعل والهاء مفعول به والمصدر المؤول مضاف إليه (فقد رأيتموه وأنتم تنظرون) الفاء عاطفة وقد حرف تحقيق وأيتموه فعل وفاعل ومفعول به والواو لإشباع الضمة وأنتم الواو حالية وأنتم مبتدأ وجملة تنظرون خبر ولا بد من تقدير مضاف أي : سبب الموت .

الفوائـد :

كان المسلمون في الصدر الأول يتمنون الموت لا ليخلو الجو لعدوهم ولكن لنيل كرامة الاستشهاد مع ضمان التفوق والغلبة ، وهذا تنبيه لا بد منه لئلا يتساءل متنطع : كيف يجوز تمني الشهادة في تمنيها غلبة للكافر على المسلم ، فقد كان ديدن الصحابة رضوان الله عليهم الاستشهاد في سبيل الله ولا تنسى بكاء خالد بن الوليد عندما حضره الموت ، لأنه مات على فراشه ؟ وقال عبد الله بن رواحة حين نهـد إلى حرب مؤتـة :

لكنني أسأل الرحمن مغفـرة وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا

أو طعنة بيـدي حران مجهزة بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا

حتى يقولوا إذا مروا على جدثي أرشدك الله من غاز وقد رشدا

ومعنى قوله : ذات فرغ أي : ذات سعة ، والفرغ الدلو ، أي : تحدث في جسمي ما يشبه الدلو الممتلئة بالماء . والحران : العطشان الظامىء إلى دمي .

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ

انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين (١٤٤)

اللغـة :

(الأعقاب) جمع عقب وهو مؤخر القدم ، والانقلاب على الاعقاب : الإدبار والفرار .

الاعراب :

(وما محمد إلا رسول) الواو استئنافية والكلام مستأنف مسوق لبيان أن موت محمد صلى الله عليه وسلم أو قتله لا يوجب ضعفاً أو تراخياً في دينه . وما نافية ومحمد مبتدأ وإلا أداة حصر ورسول خبر (قد خلت من قبله الرسل) الجملة صفة لرسول وقد حرف تحقيق وخلت فعل ماض مبني على الفتحة المقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين ومن قبله جار ومجرور متعلقان بخلت والرسل فاعل (أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) الهمزة للاستفهام الإنكاري والفاء للعطف وقد أتت متأخرة ورتبتها التقديم لأن الهمزة لها الصدارة ، وقد ذكرنا سابقاً أن الزمخشري ومن نحا نحوه يقدرون بينهما فعلاً محذوفاً تعطف عليه الفاء ما بعدها ، والتقدير : أتؤمنون به في غضون حياته فإن مات ارتددتم ، وكلاهما صحيح . وفائدة العطف تعلق الجملة الشرطية بما قبلها على معنى التسبب ، وإن شرطية ومات فعل ماض في محل جزم فعل الشرط أو قتل عطف على مات وانقلبتم فعل ماض في محل جزم جواب الشرط وعلى أعقابكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف

حال ، وسيأتي المزيد من البحث في باب البلاغة عن هذا القصر (ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً) الواو استئنافية ومن شرطية مبتدأ وينقلب فعل الشرط وعلى عقبيه جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال والفاء رابطة لجواب الشرط ويضر فعل مضارع منصوب بلن والله مفعول به وشيئاً مفعول مطلق وجملة فلن يضر في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه في محل رفع خبر « من » (وسيجزي الله الشاكرين) الواو استئنافية ويجزي فعل مضارع مرفوع والله فاعل والشاكرين مفعول به •

البلاغة :

في قوله : « وما محمد إلا رسول » فن القصر وهو في اللغة الحبس ، وفي الاصطلاح تخصيص أحد الأمرين على الآخر ونفيه عما عداه وهو يقع للموصوف على الصفة وبالعكس ، والآية من النوع الأول أي أن محمداً صلى الله عليه وسلم مقصور على الرسالة لا يتعداها الى البعد عن الهلاك بناء على استعظام الصحابة أن لا يبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم فكأنهم أثبتوا له وصفين : الرسالة وعدم الهلاك ، فخصص بقصره على الرسالة ، فهو من إخراج الكلام لا على مقتضى الظاهر ، وهو قصر إفراد ، رداً على من يدعي أمرين أو أحدهما بلا ترجيح ، وهو على كل حال من باب القصر القلبي ، لأنهم لما انقلبوا على أعقابهم فكأنهم اعتقدوا أنه رسول لا كسائر الرسل في أنه يموت كما ماتوا وأنه يجب عليهم التمسك بدينه بعده كما يجب التمسك بأديانهم بعدهم •

﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾

اللغـة :

(مؤجلاً) مؤقتاً لا يتقدم ولا يتأخر ، من أجل الشيء أو أجله بالتشديد والتخفيف ، أي ضرب له أجلاً لا محيد عنه .

الاعراب :

(وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله) كلام مستأنف مسوق لتحقيق ما تقدم وهو أن كل نفس لن تموت إلا بمشيئة الله وأن أحداً لا يموت قبل بلوغ أجله وإن طوح بنفسه وخاض المعارك . والواو استئنافية وما نافية وكان فعل ماض ناقص ولنفس جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر كان المقدم وأن تموت المصدر المنسبك من أن وما في حيزها اسمها المؤخر وإلا أداة حصر وبإذن الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال وهو استثناء مفرغ من أعم الاحوال والتقدير : وما كان لها أن تموت إلا مأذوناً لها (كتاباً مؤجلاً) كتاباً مصدر منصوب على المفعولية المطلقة المفيدة لتأكيد مضمون الجملة التي قبله لأن المعنى كتب الموت كتاباً ومؤجلاً صفة واختار ابن عطية أن يكون منصوباً على التمييز ، وقيل : هو منصوب على الإغراء ولا داعي لهذا التكلف

البعيد (ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة للحديث عن الذين تركوا مراكزهم وطلبوا الغنائم ومن شرطية في محل رفع مبتدأ ويرد فعل الشرط وثواب الدنيا مفعول به ونؤته جواب الشرط وعلامة جزمه حذف حرف العلة والهاء مفعول به وجملة فعل الشرط وجوابه خبر من وقد تقدم تقرير ذلك وفيها جار ومجرور متعلقان بنؤته (ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها) تقدم إعراب هذه الآية (وسنجزي الشاكرين) الواو استئنافية وسنجزي فعل مضارع مرفوع وفاعله نحن والشاكرين مفعول به والجملة استئنافية لامحل لها .

﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾

اللغة :

(ربيون) ربانيون نسبة الى الرب ، وقد تقدم بحثها ووردت في اللغة بتثليث الراء والفتح هو القياس والضم والكسر من تغييرات النسب .

(استكانوا) : ضعفوا وذلوا والاستكانة الانكسار والوهن وأصل هذا الفعل استكن من انسكون لأن السكون الذل وأصله : (استكون) فنقلت الفتحة الى الكاف ثم قلبت الواو ألفاً .

الاعراب :

(وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير) كأين خبرية بمعنى كم

الخبرية وهي في محل رفع مبتدأ ومن نبي تمييز كأين وتنوينه للتكثير أي كثير من الأنبياء وجملة قاتل خبر كأين ومعه ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر مقدم وربيون مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية نصب على الحال (فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله) الفاء عاطفة وما نافية ووهنوا فعل ماض مبني على الضم والواو فاعل ولما اللام حرف جر وما اسم موصول في محل جر باللام والجار والمجرور متعلقان بوهنوا وجمله أصابهم صلة وفي سبيل الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ولك أن تجعل ما مصدرية والمصدر المنسبك من ما وما في حيزها مجرور باللام (وما ضعفوا وما استكانوا) عطف على « ما وهنوا » . (والله يحب الصابرين)الواو استئنافية والله مبتدأ وجملة يحب الصابرين خبر .

الفوائـد :

(كأين) بمعنى كم في الاستفهام والخبر . وهي مركبة من كاف التشبيه ومن أي الاستفهامية وقد حدث فيها بعد التركيب معنى التكثير المفهوم من كم الخبرية ، ولا تتعلقان بشيء لأنهما صارتا بمنزلة كلمة واحدة ولذلك رأى أبو حيان أن تكون « كأين » كلمة بسيطة غير مركبة ، ولم أجد من يؤيده وإن كان رأيه جميلاً سهلاً وهي توافق كم الخبرية في خمسة أمور : ١ ـ الإبهام ٢ ـ الافتقار إلى التمييز ٣ـ البناء ٤ـ لزوم التصدير ٥ـ إفادةالتكثير أو التكثير تارةوالاستفهام تارة أخرى. قال أبي لابن مسعود كأين تقرأ سورة الأحزاب آية؟ قال : ثلاثاً وسبعين . وتخالف كم في خمسة أمور ١ ـ أنها مركبة وكم بسيطة ٢ ـ أن مميزها مجرور بمن غالباً حتى زعم بعضهم لزومه وهو مردود بما رواه سيبويه ويونس أنهما سمعا من يقول كأي رجلاً ٣ ـ أنها لا

تقع استفهامية عند الجمهور ٤ ـ أنها لا تقع مجرورة فلا تقول بكأين تبيع هذا ؟ وأجازه بعضهم ٥ ـ أن خبرها لا يقع مفرداً ، قال زهير :

وكائن ترى من صامت لك معجب زيادته أو نقصه في التكلم

وقال الخليل وسيبويه : هي « أي » دخلت عليها كاف التشبيه وثبتت معها فصارت بعد التركيب بمعنى كم وصورت في المصحف نوناً لأنها كلمة نقلت عن أصلها فغير لفظها لتغير معناها ، فتصرفت فيها العرب بالقلب والحذف فصار فيها أربع لغات قرىء بها : احداها « كائن » كقول زهير ، والثانية كأي مثل كَعَـيِّن وهو الأصل ، والثالثة كأين مثل كعين ، والرابعة كيئن بياء ساكنة بعدها همزة مكسورة .

﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ ﴾

الاعراب :

(وما كان قولهم إلا أن قالوا) الواو عاطفة والكلام معطوف على ما تقدم لبيان محاسنهم القولية بعد أن أثبتوا محاسنهم الفعلية ، وما نافية وكان فعل ماض ناقص وقولهم خبرها المقدم واسمها أن المصدرية وما في حيزها ، وقرأ ابن كثير وعاصم برفع « قولهم » على أنه اسم كان

والخبر أن وما في حيزها ، وإلا أداة حصر والاستثناء مفرغ من أعم الأشياء (ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا) ربنا منادى مضاف محذوف منه حرف النداء وجملة اغفر في محل نصب مقول القول ولنا جار ومجرور متعلقان باغفر وذنوبنا مفعول به وإسرافنا عطف عليه ، في أمرنا جار ومجرور متعلقان باسرافنا وإنما نسبوا الإسراف الى أنفسهم هضماً لها وقدموا طلب الغفران باعتباره أهم لديهم من كل شيء (وثبّت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين) الواو حرف عطف وثبت فعل دعاء وأقدامنا مفعول به وانصرنا عطف أيضاً وعلى القوم جار ومجرور متعلقان بانصرنا والكافرين صفة (فآتاهم الله ثواب الدنيا) الفاء عاطفة أو استئنافية وآتاهم الله فعل ومفعول به وفاعل وثواب الدنيا مفعول به ثان (وحسن ثواب الآخرة) الواو حرف عطف وحسن عطف على ثواب، وإنما خص ثواب الآخرة بالحسن تنويهاً بفضله وأنه أولى ما يعتد به المرء وينشده (والله يحب المحسنين) الواو استئنافية والله مبتدأ وجملة يحب المحسنين خبر •

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّـٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾ ﴾

اللغــة :

(الرعب) بضم الراء وسكون العين وضمها وقد قرىء بهما : الخوف ، يقال : رعبته فهو مرعوب ، وأصله الامتلاء ، يقال : رعبت الحوض أي ملأته ، وسيل راعب أي : ملأ الوادي ، ويتعدى بنفسه وبالهمــزة .

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا) تقدم إعرابها (إن تطيعوا الذين كفروا) إن شرطية وتطيعوا فعــل الشرط والواو فاعل والذين اسم موصول مفعول به وجملة كفروا صلة والجملة كلها مستأنفة مسوقــة لتحذير المؤمنين من الاغترار بأقوال المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة : ارجعوا الى دينكم وإخوانكم ، ولو كان محمــد نبياً لما قتــل . وقيل : إن تستكينوا لأبي سفيان وجماعته يردوكم الى دينهم (يردوكم على أعقابكم) يردوكم جواب الشرط مجزوم والواو فاعل والكاف مفعول به وعلى أعقابكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (فتنقلبوا خاسرين) الفاء عاطفة وتنقلبوا فعل مضارع معطوف على يردوكم وخاسرين حال (بل الله مولاكم) بل حرف اضراب وعطف والله مبتدأ ومولاكم خبر . والكلام معطوف على ما هو من مضمون الشرط ، كأنه قيل : فليسوا أنصاراً لكم حتى تطيعوهم بل الله ، وقرىء اللهَ بالنصب على أنه مفعول به لفعل محذوف تقديره: بل أطيعوا الله ، ومولاكم بدل منه (وهو خير الناصرين) الواو عاطفة وهو مبتدأ وخير الناصرين خبره (سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب) كلام مستأنف مسوق على طريق الالتفات

للتنبيه على هول ما سيلقيه تعالى في قلوبهم ، والسين حرف استقبال ونلقي فعل مضارع مرفوع وفاعله نحن وفي قلوب جار ومجرور متعلقان بنلقي والذين اسم موصول في محل جر بالاضافة وجملة كفروا صلة لا محل لها والرعب مفعول به لنلقي (بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً) بما الباء حرف جر وما مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر مجرور بالباء والجار والمجرور متعلقان بنلقي أي : بسبب اشراكهم أو ما اسم موصول والجملة صلة ، وبالله جار ومجرور متعلقان بأشركوا وما اسم موصول مفعول أشركوا وجملة لم ينزل به سلطاناً صلة الموصول وبه جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال لأنه كان في الاصل صفة لـ « سلطاناً » وسلطاناً مفعول ينزل (ومأواهم النار) الواو استئنافية والكلام مستأنف مسوق لبيان أحوالهم في الآخرة بعد بيان أحوالهم في الدنيا من الخذلان المبين ، ومأواهم مبتدأ والنار خبره ويجوز العكس ولعله أولى (وبئس مثوى الظالمين) الواو استئنافية وبئس فعل ماض جامد لإنشاء الذم ومثوى فاعل مضاف لمقترن بـ « ال » والظالمين مضاف اليه والمخصوص بالذم محذوف تقديره : النار .

البلاغة :

١ ـ الالتفات في قوله تعالى : « سنلقى » فقد التفت من الغيبة الى التكلم للاهتمام بما يلقيه تعالى في قلوبهم .

٢ ـ الاستعارة في قوله تعالى : « سنلقى » لأن الإلقاء لا يكون إلا في الإجرام فاستعير هنا للرعب تجسيداً وتشخيصاً بتنزيل المعنوي منزلة المادي .

﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (١٥٢) إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٥٣) ﴾

اللغة :

(تحسونهم) تقتلونهم قتلا ذريعاً وتستأصلونهم ، من حسّه يحسّه ، من باب نصر ، إذا أبطل حسّه . قال جرير :

تحسهم السيوف كما تسامى عريق النار في الأجم الحصيد

(تصعدون) بضم التاء من أصعد أي ذهب بعيداً في الجبل وفي الأرض ، ويقال : صعد في الجبل وأصعد في الأرض .

(تلوون) تصرفون وجوهكم ولا تعرجون على أحد .

الاعراب :

(ولقد صدقكم الله وعده) الواو استئنافية والكلام مستأنف مسوق لتفصيل موقعة أحد كما ذكرتها المطولات واللام جواب القسم محذوف وقد حرف تحقيق وصدقكم الله فعل ومفعول به مقدم وفاعل مؤخر ووعده منصوب بنزع الخافض لأن صدق يتعدى لاثنين أحدهما بنفسه والآخر بحرف الجر أي بوعده (إذ تحسونهم بإذنه) إذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق بصدقكم وجملة تحسونهم في محل جر بإضافة الظرف اليها وبإذنه جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من فاعل تحسونهم أي مأذوناً لكم (حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر) يجوز في حتى هنا أن تكون حرف غاية وجر بمعنى الى ، وتكون مع مدخولها متعلقة بتحسونهم أي : تقتلونهم الى هذا الوقت ، وعلقها الزمخشري بصدقكم ، أي : صدقكم الله وعده الى وقت فشلكم . وكلاهما صحيح ويجوز أن تكون ابتدائية داخلة على الجملة الشرطية إذا ظرف لما يستقبل من الزمن متعلق بجوابه وجملة فشلتم في محل جر بالاضافة وجواب اذا محذوف على الصحيح والتقدير منعكم نصره أو انهزمتم أو بانت لكم الحقيقة جلية واضحة وتنازعتم الواو عاطفة وجملة تنازعتم عطف على جملة فشلتم وفي الأمر جار ومجرور متعلقان بتنازعتم (وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون) عطف على ما تقدم ومن بعد جار ومجرور متعلقان بعصيتم وما مصدرية مؤولة مع الفعل بعدها بمصدر مضاف لـ « بعد » وأراكم فعل ماض والفاعل هو والكاف مفعول به أول وما اسم موصول مفعول به ثان وجملة تحبون صلة لا محل لها (منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة) الجملة مفسرة لا محل لها والمعنى : حتى إذا كان ذلك كله وانقسمتم الى قسمين ، ثم فسر القسمين . ومنكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف

خبر مقدم ومن اسم موصول مبتدأ مؤخر وجملة يريد صلة الموصول والدنيا مفعول به ومنكم من يريد الآخرة عطف على الجملة الأولى وفيها تفسير للقسم الثاني (ثم صرفكم عنهم ليبتليكم) ثم حرف عطف وتراخ وجملة وصرفكم عطف على جواب اذا المحذوف أي منعكم نصره ثم صرفكم عنهم أي ردكم عنهم ليمتحن صبركم وثباتكم ، وعنهم جار ومجرور متعلقان بصرف ليبتليكم اللام للتعليل ويبتلي فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل والجار والمجرور متعلقان بصرف أيضاً (ولقد عفا عنكم) الواو استئنافية واللام جواب لقسم محذوف وقد حرف تحقيق وعفا فعل ماض وعنكم جار ومجرور متعلقان بعفا (والله ذو فضل على المؤمنين) الواو استئنافية والله مبتدأ وذو فضل خبر وعلى المؤمنين جار ومجررو متعلقان بفضل أو بمحذوف صفة له (إذ تُصعدون ولا تلوون على أحد) إذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق بمحذوف تقديره : اذكر أو بصرفكم أ وبعفا عنكم كأنه من باب التنازع ، وجملة تصعدون في محل جر بالاضافة ولا تلوون عطف على تصعدون ولك أن تجعل الواو حالية فتكون الجملة منصوبة على الحال وعلى أحد جار ومجرور متعلقان بتلوون (والرسول يدعوكم في أخراكم) الواو حالية والرسول مبتدأ وجملة يدعوكم خبر وفي أخراكم جار ومجرور متعقلان بمحذوف حال أي : كائناً في ساقتكم أو في جماعتكم ، وهو تصوير جميل لموقف القائد وثباته وهو يقول : إليّ إليّ عباد الله ، أنا رسول الله من يكرّ فله الجنة (فأثابكم غماً بغم) الفاء عاطفة وأثابكم فعل ماض ومفعول به وغماً يجوز أن يكون مفعولا ثانياً بتضمين أثابكم معنى المجازاة والاعطاء ، ويجوز أن يعرب تمييزاً . وبغم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة أي غماً متصلا بغم (لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم) اللام حرف جر وكي حرف تعليل ونصب واستقبال ولا زائدة وتحزنوا فعل مضارع منصوب

بكي والجار والمجرور متعلقان بأثابكم وعلى ما فاتكم جار ومجرور متعلقان بتحزنوا وجملة فاتكم صلة الموصول ولا ما أصابكم عطف على « ما فاتكم » (والله خبير بما تعملون) الواو استئنافية والله مبتدأ وخبير خبر وبما جار ومجرور متعلقان بخبير وجملة تعملون صلة الموصول •

الفوائد :

(كي) : للعرب فيها مذهبان :

١ ـ أحدهما أن تكون للفعل بنفسها بمنزلة « أن » وتكون مع ما بعدها بمنزلة اسم كما كانت « أن » كذلك •

٢ ـ وثانيهما أن تكون حرف جر بمنزلة اللام فينصب الفعل بعدها باضمار « أن » كما ينتصب بعد اللام فاذا كانت بمنزلة « أن » جاز دخول اللام عليها كالآية الآنفة الذكر واذا كانت حرف جر جاز دخولها على الاسماء كدخول حرف الجر ، من ذلك قول العرب كيمه ؟ فأدخل كي على « ما » في الاستفهام كما يدخل عليها حروف الجر نحو : لِمَ وبِمَ وعمَّ ، فحذف الألف كما يحذفها مع حروف الجر وأدخل عليها هاء السكت في الوقف فقال : كيمه •

﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم

﴿ مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٥٤) ﴾

اللغة :

(النعاس) : بضم النون مقاربة النوم أو أوله ، وفترة في الحواس.

الاعراب :

(ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاساً) ثم : حرف عطف للترتيب مع التراخي وأنزل فعل ماض والجملة عطف على فأثابكم وأثابكم عطف على صرفكم ، وعليكم جار ومجرور متعلقان بأنزل ومن بعد الغم جار ومجرور متعلقان بأنزل أيضاً وأمنة مفعول به ونعاساً بدل من أمنة ، ويجوز أن يكون بدلا مطابقاً بالنظر لمصدوقهما ، وأن يكون بدل اشتمال لأن كلاً منهما مشتمل على الآخر والعائد محذوف للعلم به أي فيهما ولأن الكلام يرشد اليه كما سترى في باب الفوائد . (يغشى طائفة منكم) الجملة صفة لقوله « نعاساً » وطائفة مفعول به ليغشى ومنكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لطائفة ، وهم الذين صدقوا ربهم وثبت يقينهم (وطائفة قد أهمتهم أنفسهم) الواو استئنافية

وطائفة مبتدأ ، وساغ الابتداء به لوصفه بمحذوف دل عليه السياق أي من غيركم بدليل يغشى طائفة منكم وجملة قد أهمتهم أنفسهم هي الخبر والجملة مستأنفة مسوقة لبيان حال المنافقين (يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية) جملة يظنون حالية من الهاء في اهمتهم ، ويجوز جعل « قد أهمتهم أنفسهم » صفة وجملة يظنون هي الخبر ، وبالله جار ومجرور متعلقان بيظنون وغير الحق صفة لمفعول مطلق محذوف والمعنى يظنون بالله غير الظن الحق الذي يجب أن يساور النفوس ، وظن الجاهلية بدل من « غير الحق » أو منصوب على المصدرية التشبيهية ، أي ظناً مثل ظن الجاهلية أو منصوب بنزع الخافض ، وعلى هذا لم يذكر ليظنون مفعولين وتكون الباء ظرفية كما تقول : ظننت بزيد ، واذا كان ذلك كذلك لم تتعد « ظننت » الى مفعولين ، وقد نص النحاة على ذلك وعليه قول الشاعر :

فقلت لهم ظنوا بألفي مدجج سراتهم في السابري المسرّد

(يقولون هل لنا من الأمر من شيء) جملة يقولون بدل من جملة يظنون وهل حرف استفهام إنكاري معناه النفي أي : ليس لنا ، ولنا جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ومن الأمر جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال لأنه كان في الاصل صفة لشيء ثم تقدمت الصفة على الموصوف فأعربت حالا ، ومن حرف جر زائد وشيء مجرور بمن لفظاً في محل رفع مبتدأ مؤخر والجملة مقول القول (قل : إن الأمر كله لله) الجملة معترضة وان واسمها ، وكله تأكيد لـ « الأمر » لأنه يتجزأ ولله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر إن والجملة في محل نصب مقول القول (يخفون في أنفسهم مالا يبدون لك) جملة يخفون حال من ضمير يقولون ، أي : يقولون فيما بينهم متسارّين ، وفي

أنفسهم جار ومجرور متعلقان بيخفون وما اسم موصول مفعول به ولا نافية وجملة يبدون لا محل لها لأنها صلة ما ولك جار ومجرور متعلقان بيبدون (يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قُتلنا ها هنا) جملة يقولون مستأنفة مسوقة لبيان ما قبله ، ولتكون بمثابة شروع في الحديث عنهم مجدداً تطرية لنشاط السامع واسترعاء لانتباهه .
ولو شرطية وكان فعل ماض ناقص ولنا جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر كان المقدم ومن الأمر جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال وشيء اسم كان المؤخر وما نافية وقتلنا فعل ماض مبني للمجهول ونا نائب فاعل وجملة ما قتلنا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ، وها هنا الهاء للتنبيه وهنا اسم اشارة في محل نصب ظرف مكان متعلق بقتلنا (قل لو كنتم في بيوتكم) الجملة مستأنفة مسوقة لبيان أن الآجال مكتوبة وأنهم لو أقاموا في المدينة لحدثت لهم أسباب يخرجون فيها لملاقاة حتوفهم وأنهم إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولايستقدمون.
ولو شرطية وكنتم كان واسمها ، وفي بيوتكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر والجملة في محل نصب مقول القول (لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم) اللام واقعة في الجواب وبرز الذين فعل وفاعل والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وجملة كتب عليهم القتل صلة الذين والى مضاجعهم جار ومجرور متعلقان ببرز أي الى مصارعهم (وليبتلي الله مافي صدوركم) الواو عاطفة على محذوف تقديره : وفعل ما فعله في أحد لمصالح جمة وليبتلي ، اللام للتعليل ويبتلي فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام والجار والمجرور متعلقان بالفعل المحذوف أي فعل ذلك لمصالح تجهلونها وليبتلي مافي الصدور ، وما اسم موصول مفعول به وفي صدوركم جار ومجرور متعلقان بمحذوف لا محل له لأنه صلة الموصول (وليمحّص مافي

قلوبكم) عطف على ليبتلي مافي صدوركم (والله عليم بذات الصدور) الواو استئنافية والجملة مستأنفة لتأكيد علمه تعالى بالسرائر والكوامن، والله مبتدأ وعليم خبر وبذات الصدور جار ومجرور متعلقان بعليم •

البلاغــة :

لو شئنا الاسهاب في إظهار مواطن البلاغة المنطوية فيها لضاق بنا المجال ، وحسبنا أن نلم بها إلماماً سريعاً يأتي على ما تطول فيه العبارة وتمتد ، فمنها :

١ ــ الايجاز: ويبدو في كثير من المواطن فيها على الشكل التالي:

آ ــ في كلمة ثم الواقعة في مستهلها للدلالة على أن تراخيا من الزمن قد امتد بعد أن حل بهم ما حل في وقعة أحــد في تلك الحادثة العجيبة ، فبعــد تصعيدهم في الجبــل ، وإشاحة وجوههم عن رؤية ما حدث لفرط ما نابهم من الدهشة واستولى عليهم من الفزع والهلع أتبعهم الله غماً بعد غم أو على غم ، أو بسببه حدث نزول الأمن فرَنّق النعاس في الأجفان ، وهوّمت الرؤوس ، واسترخت المفاصل فكانوا يميدون تحت الحَجَف ، وكانت السيوف تسقط من أيديهـــم • والحجف بفتحتين جمع حجفة اسم الترس أو الدرقة •

ب ــ في كلمة « أمنة » وإبدال النعاس منها إيجاز كثير يدل على أن الأمن والهدوء استوليا عليهــم فور ترنيق النعاس وأَخذِ دبيب الكرى بمعاقــد أجفانهــم ، وإنما ينعس من أمِنَ وزايله الخوف ، والخائف لا ينام ، بل يرى أعداءه في كل مكان • وقد رمق المتنبي هذه السماء العالية فقال :

وضاقت الأرض حتى كاد خائفهم
إذا رأى غير شيء ظنه رجلا

جـ ــ في كلمة « شيء » من قوله : « هل لنا من الأمر من شيء » التي احتوت على ما تضيق عنه الصحف كالنصر والظهور على العدو بعد أن اشتدت وطأته وضراوته .

د ــ في حذف خبر « طائفة » تنزيهاً لهم عن نسبة من اهتموا بأنفسهم ولم تبق لهم رغبة إلا في نجاتها دون النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فانهم لم يناموا ، أما تقدير الخبر فيمكن أن يقدر : « تعرفهم بسيماهم » .

٢ ــ الكناية فقد كنى بالمضاجع عن المصارع حيث لاقوا حتفهم وصافحوا مناياهم .

٣ ــ المخالفة في جواب لو ، فقد جاء مرة بغير لام وجاء مرة مقترناً بها وفي هذا سر عجيب فقد قال : « لو كان لنا من الأمر من شيء ما قتلنا ها هنا » ثم قال : « لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل » والقاعدة المعروفة هي أن جواب لو إذا كان منفياً بما فالأكثر عدم اللام وفي الإيجاب بالعكس لأن الايجاب أحوج الى التثبيت والترسيخ وهذا من الأسرار التي تميز كتاب الله بها ليكون المعجزة أبد الدهر .

الفوائد :

١ ــ هذه الآية تجمع حروف المعجم ليس في القرآن غيرها وغير

آية الفتح وهي قوله تعالى : « محمد رسول الله » الى قوله : « وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً » .

٢ ـ لا بد في بدل الاشتمال من عائد يربطه بالأول فأما في قوله: « نعاساً » فالمراد : نعاساً فيها ، لأن المخاطب يعلم ذلك بسهولة كما تقدم . لأن كلاً من الأمنة والنعاس مشتمل على الآخر .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ ﴾

اللغة :

(استزلهم) طلب منهم الزلل واستدرجهم اليه . والزلل هو الانحراف عن الحق والوقوع في المناكر .

الاعراب :

(إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان) كلام مستأنف مسوق لبيان سبب هزيمة المنهزمين واستزلال الشيطان إياهم ، فحرموا قوة القلب وثبات الجنان ، وهما عدة النصر . وإن واسمها ، وجملة تولوا صلة الموصول ومنكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ويوم ظرف زمان متعلق بتولوا وجملة التقى في محل جر بالاضافة

(إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا) الجملة خبر إن وانما كافة ومكفوفة واستزلهم الشيطان فعل ومفعول به وفاعل وأعاذ إن بطريق الحصر تنبيهاً على مصدر الغي وسببه ، وهو ركونهم الى الشيطان وإنصاتهم لداعيه . وببعض جار ومجرور متعلقان باستزلهم وما اسم موصول في محل جر بالاضافة وجملة كسبوا صلة الموصول والعائد محذوف أي بتركهم المركز الذي أمرهم الرسول بالثبات فيه فجرهم ذلك الى الهزيمة (ولقد عفا الله عنهم) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لاعلان العفو عنهم بعد ما تابوا واعتذروا واللام جواب قسم محذوف وقد حرف تحقيق وعفا الله فعل وفاعل وعنهم جار ومجرور متعلقان بعفا (إن الله غفور حليم) ان واسمها ، وغفور حليم خبران لإن والجملة تعليلية لقوله : عفا عنهم .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ ﴾

اللغة :

(ضربوا في الأرض) : سافروا فيها وأبعدوا في سفرهم للتجارة أو للغزو أو لغير ذلك من المقاصد .

(غزّى) جمع غازٍ ، والقياس غزاة كرام ورماة وساع وسعاة ، ولكنهم حملوا المعتل على الصحيح .

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا) تقدم اعرابها (لا تكونوا كالذين كفروا) لا ناهية وتكونوا فعل مضارع ناقص مجزوم بلا والواو اسمها وكالذين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ولك أن تجعل الكاف اسماً بمعنى مثل فتكون هي الخبر والذين اسم موصول مضاف اليه وجملة كفروا صلة ، وجملة النهي مستأنفة مسوقة لتحذير المؤمنين من الاحتذاء بالمنافقين والنطق بمثل ما قالوه (وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض) عطف على الصلة والمراد بالاخوة اتفاق الجنس أو النسب . وإذا لمجرد الظرفية يراد بها حكاية الحال الماضية تجسيداً للصورة والظرف متعلق بقالوا وجملة ضربوا في الارض في محل جر بالاضافة لوقوعها بعد الظرف (أو كانوا غزّى) عطف على جملة ضربوا في الارض وغزّى خبر كانوا والواو اسمها (لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا) الجملة في محل نصب مقول القول ولو شرطية وكان واسمها ، وعندنا ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر كانوا أي مقيمين عندنا وجملة ما ماتوا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وجملة وما قتلوا عطف على جملة ما ماتوا (ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم) اللام لام العاقبة أو الصيرورة أي قالوا ذلك ليصيروا الى هذه العاقبة ، ويجعل فعل مضارع بأن مضمرة جوازاً بعد لام العاقبة وهي والمصدر المجرور بها متعلقان بفعل محذوف يفهم من السياق أي : قالوا ذلك واعتقدوه ، والله فاعل وذلك مفعول به أول وحسرة مفعول به ثان وفي قلوبهم

جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لحسرة . والمشار اليه هو الجهر بالقول والاعتقاد ، وجعله الزجاج ظنهم بأنهم لو لم يحضروا لم يقتلوا (والله يحيي ويميت) الواو استئنافية والله مبتدأ وجملة يحيي خبر وجملة يميت عطف على جملة يحيي (والله بما تعملون بصير) الواو استئنافية والله مبتدأ بما جار ومجرور متعلقان ببصير وجملة تعملون لا محل لها لأنها صلة الموصول وبصير خبر « الله » .

البلاغـة :

١ ــ في هذه الآية فن رائع من فنون البلاغة وهو حكاية الحال الماضية استحضاراً للصورة في الذهن وتجسيداً للمعنى المراد وتشخيصاً لما يريد المتكلم عرضه ، فإذا ظرف للمستقبل وقد جاء متعلقاً بقالوا ، وهي فعل ماض ، وكان ظاهر الكلام يقضي باستعمال « إذ » المفيدة للمضي ، ولكنه عـدل عنها الى « إذا » لحكايـة الحال الماضية ، واستحضارها في الذهن ، وفائدتها استمرار الزمان المنتظم للحال الذي يدور عليه الحديث الى وقت التكلم ، وقد فصل الزجّاج هذا المعنى تفصيلا بارعاً بقوله : « إذا هنا تنوب عما مضى من الزمان وما يستقبل يعني أنها لمجرد الوقت أو يقصد بها الاستمرار » .

٢ ــ الطباق بين يحيي ويميت ، وهو من أوجز الحديث وأصدقه وأبعده في الدلالة على المعنى المراد ، فانه سبحانه قد يحيي المسافر والغازي مع اقتحامهما موارد الهلكة ، ثم يميت المقيم والقاعد مـع أخذهما بأسباب الحيطة والحذر . وقد رمق أبو الطيب المتنبي هذه السماء العالية من البلاغة بقوله :

يقتـل العاجز الجبان وقد يعـجز عن قطـع بخنق المولود
ويوقّى الفتى المخش وقد خوّ ض في مـاء لبـة الصنديد

يقول : لا تجبن ، ولا تحرص على الحياة ، فالعجز والجبن ليسا من أسباب البقـاء وليسا بسنجيين من الموت ، ويرحم الله خالـد بن الوليد أنه قال عند موتـه : « ما في موضع شبر إلا وفيه ضربـة أو طعنـة ، وها أنـذا أموت كما يموت العـير فلا نامت أعـين الجبنـاء » .

الفوائـد :

(لام العاقبة) أو الصيرورة هي التي تدل على مآل الشيء وعقباه وحكمها في العمـل حكم لام التعليـل في اضمار أن بعدها جوازا وستأتي أمثلة منها .

﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾

الاعراب :

(ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم) كلام مستأنف مسوق لتقرير أن ما تحذرون وقوعه ليس مما ينبغي أن يحذر منه بل يجب أن يكون حافزاً لكم على القتال ومواصلة الجهـاد . والواو استئنافية واللام

موطئة للقسم المقدر وإن شرطية وقتلتم فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وهو مبني للمجهول والتاء نائب فاعل وفي سبيل الله جار ومجرور متعلقان بقتلتم أو متم عطف على قتلتم ومتم فعل ماض من مات يموت كقال يقول فهي بضم الميم ويجوز كسرها إذا كانت من مات يمات كخاف يخاف وقد قرىء بهما (لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون) اللام لام الابتداء ومغفرة مبتدأ ساغ الابتداء به مع انه نكرة لوصفه بالجار والمجرور ورحمة عطف على مغفرة وخير خبر ومما جار ومجرور متعلقان بخير وجملة يجمعون صلة ما ، ولام الابتداء ومدخولها جملة لا محل لها لأنها جواب للقسم حسب القاعدة المقررة وهي أنه إذا اجتمع قسم وشرط فالجواب يعطى للمتقدم منهما (ولئن متم أو قتلتم) تقدم اعرابها (لإلى الله تحشرون) اللام ومدخولها جواب القسم ، والى الله جار ومجرور متعلقان بتحشرون وتحشرون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل .

البلاغة :

في هذه الآية والتي قبلها فن منتظم في باب التقديم والتأخير ، فقد ورد الموت والقتل فيهما ثلاث مرات ، وتقدم الموت على القتل في الأول والأخير منها ، وتقدم القتل على الموت في المتوسط ، تبعاً لتقديم الأهم والأشرف .

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ

فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾

اللغـة :

(فظّاً) : جافياً والفظاظة : الجفوة في المعاشرة قولاً وفعلاً . قال الراغب : « الفظّ : كريه الخلق ، وذلك مستعار من الفظّ ، وهو ماء الكرش ، وذلك مكروه شربه إلا في ضرورة . والغلظة : ضد الرقة . ويقـال : غلظ وغلُظ بالكسر والضم ، وعن الغلظـة تنشأ الفظاظة وقدمت الفظاظة لسرّ وهو تقديم ما هو ظاهر للحسّ على ما هو خافٍ في القلب .

الاعراب :

(فبما رحمـة من الله لنت لهم) كـلام مستأنف مسوق لتقرير ما يجب سلوكه لتأليف الناس وترغيبهم في الخير . والفاء استئنافية وبما رحمة جار ومجرور متعلقان بلنت وما زائدة للتوكيد ومن الله : جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لرحمة ولنت فعل ماض مبني على السكون والتاء فاعل ولهم : جار ومجرور متعلقان بلنت (ولو كنت فظـاً غليظ القلب لانفضوا من حولك) الواو عاطفـة عـلى محذوف مقدر ، أي : لنت ولو لم تكن ليناً . ولو شرطية وكنت كان الناقصة واسمها ، وفظاً خبرها ولانفضوا : اللام واقعة في جواب لو وانفضّوا فعل وفاعل والجملة لا محل لها لأنهـا جواب شرط غير جـازم ومن حولك : جار ومجرور متعلقان بانفضوا (فاعف عنهم واستغفر لهم) الفاء هي الفصيحة أي : اذا شئت سلوك الطريق المثلى فاعف عنهم فيما

يختص بك ، واعف فعل أمر مبني على حذف حرف العلة وفاعله أنت وعنهم : جار ومجرور متعلقان باعف واستغفر عطف على اعف ، اي : فيما يختص بغيرك ، ولهم : جار ومجرور متعلقان باستغفر (وشاورهم في الأمر) عطف أيضاً وفي الأمر جـار ومجرور متعلقـان بشاورهم (فاذا عزمت فتوكل على الله) الفاء عاطفة ولك أن تجعلها استئنافية فتكون الجملة مستأنفة مسوقة لتقرير ما يجب عمله بعد المشاورة ، وقدم المشاورة للإشارة الى أن التوكل ليس يعني اهمال التدبـير ، وبيـان أن الشورى من أفضل الأمور ، وإلا لكان الأمـر بالمشاورة منافياً للأمر بالتوكل وتفويض الأمور لله تعالى . وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن وجملة عزمت في محل جر بالاضافة وفتوكل : الفاء رابطة لجواب إذا وتوكل فعل أمر والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وعلى الله جار ومجرور متعلقان بتوكل (إن الله يحب المتوكلين) الجملة تعليلية لا محل لها وإن واسمها ، وجملة يحب المتوكلين خبرها .

الفوائـد :

زيادة (ما) بين الباء وعن ومن والكاف ومجروراتها أمر معروف في اللسان العربي مقرر في علم العربية . وذهب بعض المعربين الى أن « ما » ليست زائدة بل هي نكرة تامة بمعنى شيء ورحمة بدل منها . وكأن قائلي هذا يفرّون من أنها زائدة . وقيل : « ما » هنا استفهامية، قال الفخر الرازي ما نصه : « قال المحققون : دخول اللفظ المهمـل الوضع في كلام أحكم الحاكمين غير جائز ، وهنا يجوز أن تكون «ما» استفهاماً للتعجب تقديره : فبأي رحمة من الله لنت لهم ! وذلك بأن جنايتهـم لمّا كانت عظيمـة ، ثم إنه ما أظهر البتـة تغليظاً في القول

ولاخشونة في الكلام علموا أن هذا لايتأتى إلا بتأييد رباني قيل ذلك» .
وما قاله هؤلاء المحققون صحيح ولكن زيادة « ما » للتوكيد لا ينكره
في مواطنه المقررة من له أدنى مسكة في الذوق والتعلق بالعربية ؛
فضلا عمن يتعاطى تفسير كلام الله . وليس « ما » في هذا المكان مما
يتوهمه أحد مهملا فلا يحتاج ذلك الى تأويلها بأن تكون استفهاماً
للتعجب ، ثم إن تقديره ذلك : « فبأي رحمة » دليل على أنه جعل «ما»
مضافة للرحمة ، وما ذهب اليه خطأ من وجهين ، أحدهما : أنه لا تضاف
ما الاستفهامية ولا أسماء الاستفهام غير « أيّ » بلا خلاف ، و « كم »
على خلاف . والثاني أنه اذا لم تصح الاضافة فيكون اعرابه بدلا ؛
واذا كان بدلا من اسم الاستفهام فلا بد من اعادة همزة الاستفهام في
البدل كما هو مقرر ، وكان يغنيه عن هذا الارتباك والتسور عليه قول
الزجاج في « ما » هذه : إنها صلة فيها معنى التوكيد باجماع النحويين
والبيانيين .

مناقشة طريفة بين الغزالي وابن الأثير :

وقد جرت مناقشة طريفة بين الغزالي وابن الأثير فقال الغزالي
في حديثه عن أقسام المجاز : القسم الثاني عشر الزيادة في الكلام لغير
فائدة كقوله تعالى : « فبما رحمـــة من الله لنت لهم » فـ « ما » هنا
زائدة لا معنى لها ، أي فبرحمة من الله لنت لهم . ورد عليه ابن الأثير
فقال وهذا القول لا أراه صواباً وفيه نظر من وجهين : أحدهما : أن
هذا القسم ليس من المجاز ، لأن المجاز هو دلالة اللفظ على غير ما وضع
له في أصل اللغة ، وهذا غير موجود في الآية ، وانما هي دالة على
الوضع اللغوي المنطوق به في أصل اللغة . والوجه الآخر : إني لو

سلمت أن ذلك من المجاز لأنكرت أن لفظة « ما » زائدة لا معنى لها ، ولكنها وردت تضخيماً لأمر النعمة التي لان بها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم لهم ، وهي محض الفصاحة ، ولو عري الكلام منها لم تكن له تلك الفخامة الى أن يقول : « وأما الغزالي رحمه الله فانه عندي معذور في أن لا يعرف ذلك لأنه ليس فنه ومن ذهب الى أن في القرآن لفظاً زائداً لا معنى فإما أن يكون جاهلا بهذا القول وإما أن يكون متسمحاً في دينه واعتقاده ، وقول النحاة : إن « ما » في هذه الآية زائدة ، إنما يعنون به أنها لا تمنع ما قبلها عن العمل ، كما يسمونها في موضع آخر كافة ، أي أنها تكف الحرف العامل عن عمله كقولك : إنما زيد قائم فـ « ما » قد كفت « إن » عن العمل في « زيد » ، وفي الآية لم تمنع عن العمل ، ألا ترى أنها لم تمنع الباء عن العمل في خفض الرحمة » ! فتأمل هذه المناقشة فانها من الحسن بمكان ؟ .

﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾

الاعراب :

(إن ينصركم الله فلا غالب لكم) كلام مستأنف لإيجاب التوكل على الله تعالى والاعتماد عليه . وإن شرطية وينصركم فعل الشرط والكاف ضمير متصل في محل نصب مفعول به والله فاعل ، فلا الفاء رابطة لجواب الشرط ولا نافية للجنس تعمل عمل إن وغالب اسمها المبني على الفتح وجملة فلا غالب لكم في محل جزم جواب الشرط ولكم جار ومجرور

متعلقان بمحذوف خبرها (وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده) الواو عاطفة وإن شرطية ويخذلكم فعل الشرط فمن الفاء رابطة لجواب الشرط ومن اسم استفهام إنكاري في محل رفع مبتدأ وذا اسم اشارة في محل رفع خبر « من » والذي اسم موصول في محل رفع بدل من اسم الاشارة ومن بعده جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال وجملة فمن الاسمية في محل جزم جواب الشرط وجملة ينصركم صلة لا محل لها (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) الواو عاطفة وعلى الله جار ومجرور متعلقان بيتوكل والفاء لتأكيد الاستئناف واللام لام الأمر ويتوكل فعل مضارع مجزوم باللام والمؤمنون فاعل وفي تأكيد الاستئناف بعد الانكار والنفي حث مبالغ فيه على الاتكال بعد الاخذ بأسباب الحيطة والحذر .

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾﴾

اللغـة :

(غـلّ) : أخذ خفية واستغلالاً وخيانة . والغلول صفة تتنافى مع النبوة . ومن طريف الجناس قولهم : « يد المؤمن لا تغُلّ وقلب المؤمن لا يغِلّ » الأولى بضم الغين من الغلول والثانية بكسرها من الغل أي الحقد .

الاعراب :

(وما كان لنبي أن يَغُلَّ) كلام مستأنف مسوق لنفي الغلول عن النبي صلى الله عليه وسلم • وفي قراءة بالبناء للمجهول أي ينسب الى الغلول ، وكلتا القراءتين تنفي هذه الصفة عن النبي لعصمته ولتحريم الغلول • والواو استئنافية وما نافية وكان فعل ماض ناقص مبني على الفتح ولنبي جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وأن يغل مصدر مؤول اسمها المؤخر (ومن يغلل يأت بما غلّ يوم القيامة) الواو استئنافية والكلام مستأنف مسوق للردّع عن الغلول• ومن اسم شرط جازم مبتدأ ويغلل فعل الشرط ويأت جوابه وبما جار ومجرور متعلقان بيأت وجملة غل صلة الموصول ويوم القيامة ظرف زمان متعلق بيأت أيضاً وجملة فعل الشرط وجوابه خبر من (ثم توفى كل نفس ما كسبت) ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي وتوفى فعل مضارع مبني للمجهول معطوف على الجملة الشرطية وكل نفس نائب فاعل وما اسم موصول في محل نصب مفعول به ثان وجملة كسبت صلة الموصول (وهم لا يظلمون) الواو استئنافية أو حالية وهم مبتدأ وجملة لا يظلمون خبر « هم » والجملة استئنافية أو حالية ، ونرى الاستئناف أرجح لأنها بمثابة ايضاح لتوفى كل نفس ما كسبت على طريق العدل فينال كل انسان جزاءه من غير حيف أو نقصان (أفمن اتبع رضوان الله) الهمزة للاستفهام الإنكاري والفاء عاطفة على محذوف والنية التقدم على الهمزة وقد تقدم البحث في هذا التركيب وإن تقدير المحذوف : أجعل لك ما تميز به بين الضال والمهتدي فمن اتبع رضوان الله واهتدى ليس كمن باء بسخطه ، والاستفهام الانكاري معناه النفي، ومن اسم موصول مبتدأ وجملة اتبع صلة ورضوان الله مفعول به لاتبع

والجملة معطوفة على المحذوف الذي هو مستأنف (كمن باء بسخط من الله) كمن الكاف حرف جر ومن اسم موصول في محل جر بالكاف والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر « من » أو الكاف اسم بمعنى مثل خبر ومَن مضاف إليه وجملة بـاء صلة الموصول وبسخط جار ومجرور متعلقان بباء ومن الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة (ومأواه جهنم وبئس المصير) الواو حرف عطف ومأواه مبتدأ وجهنم خبره والجملة عطف على الصلة ، أي : وكمن مأواه جهنم . ولك أن تجعل الواو استئنافية ، وعلى كلا الوجهين لا محل لها من الاعراب وبئس الواو عاطفة أيضاً وبئس فعل ماض جامد لإنشاء الذم والمصير فاعل والمخصوص بالذم محذوف ، أي جهنم (هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون) كلام مستأنف مسوق لبيان التفاوت ما بين الفريقين كما سيأتي في باب البلاغة وهم مبتدأ ودرجات خبر وعنـد الله ظرف متعلق بمحذوف صفة لدرجات والله الواو استئنافية والله مبتدأ وبصير خبر وبما جار ومجرور متعلقان ببصير وجملة يعملون صلة .

البلاغـة :

في هذه الآيات فنون شتى يضيق عنها العـدّ ويمكن إيجازها على الوجه التالي :

١ ـ المبالغة في النهي ، وقد وردت المبالغة عـلى هـذه الصيغة كثيراً في القرآن ، كقوله تعالى : « ما كان لنبي أن يكون له أسرى » ، « ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين » .

٢ ـ والغلول أولى بأن يبالغ فيه ، لأن تصور المبالغة على وجه

يبعث الخوف ويحجب الخاطر عن التفكير فيه ، وتصويره ، بله ارتكابه والخوض في مناحيه . ويحسن بنا أن نورد حديثاً فيه تجسيد فني لصورة الغلول أو الاستغلال ، أو اجتلاب المنافع الخاصة على حساب المجاهدين والضاربين في سبيل الله ، حتى على حساب الحيوانات التي لا تعقل ، فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره ، حتى قال : « لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبة فرس له حمحمة فيقول : يا رسول الله أغثني ! فأقول لا أملك لك من الله شيئاً فقد أبلغتك » والحديث طويل اجتزأنا منه بما تقدم .

٣ ــ التشبيه البليغ في قوله « هم درجات » فقد جعلهم الدرجات نفسها ، للمبالغة في إظهار التفاوت ، لما بينهم في الثواب والعقاب .

٤ ــ الالتفات وهو هنا العدول عن ذكر الخاص ، وهو النبي ، الى ذكر العام ، وهو كل نفس ، ليشمل كل كاسب بغير حق ، وليتلطف ويتعطف في تقرير الغلول ونتائجه بالنسبة للنبي . ألا ترى الى قوله تعالى : « عفا الله عنك لمَ أذنت لهم » فقد بدأ المصطفى بالعفو ، ولو لم يبدأ به لتفطر قلبه .

٥ ــ الطباق بين الرضوان والسخط .

﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾

الاعراب :

(لقد منّ الله على المؤمنين) اللام جواب لقسم محذوف وقد حرف تحقيق ومنّ الله فعل وفاعل وعلى المؤمنين جار ومجرور متعلقان بمنّ والكلام مستأنف مسوق لتأكيد نزاهة النبي صلى الله عليه وسلم وبيان خطأ الذين نسبوا إليه الغلول (إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم) إذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق بمنّ وجملة بعث في محل جر بالإضافة وفيهم جار ومجرور متعلقان ببعث ورسولا مفعول به ومن أنفسهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لـ « رسولاً » (يتلو عليهم آياته) الجملة صفة ثانية لـ « رسولاً » وعليهم جار ومجرور متعلقان بيتلو (ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) الجملتان معطوفتان على يتلو ، والكتاب مفعول به ثان ليعلمهم والحكمة عطف على الكتاب (وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) الواو حالية وإن مخففة من الثقيلة مهملة لا عمل لها وكان واسمها ، ومن قبل جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال وقبل ظرف مبني على الضم في محل جر بمن ولفي اللام هي الفارقة وفي ضلال جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر كانوا ومبين نعت .

البلاغــة :

في الآية فن رفيع من فنون البلاغة يعرف بفن التجريد : وهو أن ينتزع المتكلم من أمر ذي صفة أمراً آخر بمثاله فيها مبالغة لكمالها فيه ، كأنه أبلغ من الاتصاف بتلك الصفة . وهو أقسام كثيرة يمكن الرجوع اليها في كتب البلاغة ، ولكننا نشير الى أهمها :

١ ــ أن يكون بـ « من » الجارّة ، ومن أوابده في النثر خطبة أبي طالب في تزويج خديجة بالنبي صلى الله عليه وسلم ومنها : « الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل وضئضئ معد » .

٢ ــ ويكون بالباء الجارة التجريدية كقول أبي تمام :

هتك الظلام أبو الوليد بعزة فتحت لنا باب الرجـاء المقفل

بأتمّ من قمر السماء إذا بدا بدراً وأحسن في العيون وأجمل

بأجلّ من قيس إذا استنطقته رأياً وألطف في الأمور وأجزل

٣ ــ ويكون بفي الجارّة التجريدية ، قال تعالى : « لهم فيهـا دار الخلد » أي في جهنم فانتزع منها داراً أخرى مبالغة . وقد رمقها أبو الطيب فقال :

تمضي المواكـب والأبصـار شاخصة

منهـا الى الملك الميمـون طائـره

قد حرن في بشر في تاجـه قمـر

في درعـه أسد تدمى أظافـره

فإن الأسد هو الممدوح نفسه لكنه انتزع منه أسداً آخرَ تهويلاً لأمره ومبالغة في اتصافه بالشجاعة والإقدام .

٤ ــ ومن أقسام التجريد أن ينتزع الانسان من نفسه شخصاً آخر مثله في الصفة التي سيق لها الكلام ، ثم يخاطبه كقول المتنبي :

لا خيل عندك تهديها ولا مال

فليسعد النطق إن لم تسعد الحال

واجز الأمير الذي نعماه فاجئة

بغير قول ونعمى القوم أقوال

وجميل قول أبي نواس :

يا كثير النّوح في الدمن لا عليها بل على السكن

سنة العشاق واحدة فإذا أحببت فاستنن

ومراده الخطاب مع نفسه ، ولذلك قال بعدهما :

ظنّ بي من قد كلفت به فهو يجفوني على الظّنن

بات لا يعنيه ما لقيت عين ممنوع من الوسن

رشأ" لولا ملاحته خلت الدنيا من الفتن

وقال شوقي في العصر الحديث :

قم ناجِ جلّق وانشد رسم من بانوا

مشت على الرسم أحداث وأزمان

فقد انتزع من نفسه شخصاً آخر يمثّله في الشاعرية والقدرة على مناجاة دمشق الخالدة التي صمدت للاستعمار دائماً • ويكثر هذا القسم في مطالع القصائد ولكن سبيله صعبة محفوفة بالخطر لأنه قد

يخاطب ممدوحه أو معشوقه أو أي مخاطب كان بما يكره ويتطيّر به كما فعل جرير عندما استهل قصيدة مدح بها عبد الملك بن مروان :

أتصحو أم فؤادك غير صاح عشيّة هم صحبك بالرّواح

فقال له عبد الملك : ويلك ! ما لك ولهذا السؤال يا ابن الفاعله ! وكما تورط أبو الطيب المتنبي نفسه متعمداً في مديح كافور :

كفى بك داء أن ترى الموت شافياً

وحسب المنايا أن يكنّ أمانيا

ومن القصائد البديعة التي تغلغل التجريد الى أبياتها قصيدة الصمة بن عبد الله في صاحبته ريا ، ونوردها كاملة ففيها لعشاق الأدب سلوى وتأساء :

حننت إلى ريا ونفسك باعدت

مزارك من ريا وشعباكما معا

فما حسن" أن تأتي الأمر طائعاً

وتجزع أن داعي الصبابة أسمعا

قفا ودّعا نجداً ومن حلّ بالحمى

وقل لنجد عندنا أن يودّعا

بنفسي تلك الأرض ما أطيب الربا

وما أحسن المصطاف والمتربّعا

وليست عشيّات الحمى برواجــــع
إليك ولكن خــل ّ عينيك تدمعا

ولمــا رأيت البشــر أعــرض دوننا
وحالت بنــات الشوق يحنن ّ نزّعــا

بكــت عيني اليسرى فلما زجرتهـــا
عن الجهــل بعــد الحلــم أسبلتا معا

تلفّــت ّ نحــو الحي حتى حسبتــني
وجعــت من الاصغــاء ليتاً وأخــدعا

وأذكـــر أيــام الحمى ثــم أثنــي
عــلى كبــدي من خشية أن تصدّعا

الفوائــد :

تخفف « إنّ » المكسورة الهمزة المشبهة بالفعل فتهمل لزوال اختصاصها ، وتدخل على الخبر لام تسمى اللام الفارقة ، مثل : إنْ خالد لمسافر ، فرقاً بينها وبين إن النافية ، وإذا وليها فعل كانت مهملة حتماً ، ويكون هــذا الفعل من النواسخ أي كان وظن وأخواتهما ، ولا بد من دخول هذه اللام على هذه الأفعال . وقد أعملها بعض العرب في القسم الأول على قلة فقالوا يجوز أن نقول : إنْ خالداً لمسافر ، ولهذا أخطأ الزمخشري وخالف كتابه المفصل عندما أعملها في قولها

تعالى : « وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين » عندما قدر اسمها اسماً ظاهراً أي إن الشأن والحديث . وقد تبع الزمخشري في الخطأ الجلال وأبو السعود ، وجلّ من لا يسهو .

﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥ ﴾

الاعراب :

(أولما أصابتكم مصيبة) الهمزة للاستفهام الانكاري والتقريع والواو عاطفة على ما تقدم من قصة أحد والمعنى لا ينبغي لكم أن تتعجبوا من فشلكم فإنكم تعلمون السبب واذا عرف السبب بطل العجب،ولما ظرفية حينية متعلقة بقلتم أو رابطة فهي حرف،وسيأتي حكمها في باب الفوائد . وأصابتكم فعل ماض ومفعول به ومصيبة فاعل (قد أصبتم مثليها) الجملة صفة لمصيبة وقد حرف تحقيق وأصبتم فعل وفاعل ومثليها مفعول به (قلتم أنى هذا) جملة قلتم لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وأنى اسم استفهام خبر مقدّم وهذا مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول والمعنى : من أين أصابنا هذا الانهزام والقتل ونحن نقاتل في سبيل الله ومعنا رسول الله وقد وعدنا الله بالنصر عليهم ؟ (قل هو من عند أنفسكم) جملة القول مقول للقول وهو مبتدأ ومن عند أنفسكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (إن الله على كل شيء قدير) ان واسمها وخبرها وعلى كل شيء جار ومجرور متعلقان بقدير والجملة تعليلية لا محل لها .

الفوائـد :

١ ـ أورد ابن هشام في المغني هذه الآية شاهداً على أن الهمزة تدخل على النفي كما تدخل على الاثبات وهذا وهم منه لم نكن نتوقع صدوره عن رجـل ذكي مثله لأن لما هنا حينية لا نافية فلا يصلح هـذا مثالا لدخولها على النفي ولا يقال : إن الهمزة للانكار وهو بمثابة النفي فالكلام الذي دخلت عليه منفيّ أيضاً فصح التمثيل لأنّا نقول: الانكار هنا توبيخي فمدخوله ثابت كقولك لضارب أبيه : أتضربه وهو أبوك فالأولى الاعتراف بأن ابن هشام اشتبه عليه لفظ لما لعلّ المراد أنه أراد لما النافية وقد انتبه السيوطي لهذه الغلطـة وقال : والاولى التمثيل بقول الشاعر : فقلت : الما اصح والشيب وازع ، وهذه من هنات ابن هشام اليسيرة التي سجلناها عليه وجلّ من لا يسهو، وقال الدماميني في شرحه للمغني: «والأولى أن يجعل مدخولها محذوفاً هو المعطوف عليه أي ألم تجزعوا أو قلتم لمّا أصابتكم مصيبة ويكون المصنف مثـل للنفي المذكور والمحذوف قال : فإن قلت هذا لا يراه المصنف كما يأتي وانما يرى الهمزة الداخلة على مدخول الواو قدمت تنبيهاً على اصالتها في التصدير كما يأتي فكيف يحمـل كلامه عـلى ما ذكرت ؟ قلت : المصنف لم يذكر هذا في الهمزة التي للانكار نحو :«أفأمن أهل القرى» «أفلم يسيروا»أو مثل على قول الزمخشري ومن تبعه .

٢ ـ (لما) على ثلاثة أوجه :

آ ـ تختص بالمضارع فتجزمـه وتقلبه ماضياً كلم ولكن نفيها مستمر الى الحال بعكس لم .

ب ـ أن تختص بالماضي وقد اختلف فيها علمـاء النحو فقال

جماعة هي ظرف بمعنى حين وقال جماعة هي حرف لربط جملتين لا بد منهما نحو لما جاءني أكرمته .

ج ـ أن تكون حرف استثناء فتدخل على الجملة الاسمية نحو « إن كل نفس لما عليها حافظ » وسيأتي الكلام عنها في مكانها .

٣ ـ قد : حرف توقع لاقترانه بالافعال المتوقعة والمسئول عنها ولذلك يقال : إذا دخلت على الماضي حرف تحقيق واذا دخلت على المضارع حرف تقليل ومعنى تقليلها تقريبها من الحال ومنه قوله تعالى : « قد يعلم الله المعوقين منكم » وقد تخرج عن موقعها وتجيء من قبيل الاسماء بمعنى حسب ، تقول : قدك أي حسبك . قال أبو تمام :

قدك اتئب أربيت في الغلواء كم تعذلون وأنتم سجرائي

﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ﴾

الاعراب :

(وما أصابكم يوم التقى الجمعان) الكلام مستأنف

مسوق لتتمة قصة أحد والواو استئنافية وما اسم موصول مبتدأ وجملة أصابكم صلة ويوم ظرف متعلق بأصابكم وجملة التقى الجمعان في محل جر بالإضافة (فبإذن الله وليعلم المؤمنين) الفاء رابطة لما في الموصول من رائحة الشرط وبإذن الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف تقديره فهو باذن الله والجملة الاسمية في محل رفع خبر اسم الموصول وليعلم الواو عاطفة واللام للتعليل ويعلم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة والجار والمجرور متعلقان بما تعلق به باذن والعطف هو من باب عطف السبب على السبب ولك أن تعلقهما بفعل محذوف تقديره فعل ذلك ليعلم والمؤمنين مفعول به (وليعلم الذين نافقوا) عطف على ليعلم والذين اسم موصول مفعول به وجملة نافقوا صلة الموصول (وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا) كلام مستأنف مسوق للاخبار بأنهم مأمورون إما بالقتال وإما بالدفع ولك أن تجعله معطوفاً على نافقوا داخلا في حيّز الموصول أي وليعلم الذين حصل منهم النفاق والقول المذكور وقيل فعل ماض مبني للمجهول ولهم جار ومجرور متعلقان بقيل وجملة تعالوا مقول القول وكذلك جملة قاتلوا وكلتا الجملتين نائب فاعل قيل ولم يأت بحرف العطف بينهما لأن كلا من الجملتين مقصودة بالذكر لذاتها وفي سبيل الله جار ومجرور متعلقان بقاتلوا أو حرف عطف وادفعوا معطوف على قاتلوا وحذف مفعول ادفعوا للعلم به لأنه العدو ودفعه انما يكون بتكثير سواد المسلمين وسواد المسلمين جماعتهم (قالوا لو نعلم قتالاً لاتبعناكم) الجملة لا محل لها لأنها مستأنفة مسوقة لتعبر عن تمحلهم وامعانهم في اللجاج وركوب متن الغي والضلال ولو شرطية وسماها سيبويه حرفاً لما كان سيقع لوقوع غيره جملة لو نعلم قتالا مقول قولهم لأن رأي عبد الله بن أبي كان في الاقامة بالمدينة . واللام واقعة

في جواب لو واتبعناكم فعل ماض وفاعل ومفعول به والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان) الجملة مستأنفة مسوقة للقطع بأمرهم وهم مبتدأ وللكفر جار ومجرور متعلقان بأقرب ويوم ظرف زمان مضاف لظرف آخر وهو متعلق بمحذوف حال وأقرب خبرهم ومنهم جار ومجرور متعلقان بأقرب وللايمان جار ومجرور متعلقان بأقرب أيضاً وهذا من خصائص اسم التفضيل يتعلق به حرفا جر متحدان لفظاً ومعنى وحرف آخر غير متحد بعامل واحد لأنه في قوة عاملين فهو يدل على أمرين وهما أصل الفعل والزيادة فيه فيعمل كل منهما بواحد (يقولون بأفواههم ما ليس بقلوبهم) الجملة مستأنفة لا محل لها أو حالية من الضمير في أقرب فيكون المعنى قربوا للكفر في حالة كونهم قائلين هذه المقالة وبأفواههم جار ومجرور متعلقان بيقولون وانما صرح بالجار والمجرور والقول لا يكون إلا بالافواه لأن القول يطلق على اللساني والجسماني فتقييده بأفواههم تقييد لأحد محتمليه وقيل لمجرد التأكيد وما اسم موصول مفعول به وجملة ليس في قلوبهم صلة ما وفي قلوبهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ليس (والله أعلم بما يكتمون) كلام مستأنف مسوق لتقرير انه تعالى عليم بما يكتمونه من نفاق أو بما كانوا يبيتونه في الخفاء ولك أن تجعلها حالية والله مبتدأ وأعلم خبر وبما جار ومجرور متعلقان بأعلم وجملة يكتمون صلة ما .

﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ ۗ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾ ﴾

الاعراب :

(الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا) الذين اسم موصول لك في إعرابه وجوه متساوية منها أن تعربه بدلا من اسم الموصول في الآية المتقدمة أي الذين نافقوا أو من الواو في نافقوا أو تنصبه على الذمّ بفعل محذوف تقديره أذمّ وهو شائع في كلامهم ويدل على تجسيد وتصوير ولك أن ترفعه على أنه خبر لمبتدأ محذوف فتكون الجملة مستأنفة وجملة قالوا صلة ولاخوانهم جار ومجرور متعلقان بقالوا والواو يجوز فيها أن تكون حالية أ وعاطفة والجملة اما حالية من الواو في قالوا وقد مقدرة واما معطوفة على جملة قالوا (لو أطاعونا ما قتلوا) لو شرطية وأطاعونا فعل ماض وفاعل ومفعول به وما نافية وقتلوا فعل ماض مبني للمجهول والواو نائب فاعل وجملة ما قتلوا لا محل لها لانها جواب شرط غير جازم وجملة لو أطاعونا في محل نصب مقول القول (قل فادرءوا عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين) الجملة مستأنفة وقل فعل أمر والفاء هي الفصيحة أي إذا صحّت دعواكم فادرءوا عن أنفسكم أي ادفعوا وعن أنفسكم جار ومجرور متعلقان بادرءوا والموت مفعول به وإن شرطية وكنتم فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط والتاء اسمها وصادقين خبر كنتم وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله أي فادرءوا الموت إن كنتم صادقين في دعواكم ان القعود ينجي صاحبه ولا يقال إن الانسان يدفع عن نفسه العارض قبل حلول الاجل إذا أخذ بأسباب التوقي فذلك إرجاف لا يتفق مع قوله تعالى « فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » .

الفوائـد :

(لو) في الكلام ضربان : مصدرية وشرطية .

آ ـ المصدرية هي التي يحسن في موضعها ان المصدرية وأكثر ما تقع بعد ودّ أو ما في معناه كقوله تعالى « يود أحدهم لو يعمر ألف سنة » .

ب ـ الشرطية هي للتعليق في الماضي كما أن إن في المستقبل ومن ضرورة كون التعليق في الماضي أن يكون شرطها منفيّ الوقوع لأنه لو كان ثابتاً لكان الجواب كذلك واما جوابها فان كان مساوياً للشرط في العموم كما في قولك : لو كانت الشمس طالعة كان النهار موجوداً فلا بد من انتفائه أيضاً وإن كان أعم من الشرط كما في قولك : لو كانت الشمس طالعة لكان الضوء موجوداً فلا بد من انتفاء القدر المادي منه للشرط ولذلك تسمع النحاة يقولون : لو حرف امتناع لامتناع أي يدل على امتناع الجواب لامتناع الشرط ولا يرون انها تدل على امتناع الجواب مطلقاً لتخلفه في نحو : لو ترك العبد سؤال ربه لأعطاه . وإنما يريدون انها تدل على انتفاء المساوي من جوابها للشرط والأولى أن يقال : لو حرف شرط يقتضي نفي ما يلزم من ثبوته ثبوت غيره فينبه على انها تقتضي لزوم شيء لشيء وكون الملزوم منفياً ولا يتعرض لنفي اللازم مطلقا ولا لثبوته لأنه غير لازم من معناها وسيرد بحث ممتع عند قوله تعالى : « ولو ان ما في الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله » فانتظر واقرأ العجيب من هذه اللغة الشريفة .

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ

رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾

الاعراب :

(ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً) كلام مستأنف مسوق لاخبار النبي صلى الله عليه وسلم وأمته بمصائر الشهداء ولئن كان الكلام خاصاً بشهداء أحد فلا ينتفي عنه العموم وقد سبق القول في شهداء بدر وما نزل فيهم وهو قوله تعالى « ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله » الآية والواو استئنافية ولا ناهية وتحسبنّ فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة وهو في محل جزم بلا الناهية وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت والذين اسم موصول مفعول به أول وأمواتاً مفعول به ثان (بل أحياء عند ربهم يرزقون) بل حرف عطف يعطف جملة على جملة وأحياء خبر لمبتدأ محذوف أي هم أحياء وليست بل التي تعطف مفرداً على مفرد لأن المعنى يختل إذ يصير لا تحسبنهم أحياء بل الغرض الإعلام بحياتهم ترغيباً في الجهاد وحثاً عليه وعند ربهم ظرف متعلق بيرزقون ويجوز أن تعلقه بمحذوف خبر ثان ويجوز أن تعلقه بمحذوف صفة وهذه الوجوه متساوية الرجحان وجملة يرزقون في محل رفع خبر ثالث أو ثان (فرحين بما آتاهم الله من فضله) فرحين حال من الضمير في يرزقون وبما جار ومجرور

متعلقان بفرحين وجملة آتاهم الله صلة ما الموصولية ومن فضله جار ومجرور متعلقان بآتاهم ولك أن تعتبر من تبضيعية فتعلقها مع مجرورها بمحذوف حال (ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم) الجملة معطوفة على فرحين من جهة المعنى فهي حال لأن الصفة المشبهة تشبه المضارع وبالذين جار ومجرور متعلقان بيستبشرون وجملة لم يلحقوا بهم صلة الذين ومن خلفهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الواو في لم يلحقوا (أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) أن هي المخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن المحذوف والمصدر المؤول من ان وما في حيزها منصوب بنزع الخافض أي بأن لا خوف عليهم والجار والمجرور متعلقان بمحذوف بدل اشتمال من الذين أي ويستبشرون بما تبين لهم من حال من تركوهم خلفهم أحياء في الدنيا من المؤمنين ولا يخفى ما في هذا الاستبشار من إلهاب للرغبة في الجهاد ولا نافية للجنس مهملة وخوف مبتدأ وعليهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ولا هم يحزنون عطف عليه وقد تقدم اعراب نظائره فلذلك اجتزأنا بما تقدم .

البلاغة :

١ ــ الطباق بين أموات وأحياء وهي مطابقة بلغت الغاية في تصوير شهداء معركة أحد والشهداء الذين يستشهدون في معمعان الجهاد وقد خولف الاعراب بين المتعاطفين في الظاهر للدلالة على أن الموت أمر طارىء يعقبه الهمود والاندثار وعدم تجدد الذكر أما الرفع وجعله جملة اسمية فهو أبلغ في الدلالة على الديمومة وطروء الذكر وتجدده كل يوم وقد وردت أحاديث تجسد الموقف البديع .

٢ ـ مراعاة النظير وهو فن بديع جميل تفنن علماء البلاغة في تسميته فسماه بعضهم التناسب والتوفيق وسماه آخرون الائتلاف والمؤاخاة وحده أن يجمع الناظم والناثر بين أمر وما يناسبه سواء أكانت المناسبة لفظاً أم معنى فقد ناسب سبحانه بين فرحين ويستبشرون وبين عدم الخوف وعدم الحزن وبين النعمة والفضل .

﴿ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ﴾

الاعراب :

(يستبشرون بنعمة من الله وفضل) كرر الفعل للتأكيد والجمله استئنافية مسوقة للتأكيد ولك أن تجعلها تأكيداً لسابقتها أو بدلا منها وبنعمة جار ومجرور متعلقان بيستبشرون ومن الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لنعمة وفضل عطف على نعمة (وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين) الواو عاطفة وان واسمها وجملة لا يضيع خبرها (الذين استجابوا لله والرسول) اسم الموصول مبتدأ ولك أن تنصبه بفعل محذوف على المدح أو تجره على انه صفة للمؤمنين وجملة استجابوا صلة الموصول ولله جار ومجرور متعلقان باستجابوا والرسول عطف على الله (من بعد ما أصابهم القرح) من بعد جار ومجرور متعلقان

بمحذوف حال وما مصدرية وأصابهم القرح فعل ومفعول به وفاعل وما المصدرية وما في حيزها في تأويل مصدر مضاف لبعد (للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم) للذين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وجملة أحسنوا صلة ومنهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال واتقوا عطف على أحسنوا وأجر مبتدأ مؤخر وعظيم صفة وجملة للذين خبر الذين في قوله : الذين استجابوا ، اذا أعربت الذين مبتدأ ، أو حالية •

غزوة حمراء الأسد :

الذين استجابوا لله والرسول هم الذين خرجوا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهم المؤمنون الذين ساهموا في الحرب بمعركة أحد ويقول التاريخ : حمراء الأسد هي على ثمانية أميال من المدينة على يسار الطريق اذا أردت ذا الحليفة وكانت هذه الغزوة صبيحة يوم الأحد لست عشرة مضت أو ثمان خلون من شوال على رأس اثنين وثلاثين شهراً من الهجرة لطلب عدوهم بالامس ونادى مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يخرج معنا أحد إلا من حضر يومنا بالامس أي من شهد معركة أحد فخرج معه جميع من شهدها من المؤمنين الخلّص ، وكانوا ستمائة وثلاثين وأقام بها صلى الله عليه وسلم الاثنين والثلاثاء والاربعاء وكان قد أصابهم القرح بسبب ما نالهم في أحد فتسارعوا يحفزهم حبّ الثأر فتحاملوا على أنفسهم حتى لا يفوتهم الاجر ويحققوا الهدف المرجوّ وساور المشركين الرعب فلم ينهدوا لقتال ولم يبرزوا الى ميدان بل قبعوا في مكة لائذين بأذيال الخوف والنجاة ثم رجع النبي وصحابته الى المدينة يوم الجمعة ولم يستغرق نهوده للمشركين إلا خمساً •

﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾

الاعراب :

(الذين قال لهم الناس) الذين بدل أو صفة ثانية لـ : الذين استجابوا ولكن يشكل على هذا الإعراب أن الذين استجابوا لله والرسول هم الذين حضروا معركة أحد وهؤلاء الذين وقع لهم هذا القول المذكور هم مطلق المؤمنين فتتعذر البدلية أو الوصفية وتفادياً لهذا الاشكال نرى من الأولى أن نعرب الموصول منصوباً بفعل محذوف على المدح والتقدير امدح وجملة قال صلة الموصول ولهم جار ومجرور متعلقان بقال والناس فاعل (إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم) الجملة مقول القول وإن واسمها وقد حرف تحقيق وجملة جمعوا خبر إنّ ولكم جار ومجرور متعلقان بجمعوا والفاء الفصيحة واخشوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والهاء مفعول به (فزادهم إيماناً) الفاء عاطفة وزاد عطف على قال والفاعل ضمير مستتر مفهوم من قال لهم أي زادهم القول وايماناً مفعول به ثان ويجوز اعرابه تمييزاً (وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل) وقالوا عطف على زادهم وحسبنا خبر مقدم ونا مضاف اليه والله مبتدأ مؤخر ونعم الواو

حالية ولك أن تجعلها استئنافية ونعم فعل ماض جامد لإنشاء المدح والوكيل فاعل والمخصوص بالمدح هو الله تعالى (فانقلبوا بنعمة من الله وفضل) الفاء عاطفة وجملة انقلبوا معطوفة على مقدر مفهوم من سياق الكلام أي وخرجوا مع النبي فانقلبوا وبنعمة جار ومجرور متعلقان بانقلبوا أو بمحذوف حال ومن الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة وفضل عطف على نعمة (لم يمسسهم سوء) الجملة حالية ويمسسهم فعل مضارع مجزوم بلم والهاء مفعول به وسوء فاعل (واتبعوا رضوان الله) الجملة عطف على جملة انقلبوا (والله ذو فضل عظيم) الواو استئنافية والله مبتدأ وذو فضل خبر وعظيم صفة (انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه) كلام مستأنف مسوق لبيان القائل وانما كافة ومكفوفة وذلكم مبتدأ والشيطان مبتدأ ثان وجملة يخوف خبر الشيطان والمبتدأ الثاني وخبره خبر اسم الاشارة ويجوز أن نعرب ذلكم مبتدأ والشيطان بدلا من ذلكم وجملة يخوف خبر ذلكم ويجوز أيضاً أن نعرب ذلكم مبتدأ والشيطان خبره وجملة يخوف أولياءه مستأنفة أو حالية • (فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين) الفاء هي الفصيحة أي اذا وثقتم بهذا فلا تخافوهم وخافون عطف على لا تخافوهم والواو فاعل والنون للوقاية وحذفت ياء المتكلم جوازاً باتفاق القراء السبعة في الرسم ، وإن شرطية ، كنتم كان واسمها وفعل الشرط في محل جزم بإن ، والجواب محذوف دل عليه ما قبله ، ومؤمنين خبر كنتم •

البلاغة :

١ ــ العموم والخصوص في ذكر الناس عامة بعد ذكر الخاصة وهم الذين استهموا في غزوة أحد من اطلاق العام وإرادة الخاص •

٢ ــ اللف والنشر المرتب في قوله : بنعمة من الله وفضل مع طي ذكر الملفوف والمنشور وهما السلامة بالاجسام التي تعود الى النعمة والربح بالتجارة الذي يعود الى الفضل ٠

﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾﴾

اللغـة :

(يحزنك) بفتح الياء وضم الزاي لغة في أحزنه وبهما قرىء ومثله فتنه وافتنه فهما لغتان فاشيتان لثبوتهما بطريق التواتر ٠

الاعراب :

(ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر) كلام مستأنف مسوق للمبالغة في تسليته صلى الله عليـه وسلم والواو استئنافية ولا ناهية ويحزنك فعل مضارع مجزوم بلا والكاف مفعول به والذين فاعـل وجملة يسارعون صلة الموصول وفي الكفر جار ومجرور متعلقـان بيسارعون لتضمينها معنى يقعون (انهم لن يضروا الله شيئاً) الجملة تعليلية لا محل لها للايذان بأن مضارتهم للنبي صلى الله عليه وسلم بمثابة مضارته سبحانه وفي ذلك مسلاة له ومدعاة له الى اطراح الحزن جملة . ومن حق الرسول أن يحزن لنفاق من نافق وارتداد من ارتد وهذه عظة بالغة للاعتداد بالنفس والثقة والاحتفاظ بالشخصية ورباطة الجأش عنـد نزول المصيبة وإن واسمها وجملة لن يضروا الله خبرها

وشيئاً مفعول مطلق أي شيئاً من الضرر (يريد الله أن لا يجعل لهم حظاً في الآخرة) الجملة مستأنفة ويريد الله فعل وفاعل وان وما في حيزها مصدر مؤول مفعول به ليريد وحظاً مفعول يجعل الاول ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف مفعول به ثان وفي الآخرة جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة (ولهم عذاب عظيم) الجملة مستأنفة أيضاً للمبالغة في امتهانهم ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وعذاب مبتدأ مؤخر وعظيم صفة لعذاب •

البلاغـة :

التنكـير في قولـه شيئاً فإن التنوين يزيـد النكـرة شياعا وتنكيراً وقلة وحقارة وذلك لتأكيد ما هـم عليه من القلة والحقارة وضآلة الشأن •

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ ﴾

اللغـة :

(نملي لهم) نتركهم وشأنهم وأمليت له في الأمر أخّرت وأمليت للبعير في القيد : أرخيت له ووسعت •

الاعراب :

(إن الذين اشتروا الكفر بالايمان) كلام مستأنف لتعميم الحكم على الكفار والمرتدين بعد أن كان خاصاً بالمنافقين وإن واسمها وجملة اشتروا صلة الموصول والكفر مفعول بهوبالايمانجار ومجرور متعلقان باشتروا (لن يضروا الله شيئاً)تقدم اعرابها بحروفها والجملةخبر إن(ولهم عذاب أليم) تقدم اعرابها (ولا يحسبن الذين كفروا) الواو عاطفة على قوله ولا يحزنك أو استئنافية ولعلها أولى لتعميم الحكم ولا ناهية ويحسبن فعلمضارعمبنيعلى الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلةفيمحل جزم بلا والذين فاعل وجملة كفروا صلة (أنما نملي لهم خير لأنفسهم) ان حرف مشبه بالفعل وما مصدرية مؤولة مَعَ الفعل بعدها بمصدر هو اسم ان أي ان املاءنا ويجوز أن تكون موصولة فتكون اسمها وكان من حقها أن تكتب مفصولــة من ان ولكن طريقــة المصحف كتابتها موصولة بها ولهــم جار ومجرور متعلقان بنملي وخـــير خبر ان ولأنفسهم جار ومجرور متعلقان بخـير وان وما بعدها سدت مسد مفعولي يحسبن (إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً) الجملة مستأنفة بمثابة التعليل للجملة التي قبلها فهي علة الاملاء ونملي فعل مضارع ولهم جار ومجرور متعلقان بنملي واللام لام التعليل ويزدادوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل والواو فاعل واثماً تمييز والجار والمجرور « لام التعليــل والمصدر المؤول » متعلقــان بنملي (ولهم عذاب مهين) تقدم اعرابها .

البلاغــة :

١ ـ الاستعارة المكنية في اشتراء الكفر بالايمان وقد تقدم القول في هــذا .

٢ ــ الاستعارة التصريحية في الاملاء فقد شبه امهالهم وترك الحبل لهم على غواربهم بالفرس الذي يملى له الحبل ليجري على سجيته ويرتقي كيف يشاء فحذف المشبه وهو الامهال والترك وأبقى المشبه به وهو الاملاء •

﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ ﴾

اللغــة :

(يذر) و (يدع) فعلان مضارعان أمات العرب ماضيهما فلم يأت منهما إلا المضارع والأمر ومعناهما الترك وقال علماء العربية : أن كلمتي ذر ودع في معنى الترك إلا أن دع أمر للمخاطب بترك الشيء قبل العلم به وذر أمر له بتركــه بعد ما علمه ، روي أن بعض الأئمة سأل الامام الرازي عن قوله تعالى : « أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين » لمَ لمْ يقــل وتدعون أحسن الخالقــين وهو أقرب من الفصاحة للمجانسة بينهما فقال الامام : لأنهم اتخذوا الاصنام آلهــة وتركوا الله بعد ما علموا أن الله ربهم وربّ آبائهم الأولين ، استكباراً فلذلك قيل لهم : وتذرون ولم يقل وتدعون ، هذا وقد ورد في الحديث الشريف مصدر يدع قال : « لتنتهين أقوام من ودعهم الجمعات » أي عن تركها •

(يميز) مضارع ماز أي عزل هذا عن ذاك .

(يجتبي) يختار ويصطفي .

الاعراب :

(ما كان الله ليذر المؤمنين) كلام مستأنف لبيان أن الله سبحانه عالم بكل شيء وهو لا يترك عباده على ما هم عليه من اختلاط في الأمر والتباس فيما يعانونه من شئون ، وما نافية وكان فعل ماض ناقص والله اسمها وليذر اللام لام الجحود وهي المسبوقة بكون منفي وقد تقدّم ذكرها ويذر فعل مضارع منصوب بأن مقدرة وجوباً بعد لام الجحود الجارة والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر كان والتقدير لم يكن الله مريداً تركهم على حالة من الاختلاط والالتباس ، والمؤمنين مفعول به (على ما أنتم عليه) والجار والمجرور متعلقان بيذر وأنتم مبتدأ وعليه خبره وجملة أنتم عليه صلة ما الموصولية (حتى يميز الخبيث من الطيب) حتى حرف غاية وجر ويميز فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى والجار والمجرور متعلقان بالخبر المحذوف أي مريداً تركهم والخبيث مفعول به ومن الطيب جار ومجرور متعلقان بيميز (وما كان الله ليطلعكم على الغيب) تقدم اعرابها (ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء) الواو عاطفة ولكن حرف مشبه بالفعل بمعنى الاستدراك والله اسمها وجملة يجتبي خبرها ومن رسله جار ومجرور متعلقان بيجتبي ومن اسم موصول مفعول به وجملة يشاء صلة الموصول (فآمنوا بالله ورسله) الفاء الفصيحة وآمنوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل وبالله جار ومجرور متعلقان بآمنوا ورسله معطوف على الله والجملة لا محل لها لانها جواب شرط غير جازم وهو الذي

وقعت الفـاء في جوابـه (وإن تؤمنوا وتتقوا فلكـم أجـر عظيـم) الواو استئنافيـة وإن شرطيـة وتؤمنوا فعـل الشرط وتتقوا عطف على تؤمنوا ، فلكم الفاء رابطة لجواب الشرط ولكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وأجر مبتدأ مؤخر وعظيم صفة والجملة في محل جزم جواب الشرط .

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ ﴾

الاعراب :

(ولا يحسبن الذين يبخلون) كلام مستأنف مسوق للشروع في ذم البخل وتقرير جزاء الباخلين ولك أن تجعل الواو عاطفة فيكون الكلام منسوقاً على ما تقدم ولا ناهية ويحسبن فعل مضارع مبني على الفتح في محل جزم بلا والذين اسم موصول فاعل وجملة يبخلون صلة الموصول (بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم) بما جار ومجرور متعلقان بيبخلون وجملة آتاهم الله صلة ما الموصولية ومن فضله جار ومجرور متعلقان بآتاهم والمفعول الاول ليحسبن محذوف دلّ عليه سياق الكلام أي البخل وهو ضمير متصل لا محل له وخيراً مفعول يحسبن الثاني ولهم جار ومجرور متعلقان بخير وسيرد بحث شيق عن قراءة تحسبن في باب الفوائد (بل هو شر لهم) بل حرف اضراب وعطف وهو مبتـدأ وشر خبر ولهـم جار ومجـرور متعلقان بشر (سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) الجملة تفسيرية لقوله هو شر

لهم ولك أن تجعلها مستأنفة بمثابة التعليل والسين حرف استقبال يفيد التوكيد ويطوقون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل وما اسم موصول منصوب بنزع الخافض أي بما بخلوا به . وبه جار ومجرور متعلقان ببخلوا ويوم القيامة ظرف زمان متعلق بيطوقون ولك أن تعلقه بمحذوف حال (ولله ميراث السموات والارض) الواو استئنافية ولله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وميراث السموات مبتدأ مؤخر والارض عطف على السموات (والله بما تعملون خبير) الواو استئنافية والله مبتدأ وبما جار ومجرور متعلقان بخبير وجملة تعملون صلة الموصول وخبير خبر .

البلاغــة :

في هذه الآية :

١ ــ الطباق بين خير وشر وبين السموات والارض فالكلام مقابلة.

٢ ــ الالتفات : فقد انتقل من الغيبة الى الخطاب بقوله تعملون زيادة في النكال وتأكيداً للوعيد والانذار .

الفوائــد :

١ ــ قرىء ولا تحسبن بالتاء فلا حذف في الكلام لأن الذين هو المفعول الاول وخيراً هو المفعول الثاني ويرد على هذا اشكال وهو أن أصل مفعولي حسب وأخواتها المبتدأ والخبر ولا يظهر ذلك في الآية لعدم صحة الحمل ، والجواب عن هذا الاشكال أن في الاية إيجازاً

والتقدير ولا تحسبن بخل الذين يبخلون باظهار ما آتاهم الله هو خيراً لهم فيتم تقدير الكلام .

٢ ــ حذف أحد مفعولي القلوب يكون للاختصار اذا كان هناك دليل عليه وقد أجازه الجمهور واستدلوا عليه بالآية وبقول عنترة العبسي :

ولقد نزلت فلا تظنّي غيره مني بمنزلة المحب المكرم

والتقدير : فلا تظني غيره مني واقعاً فحذف المفعول الثاني ومنعه بعضهم وقالوا : ان المفعول به الثاني هو قوله مني تنازعه نزلت وتظنّي وفي الباب الخامس من مغني اللبيب بحث ممتع فلخصه بما يلي : جرت عادة النحويين أن يقولوا : يحذف المفعول به اختصاراً واقتصاراً ويريدون بالاختصار الحذف لدليل وبالاقتصار الحذف لغير دليل ويمثلونه بنحو كلوا واشربوا أي اوقعوا هذين الفعلين وقول العرب : « من يسمع يخل » أي تكن منه خيلة والتحقيق أن يقال : انه تارة يتعلق الغرض بالاعلام بمجرد وقوع الفعل من غير تعيين من أوقعه أو من أوقع عليه فيجاء بمصدره مسنداً الى فعل كون عام فيقال : حصل حريق أو نهب وتارة يتعلق بالاعلام بمجرد ايقاع الفاعل للفعل فيقتصر عليهما ولا يذكر المفعول ولا ينوى إذ المنويّ كالثابت ولا يسمى محذوفاً لأن الفعل ينزل لهذا القصد منزلة مالا مفعول له ومنه « ربي الذي يحيي ويميت» «وهل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون» و « كلوا واشربوا ولا تسرفوا » الى آخر هذا البحث فارجع اليه .

﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ

سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾

الاعراب :

(لقد سمع الله قول الذين قالوا) كلام مستأنف مسوق لبيان نماذج من أراجيف اليهود وكذبهم وافتئاتهم على الله واللام جواب لقسم محذوف وقد حرف تحقيق وسمع فعل ماض والله فاعله وقول مفعوله والذين اسم موصول مضاف اليه وجملة قالوا صلة الموصول (إن الله فقير ونحن أغنياء) الجملة مقول القول وان واسمها وخبرها ونحن الواو عاطفة ونحن مبتدأ وأغنياء خبر والجملة معطوفة على ما قبلها (سنكتب ما قالوا) الكلام مستأنف والسين حرف استقبال وما اسم موصول مفعول به لنكتب وجملة قالوا صلة لا محل لها ويجوز أن تكون مصدرية أي قولهم ولعله أولى والجملة صلة للموصول الحرفي (وقتلهم الأنبياء بغير حق) الواو عاطفة وقتل معطوف على ما أو على المصدر المؤول والهاء ضمير في محل جر بالاضافة والانبياء مفعول به للمصدر الذي هو القتل وبغير حق جار ومجرور متعلقان بمحذوف في موضع نصب على الحال (ونقول ذوقوا عذاب الحريق) الواو عاطفة وجملة ذوقوا في محل نصب مقول القول وعذاب الحريق مفعول ذوقوا (ذلك بما قدمت أيديكم) الجملة مستأنفة لا محل لها واسم الاشارة مبتدأ وبما جار ومجرور متعلقان

بمحذوف خبر وجملة قدمت صلة الموصول وأيديكم فاعل قدمت (وأن الله ليس بظلام للعبيد) الواو حرف عطف وان ما في حيزها في محل رفع عطفاً على الخبر وان واسمها وجملة ليس في محل رفع خبر أن واسم ليس ضمير مستتر وبظلام الباء حرف جر زائد وظلام مجرور لفظاً في محل نصب خبر ليس ولك أن تجعل الواو استئنافية وجملة أن وما بعدها في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف أي والأمر أن الله الخ وهو جيد .

البلاغة :

١ ـ الاستعارة المكنية في قوله ذوقوا عذاب الحريق وقد تقدمت الاشارة اليها بحروفها .

٢ ـ الطباق بين فقير وأغنياء .

٣ ـ المجاز المرسل في أيديكم إذ المراد سيئاتكم والعلاقة هي السببية لأن اليد هي السبب فيما يقترفه الانسان من أعمال .

﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٍ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٨٣ ﴾

الاعراب :

(الذين قالوا : إن الله عهد الينا) الذين بدل من الموصول السابق

في قوله : لقد سمع الله قول الذين أو نعت له أو خبر لمبتدأ محذوف فتكون الجملة مستأنفة وجملة قالوا صلة الموصول وجملة إن الله الخ في محل نصب مقول القول وان واسمها وجملة عهد خبرها والينا جار ومجرور متعلقان بعهد (أن لا نؤمن لرسول) أن المصدرية وما في حيزها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض أي أمرنا في التوراة بأن لا نؤمن لرسول والرسول جار ومجرور متعلقان بنؤمن (حتى يأتينا بقربان تأكله النار) حتى حرف غاية وجر ويأتينا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى ونا ضمير متصل في محل نصب مفعول به وبقربان جار ومجرور متعلقان بيأتينا وجملة تأكله النار صفة لقربان وال في النار للعهد أي المعهودة لديهم بأنها تنزل من السماء والتفاصيل يرجع اليها في المطولات (قل : قد جاءكم رسل من قبلي) الكلام مستأنف مسوق لتوبيخهم على الكذب والافتئات وقل فعل أمر وفاعله أنت وجملة قد جاءكم في محل نصب مقول القول ورسل فاعل ومن قبلي جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لرسل(بالبينات وبالذي قلتم) الجار والمجرور متعلقان بجاءكم وبالذي عطف على قوله بالبينات وجملة قلتم صلة الموصول(فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين) الفاء عاطفة واللام حرف جر وما الاستفهامية المحذوفة الألف في محل جر باللام والجار والمجرور متعلقان بقتلتموهم وقتلتموهم فعل وفاعل ومفعول به والواو لاشباع حركة الميم وإن شرطية وكنتم فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط والتاء اسم كان وصادقين خبرها وجواب الشرط محذوف تقديره فلم قتلتموهم .

﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا

تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾

اللغة :

(متاع الغرور) المتاع : كل ما استمتع به الانسان من مال وغيره والغرور : مصدر غرّ أي خدع ، والغرور الباطل .

الاعراب :

(فإن كذبوك فقد كُذّب رسل من قبلك) كلام مستأنف مسوق لتسليته صلى الله عليه وسلم ، والفاء استئنافية وإن شرطية وكذبوك فعل وفاعل ومفعول به وهو في محل جزم فعل الشرط ، فقد : الفاء رابطة للجواب وقد حرف تحقيق وكذب فعل ماض مبني للمجهول ورسل نائب فاعل ومن قبلك جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لرسل (جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير) الجملة صفة لرسل وبالبينات جار ومجرور متعلقان بجاءوا وما بعده عطف عليه والمنير صفة للكتاب (كل نفس ذائقة الموت) كلام مستأنف مسوق ليكون تتمة لتسليته صلى الله عليه وسلم ، وكل نفس مبتدأ وذائقة الموت خبره (وإنما توفون أجوركم يوم القيامة) الواو حالية أو استئنافية وإنما كافة ومكفوفة وتوفون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل

وأجوركم مفعول به ثان ويوم القيامة ظرف زمان متعلق بتوفون (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز) الفاء استئنافية ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ وزحزح فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وهو مبني للمجهول ونائب الفاعل مستتر تقديره هو وعن النار جار ومجرور متعلقان بزحزح وأدخل عطف على زحزح ونائب الفاعل مستتر والجنة منصوب بنزع الخافض والفاء رابطة لجواب الشرط وقد حرف تحقيق وفاز فعل ماض والجملة في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر « من » (وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) الواو استئنافية وما نافية والحياة مبتدأ والدنيا صفة وإلا أداة حصر ومتاع الغرور خبر .

البلاغـة :

في الآية تشبيه بليغ ، فقد شبه الدنيا بالمتاع الذي يدلس به بائعه على طالبه حتى ينخدع ويشتريه . وقد أخرج سبحانه الكلام بهذا التشبيه مخرج الإنكار على من جعل ديدنه الاغترار بالدنيا وتلمّظ أفاويقها ، وهي في الواقع لا نفع فيها ولا طائل تحتها ، وأية فائدة ترجى من الشيء الذي يعتوره الفناء ؟ !

﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ ﴾

اللغـة :

(عزم الأمور): أي معزوماتها فجعل المصدر بمعنى اسم المفعول

الاعراب :

(لتبلونّ في أموالكم وأنفسكم) اللام موطئة للقسم وتبلونّ فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النّون المحذوفة لتوالي الأمثال وواو الجماعة المحذوفة لالتقاء الساكنين ضمير متصل في محل رفع فاعل والنون المشددة نون التوكيد الثقيلة وفي أموالكم جار ومجرور متعلقان بتبلون وأنفسكم عطف على أموالكم والجملة لامحل لها من الاعراب لأنها جواب قسم مقدر وجملة القسم مستأنفة مسوقة للشروع في تسليةّ النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين عما سيستهدفون له من المكاره ، وفائدة التسلية توطين النفس على احتمال المكاره عند وقوعها والاستعداد للنتائج مهما تكن (ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) الواو عاطفة واللام جواب قسم مقدر أيضاً وتسمعن تعرب مثل تبلون ومن الذين جار ومجرور متعلقان بتسمعُنّ وجملة أوتوا صلة الموصول والواو في أوتوا نائب فاعل والكتاب مفعول به ثان ومن قبلكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (ومن الذين أشركوا أذى كثيراً) ومن الذين جار ومجرور معطوفان على « من الذين أوتوا الكتاب » وهما متعلقان بتسمعن وأذى مفعول به لتسمعن وكثيراً صفة (وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور) الواو عاطفة وإن شرطية وتصبروا فعل الشرط وتتقوا عطف على تصبروا فإن الفاء رابطة لجواب الشرط وإن حرف مشبه

بالفعل وذلك اسمها ومن عزم الأمور جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها والجملة المقترنة بالفاء لا محل لها من الاعراب لأنها بمثابة تعليل لجواب الشرط المحذوف واقع موقعه والتقدير : وإن تصبروا وتتقوا فهو خير لكم أو فقد أحسنتم أو أصبتم شاكلة الصواب ، ولك أن تجعلها هي الجواب وتكون الإشارة الى صبر المخاطبين •

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾

اللغة :

(النّبذ) الطّرح وراء الظهر • مثل في ترك الاعتداد بالشيء والإعراض عنه بالكلية • وقد تقدم مستوفى في سورة البقرة ؛ كما تقدم القول في أن بعض العلماء جعله من أفعال التحويل كما سيأتي •

الاعراب :

(واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب) كلام مستأنف مسوق لبيان كتمانهم شواهد نبوّته ومخايل صدقه • والواو استئنافية وإذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق بمحذوف أي : اذكر وقت أخذ الله الميثاق • وأخذ فعل ماض والله فاعل وميثاق الذين مفعول به والجملة في محل جر بالاضافة وجملة : أوتوا الكتاب صلة الموصول والواو

نائب فاعل والكتاب مفعول به ثان (لتبيننه للناس ولا تكتمونه) اللام جواب للقسم الذي يدل عليه أخذ الميثاق ، كأنه قال لهم : بالله لتبيننه •وقرىء بالياء • وتبيننه فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون المحذوفة لتوالي الأمثال ، وقد تقدمت له نظائر وما بالعهد من قدم • وللناس جار ومجرور متعلقان بـ « تبيننه » ولا تكتمونه الواو عاطفة وتكتمونه جملة معطوفة على تبيننه ، ولك أن تجعل الواو حالية فتكون الجملة نصباً على الحال (فنبذوه وراء ظهورهم) الفاء عاطفة ونبذوه فعل وفاعل ومفعول به ووراء ظهورهم نصب على المفعولية الثانية كما تقدم في سورة البقرة ، وأعربه الكثيرون ظرفاً ، ولم يشترطوا كون الفاعل مستقراً مع الظرف (واشتروا به ثمناً قليلاً) الواو عاطفة واشتروا عطف على نبذوه وبه جار ومجرور متعلقان باشتروا وثمناً مفعول به وقليلاً صفة (فبئس ما يشترون) الفاء استئنافية وبئس فعل ماض جامد لانشاء الذم وما نكرة تامة منصوبة على التمييز وقد ميزت فاعل بئس • ويجوز أن تكون مصدرية مؤولة مع الفعل بمصدر هو الفاعل أي : شراؤهم ، وقد تقدمت • والمخصوص بالذم محذوف أي : هذا •

البلاغة :

١ ــ الالتفات ، فقد انتقل من الغيبة في قوله « وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب » الى الخطاب في قوله : « لتبيننه » ثم عاد الى الغيبة ، والفائدة من ذلك زيادة التسجيل المباشر عليهم •

٢ ــ الاستعارة المكنية في اشتروا به ، وقد تقدمت •

﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ ﴾

اللغـة :

(المفازة) مكان الفوز والنجـاة ، ويجوز أن تكون مصدراً ميميا . وسميت الصحراء مفازة تفاؤلاً بالسلامة والفوز .

الاعراب :

(لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا) كلام مستأنف مسوق لبيان غفلتهم وانسياقهم مع أوهامهم . ولا ناهية وتحسبن فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة في محل جزم بلا والفاعل مستتر تقديره أنت والذين مفعول به وجملة يفرحون صلة الموصول وبما جار ومجرور متعلقان بيفرحون وجملة أتوا لا محل لها لأنها صلة الموصول (ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا) ويحبون معطوف على يفرحون وأن وما في حيزها مصدر مؤول في محل نصب مفعول به وبما جار ومجرور متعلقان بيحمـدوا ولم حرف نفي وقلـب وجزم ويفعلوا فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف النون والجملة صلة الموصول (فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب) الفاء زائدة لتحسين اللفظ وقد أنشدوا على زيادة الفاء في مثل هذا التركيب قول الشاعر :

وحتى تركت العائدات يعدنه ... يقلن فلا تبعد وقلت له ابعـد

أي : لا تبعد ، هكـذا أعربها المعربون ، وتبعهم المفسرون •
وأرى أنها الفصيحة ، وهي تسبق عادة جملة التطرية لنشاط القارىء
بعد حذف المفعول الثاني لتحسبن الأولى ، أي لا تحسبنهم ناجين •
واذا شئت أن تتأكـد مصيرهم تماماً فلا تحسبنهم • وبمفـازة جار
ومجرور في موضع المفعول الثاني لتحسبنهم ومن العذاب جار ومجرور
متعلقان بمحـذوف صفة لمفازة إن اعتبرت اسم مكان وبمفازة إن
اعتبرت مصدراً ميمياً (ولهم عذاب أليم) الواو استئنافية ولهم جار
ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وعذاب مبتدأ مؤخر وأليم نعت•

﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَٰفِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾

الاعراب :

(ولله ملك السموات والارض) الواو عاطفـة ولله جار ومجـرور
متعلقان بمحذوف خبر مقدم ملك مبتدأ مؤخـر والسموات مضاف
إليه والأرض عطف على السموات (والله على كل شيء قدير) الواو
عاطفة والله مبتدأ وعلى كل شيء جار ومجرور متعلقان بقدير وقدير
خبر (إن في خلق السموات والأرض) كـلام مستأنف مسوق لبيان

قدرته سبحانه ووجوده وعلمه . وإن حرف مشبه بالفعل وفي خلق السموات والأرض جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر إن المقدم (واختلاف الليل والنهار) عطف على خلق (لآيات لأولي الألباب) اللام المزحلقة وآيات اسم إن المؤخر ولأولي الألباب جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لآيات (الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم) الذين صفة لأولي الألباب وجملة يذكرون الله صلة وقياماً وقعوداً حالان وعلى جنوبهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال أي : مضطجعين ، والمعنى يذكرونه في جميع الاحوال قياماً وقعوداً ومضطجعين . وللفقهاء استدلالات وإيماءات بارعة ، ومن طريف حجج الشافعي أنه استدل بها على اضجاع المريض على جنبه في الصلاة (ويتفكرون في خلق السموات والارض) لك أن تجعل الواو عاطفة فتكون الجملة معطوفة على سابقتها فتكون داخلة في حيز الصلة ، ولك أن تجعل الواو حالية فتكون الجملة نصباً على الحال (ربنا ما خلقت هذا باطلاً) ربنا منادى مضاف ولا بد من تقدير قول ، أي : يقولون ربنا ، فالجملة نصب على الحال وما نافية وخلقت فعل وفاعل وهذا مفعول به وباطلاً منصوب بنزع الخافض أي بالباطل أو نعت لمصدر محذوف أي خلقاً باطلاً ، أو حالاً من هذا ، ورجح أبو حيان هذا الوجه على غيره . وعندنا أنها متساوية الرجحان (سبحانك فقنا عذاب النار) سبحانك مفعول مطلق وهو مع فعله المحذوف جملة معترضة لا محل لها . فقنا الفاء عاطفة للترتيب أي : نزهناك فقنا . ولك أن تجعلها الفصيحة لمعنى الجزاء المقدر أي : إذا شئت جزاءنا فقنا . وقِ فعل أمر ونا مفعول به أول وعذاب النار مفعول به ثان .

البلاغـة :

١ ـ الطباق : الذي جمع حالات الانسان الثلاث في الصلاة ، وهي القيام والقعود والاضطجاع على الجنب ، كما يقول الشافعي ، أو الاستلقاء ، لأنه أخف ، كما يقول أبو حنيفة .

٢ ـ المجاز المرسل بعلاقته المحلية ، فقد ذكر السموات والارض، ومراده ما فيهما من أجرام عظيمة بديعة الصنع صالحة للاستغلال في سبيل النفع الانساني الشامل .

٣ ـ الإيجاز في قوله : ويتفكرون في خلق السموات والارض ، حيث انطوى تحت هذا الايجاز كل ما تمخض عنه العلم من روائع المكتشفات وبدائع المستنبطات . وفي الحديث : لا عبادة كالتفكر .

١ ـ فلسفة الافكار لديكارت :

ولا مندوحة لنا هنا عن الاشارة الى أن فلسفة ديكارت الفرنسي عرفت في العصر الحديث بأنها فلسفة الافكار الواضحة المتميزة ، كما كانوا يسمونها في القرن السابع عشر . فقد أرادت تلك الفلسفة أن تخلص الفكر من وطأة السلطات أياً كانت ، فلم تقبل دليلاً على الحق إلا البداهة العقلية ، أي بداهة العقل الذي يراه الفيلسوف أعدل الاشياء قسمة بين الناس ، وحظوظ الناس منه متساوية ، فلا فرق بين شعب وشعب ، ولا تفاضل بين جنس وجنس . وقد كان لديكارت فضل في بناء صرح المذهب العقلي الحديث حين وضع قاعدته المشهورة: يجب أن لا أقبل شيئاً أبداً على أنه حق ما لم يتبين لي ببداهة العقل أنه كذلك ، ويجب أن لا أحكم على الأشياء إلا بما يتمثله ذهني بوضوح وتمييز ينتفي معهما كل سبيل الى الشك .

بين ديكارت ومحمد عبده :

وقد تجلى أثر هذه الفلسفة عند الاستاذ الامام محمد عبده في السنوات الاولى من هذا القرن العشرين إذ لا يخفى أن الدعوة التي نهض بها الامام محمد عبده لإصلاح المجتمع الاسلامي عموماً إنما تقوم على اصطناع منهج ديكارت في « الافكار الواضحة المتميزة » وفي تغليبه حكم العقل على أحكام الهوى والعاطفة وفي اصطناعه اليقين والبداهة معياراً لصحة الروايات أو تلفيقها ٠

تأملات ديكارت :

ومن المفيد أن نلخص تأملات ديكارت الستة وهي :

١ ـ بداهة العقل عند الفيلسوف معيار اليقين ، أي العلامة المميزة للمعرفة الصحيحة ٠

٢ ـ فناء الجسم الانساني أمر ممكن ميسور ، أما الذهن فباق بطبيعته ٠ .

٣ ـ فكرة موجود كامل فينا تشمل قدراً من الحقيقة الموضوعية أي تشارك بالتصور في قدر من درجات الوجود والكمال بحيث يلزم أن تصدر عن علة كاملة على الإطلاق ٠

٤ ـ جميع الاشياء التي نتصوّرها تصوراً واضحاً جداً ومتميزاً جداً هي كلها صحيحة ، وتتصل بالحقائق العقلية التي يمكن معرفتها بمعونة النور الطبيعي وحده ٠

٥ ــ وفي التأمل الخامس يتحدث عن ماهية الاشياء المادية ، ثم يعود الى الحديث عن الله ووجوده ، وهو يستند الى معيار البداهة . ولما كان ديكارت عالماً رياضياً ، وكان المثل الاول للبداهة عنده هو مثل البداهة الرياضية ، فهو ينظر الى الفكرة الواضحة التي تكون في أذهاننا عن الله فيجد أن شأنها كشأن المثلث ، وينتهي الى القول : إن القضيتين مجموع زوايا المثلث يساوي قائمتين ، والله موجود هما قضيتان متعادلتان في اليقين .

٦ ــ واتنهى ديكارت في التأمل السادس بتمييز فعل الفهم من فعل المخيلة فقال : وأصف علامات التمييز ، وفيه أبيّن أن نفس الانسان متميزة عن الجسم حقاً ، وأنها مع ذلك ملتئمة معه التئاماً ومتحدة به اتحاداً يجعلها وإياه شيئاً واحداً ، وفيه أبسط جميع ضروب الخطأ الناشئة من الحواس ، مبيناً الوسائل لاجتنابها . وأورد أخيراً جميع الأدلة التي يمكن أن يستنتج منها وجود المادية ، لا لأنني أرى لها فائدة كبيرة في إثبات ما تثبته ــ أعني أن العالم موجود وأن للناس أجساماً وما شابه ذلك من أشياء لم يشك فيها قط انسان ذو عقل سليم ــ بل لأن إنعام النظر فيها يطلعنا على أنها لم تبلغ من المتانة والبداهة مرتبة الأدلة التي توصلنا الى معرفة الله ومعرفة النفس ، وبهذا الاعتبار تكون الأدلة الأخيرة أوثق وأبين ما يمكن أن يقع للذهن الانساني من معرفة .

٤ ــ المطابقة المتعددة حتى تسمى مقابلة فقد طابق بين السموات والارض ، وبين الليل والنهار ، والقيام والقعود .

﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ

أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ



الاعراب :

(ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته) كلام مستأنف مسوق لتتمة الابتهالات الرقيقة الرائعة التي شرع فيها في خاتمة سورة آل عمران . وربنا منادى مضاف وإنك : إن واسمها ، ومن اسم شرط جازم في محل نصب مفعول به مقدم وتدخل فعل الشرط والنار منصوب بنزع الخافض أو مفعول به ثان على السعة ، فقد الفاء رابطة لجواب الشرط لاقتران الجواب بقد وأخزيته فعل وفاعل ومفعول به والجملة المقرونة بالفاء في محل جزم جواب الشرط والجملة في محل رفع خبر إن (وما للظالمين من أنصار) الواو استئنافية أو حالية وما نافية وللظالمين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ومن حرف جر زائد وأنصار مجرور لفظاً بمن مرفوع بالابتداء محلاً ، ولك أن تجعل ما حجازية عاملة عمل ليس لأنهم أجازوا تقديم الخبر إذا كان ظرفاً أو جاراً ومجروراً (ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للايمان) ربنا منادى مضاف وإن واسمها ، وجملة سمعنا خبرها ومنادياً مفعول سمعنا وجملة ينادي صفة وللإيمان جار ومجرور متعلقان بينادي . [ويلاحظ أن ضمير المتكلم وهو « نا » استعمل في حالاته الثلاث الجر بالاضافة لـ « ربّ » والنصب لأنه اسم إن والرفع على الفاعلية] والجملة كلها مستأنفة مسوقة لتتمة الابتهـالات (أن آمنوا بربكـم فآمنا) أن

مصدرية وآمنوا فعل أمر وأن وما في حيزها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض ويكون الجار والمجرور متعلقين بينادي ، ويجوز أن تكون أن هي المفسرة ، وهي الواقعة بعد جملة فيها معنى القول دون حروفه ، فتكون الجملة لا محل لها • وبربكم جار ومجرور متعلقان بآمنوا فآمنا الفاء حرف عطف للترتيب والتعقيب ، مؤذن بتعجيل الانصياع للنداء والايمان من غير مهلة ، لأن المنادي هو محمد أو القرآن ، وكلاهما حافز الى الامتثال والايمان (ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا) أعاد النداء استعذاباً للترتيب وزيادة في الاستعطاف والابتهال ، والفاء في قوله « فاغفر » عاطفة مؤذنة بالإشعار بترتّب المغفرة على الايمان به تعالى والإقرار بربوبيته ، وليس هناك أدعى الى المغفرة من ذلك • ولنا جار ومجرور متعلقان باغفر ، وذنوبنا مفعول به وكفّر عطف على اغفر ،وعنا جار ومجرور متعلقان بكفر،وسيئاتنا مفعول به (وتوفنا مع الابرار) عطف على ما تقدم وتوف فعل أمر مبني على حذف حرف العلة ونا مفعوله ومع ظرف مكان متعلق بمحذوف حال والابرار مضاف اليه •

البلاغة :

في الآية الإطناب ، وهو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة بأمور منها:

آ ــ ذكر الخاص بعد العام للتنبيه على فضل الخاص ، ومن أمثلته في القرآن قوله تعالى « إنا عرضنا الأمانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها » فذكر الجبال بعد الارض وهي جزء منها ، إطناب يراد به التفخيم والتهويل ، باعتبار أن الجبال تروعنا بشموخها ورسوخها ، ومع ذلك جبنت عن حمل الامانة •

ب ـ ذكر العام بعد الخاص ومن أمثلته قوله تعالى : « رب اغفر لي ولوالديّ ولمن دخل بيتي مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات » وهما لفظان عامّان يدخل في عمومهما من ذكر قبل ذلك . والغرض من ذلك إفادة الشمول مع العناية بالخاص الذي ذكره مرتين ، مرة وحده ومرة مندرجاً تحت العام .

جـ ـ الايضاح بعد الإبهام ، ومن أمثلته قوله تعالى : « وقضينا إليه ذلك الأمر : أنّ دابر هؤلاء مقطوع » فقوله : « أن دابر هؤلاء مقطوع » إيضاح للابهام الذي تضمنه لفظ الأمر .

د ـ التكرير وقد سبقت الاشارة اليه كقول الحسين بن مطير يرثي معن بن زائدة :

فيا قبر معن أنت أول حفرة
من الأرض خطّت للسماحة موضعا

ويا قبر معن كيف واريت جوده
وقد كان منه البرّ والبحر مترعا

والغاية منه تقرير المعنى في النفس ، وهو الأصل . وقد يكون للإنذار كما يرد في خطب الخطباء ، أو التحسر كما يصنع الراثون ، أو الاستلذاذ كما يفعل الغزلون .

هـ ـ الاعتراض : وهو أن يؤتى خلال الكلام أو بين كلامين متصلين في المعنى بجملة لا محل لها من الاعراب لفائدة ثانوية كالجملة الدعائية في قول عوف بن محلم الخزاعي :

إن الثمانين ، وبلغتها قد أحوجت سمعي الى ترجمان

فقوله : وبلغتها ، جملة دعائية تعطف قلب الممدوح وتتلطف في ذكر المراد ، وهو أنه أصمّ لا يسمع كلامه ليرفع صوته . وقد مرت الاشارة اليه .

و ــ الاحتراس وهو كل زيادة تجيء لدفع ما يوهمه الكلام مما ليس مقصوداً كقول أبي الطيب المتنبي :

إني أصاحب حلمي وهو بي كرم

ولا أصاحب حلمي وهو بي جبن

ففي البيت إطناب بالاحتراس في موضعين : أولهما في الشطر الاول بذكر « وهو بي كرم » ، وثانيهما في الشطر الثاني بذكر « وهو بي جبن » لدفع ما قد يوهمه الحلم مجرداً . وهناك أغراض أخرى ترد الاشارة اليها في مضامين هذا الكتاب . وفي الآية إطناب بالتكرار، وهو الجمع بين « منادياً » و « ينادي » وذلك أنه ذكر النداء في الاول مطلقاً ثم ذكره في الثاني مقيداً بالايمان ، تفخيماً لشأن المنادى ، لأنه لا منادي أعظم من مناد يدعو الى الايمان ، وهو محمد صلى الله عليه وسلم أو القرآن الذي أنزل عليه . ورجح ابن جرير الطبري أن يكون المنادي هو القرآن ، واحتج لذلك بأن كثيرين ممن وصفهم الله بهذه الصفة في هذه الآيات ليسوا ممن رأى النبي صلى الله عليه وسلم فسمعوا دعاءه الى الله تبارك وتعالى ونداءه ، ولكنه القرآن .

٢ ــ وفي الآية فنّ وضع الظاهر موضع المضمر . فقد كان

مقتضى الظاهر أن يقال: ومالهم من أنصار أو وماله من أنصار، مراعاة لمعنى « مَنْ » أو لفظها ، ولكنه أظهر إشعاراً بتخصيص الخزي بهم .

الفوائد :

قال أبو حيان : « سمع » إن دخل على مسموع تعدّى لواحد نحو : سمعت كلام زيد ، كغيره من أفعال . وإن دخل على ذات وجاء بعده فعل أو اسم في معناه ، نحو : سمعت زيداً يتكلم ، وسمعت زيداً يقول كذا ، ففي هذه المسألة خلاف ، منهم من ذهب الى أن ذلك الفعل أو الاسم إن كان قبله نكرة كان صفة لها ، أو معرفة كان حالا منها . ومنهم من ذهب الى أن ذلك الفعل أو الاسم هو في موضع المفعول الثاني لـ « سمع » وجعل « سمع » مما يتعدى الى واحد إن دخل على مسموع والى اثنين إن دخل على ذات » .

﴿ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَـٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ ﴾

الاعراب :

(ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك) كلام معطوف على ما تقدم من ابتهـالات وربنا منادى مضاف وآتنا عطف عـلى أفعال الدعاء المتقدمـة ونا ضمير متصل في محـل نصب مفعول به أول وما اسم موصول مفعول به ثان وجملة وعدتنا صلة الموصول وعلى رسلك جار ومجرور متعلقان بوعدتنا ، ولا بد من حذف مضاف أي : على ألسنة رسلك ، أو على تصديق رسلك ، ولك أن تعلقهما بمحذوف حال أي : منزلاً على رسلك أو محمولاً على رسلك ، لأن الرسل محملون ذلك (ولا تخزنا يوم القيامة) الواو عاطفة ولا ناهية وتخزنا فعل مضارع مجزوم بلا ونا ضمير متصل في محل نصب مفعول به ويوم القيامة ظرف زمان متعلق بتخزنا (إنك لا تخلف الميعاد) الجملة تعليلية لامحل لها لتعليل السؤال منهم ، وهو باب من أبواب اللجوء الى الله ، وإلا فإن الله لا يخلف الميعاد . وإن واسمها ، وجملة « لا يخلف الميعاد » خبر إنّ (فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم) الفاء استئنافية واستجاب فعل ماض ولهم جار ومجرور متعلقان باستجاب وربهم فاعل وأني : ان واسمها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض والجار والمجرور متعلقان باستجاب لتبيان السبب كأنه قال : فاستجاب لهم ربهم بسبب أني لا أضيع ، وجملة لا أضيع خبر أنّ وعمل عامل مفعول به ومنكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لعامل (من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال من عامل بعد وصفه أي استقر منكم حالة كونه من ذكر أو أنثى، أو صفة ثانية لعامل . وأعربه أبو البقاء بدلا مطابقاً من منكم ، وهو سائـغ أيضاً ، وبعضكم مبتـدأ ومن بعض جـار ومجرور متعلقان

بمحذوف خبر ، والجملة مستأنفة مسوقة لتبيين شركة النساء مع الرجال في الثواب ، وجعلها بعضهم معترضة ، وما أحسبها بعيدة ، لأنها وقعت بين قوله « عمل عامل » وبين ما فصل به عمل العاملين فصح كونها واقعة بين كلامين متصلين ورجحها الزمخشري (فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم) الفاء استئنافية للتفريع وذلك للدلالة على أن الجزاء لا يكون إلا لمن جمع هذه الصفات متعددة ، فالجملة مستأنفة لا محل لها والذين مبتدأ وجملة هاجروا صلة الموصول وأخرجوا عطف على هاجروا ومن ديارهم جار ومجرور متعلقان بأخرجوا (وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا) الجملة كلها معطوفة داخلة في حيز الصلة (لأكفرن عنهم سيئاتهم) اللام جواب قسم محذوف وأكفرن فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة والجملة القسمية خبر الذين ، وهنا لا بد من دفع اعتراض معترض يقول : إن الجملة الواقعة جواباً للقسم لا محل لها فكيف ساغ أن تكون هنا خبراً ويتلخص الدفع بأن المقصود مجموع القسم وجوابه. وعنهم جار ومجرور متعلقان بأكفرن وسيئاتهم مفعول به (ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار) الواو عاطفة ولأدخلنهم عطف على لأكفرن والهاء مفعول به وجنات منصوب بنزع الخافض أو مفعول به ثان على السعة وجملة تجري من تحتها الانهار صفة لجنات (ثواباً من عند الله) ثواباً مفعول مطلق لفعل محذوف يفيد التأكيد ، وأجازوا إعرابها حالا من جنات أي : مثاباً بها ، أو من الضمير الواقع مفعولاً به أي حال كونهم مثابين ، وهو جائز . ومن عند الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لثوابا (والله عنده حسن الثواب) الواو استئنافية والله مبتدأ وعنده ظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم وحسن الثواب مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية خبر « الله » .

البلاغـة :

١ ــ في هذه الآية فن منقطع النظير يمكن تسميته « الاسجال » وحدّه أن يقصد المتكلم غرضاً من الأغراض فيأتي بألفاظ تقرر ذلك الغرض : فقد سجل المولى سبحانه على ألسنة عباده تحقيق موعوده على لسان رسوله ، وتأمل كلمة « ما وعدتنا » تجد أن هذا الوعد قد أصبح مبرماً لا انفكاك لإبرامه • ومن طريف ما ورد منه شعراً قول ابن نباتة السعديّ :

جـاء الشتاء وما عنـدي له عـدد
إلا ارتعـادي وتصفيقي بأسنـاني

فإن هلكـت فمـولانا يكفنـني
هبني هلكـت فهبني بعض أكفـاني

والاسجال واضح في تقريره هبني هلكت ، وما أجمل الجناس بين هبني بمعنى احسبني وهبني بمعنى أعطني هبة •

٢ ــ الالتفات في قوله « فاستجاب لهم ربهم » فقد التفت من الغيبة الى التكلم لاظهار كمال الاعتناء بصدد الاستجابـة وتشريف الداعين وتسوية الرجال والنساء وشركة النساء مع الرجال في العمل والجزاء عليه بعـد أن كانت المـرأة مغموطـة الحق في الجاهلية •

روي أن أم سلمة قالت : يا رسول الله ، إني أسمع الله تعالى يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت •

﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١٩٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾

اللغة :

(النزل) بضمتين وبضمّ فسكون : ما يقام للنازل أو طعام الضيف ، قال أبو الشعواء الضبيّ :

وكنّا إذا الجبّار بالجيش ضافنا

جعلنا القنا والمرهفات له نزلا

(رابطوا) أقاموا في الثغر ، والأصل أن يربط هؤلاء وهؤلاء خيلهم مترصدين مستعدين للغزو .

ورباط الخيل حبسها . قال :

فينا رباط جياد الخيل معلمه
وفي كليب رباط الذّل والعار

الاعراب :

(لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد) جملة مستأنفة مسوقة لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن الاغترار ، وهو في الحقيقة نهي لأصحابه وأتباعه عن الاغترار بما يرونه من تبسّط الكافرين والظالمين العتاة في الارض ، واستبحارهم في القوة والعمران ، على نحو ما هو مشاهد اليوم . ولا الناهية ويغرنك فعل مضارع مبني على الفتح في محل جزم بلا والكاف مفعول به وتقلب فاعل والذين اسم موصول مضاف اليه وجملة كفروا صلة وفي البلاد جار ومجرور متعلقان بتقلب لأنه مصدر (متاع قليل ثم مأواهم جهنم) متاع خبر لمبتدأ محذوف وقليل صفة أي : هو متاع ضئيل لا يؤبه له ، وهو مهما تطاول آيل الى الزوال والجملة مستأنفة . ثم حرف عطف للتراخي ومأواهم مبتدأ وجهنم خبر (وبئس المهاد) الواو حالية وبئس فعل ماض جامد لإنشاء الذم والمهاد فاعل بئس والمخصوص بالذم محذوف أي : جهنم ، والجملة نصب على الحال . (لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات) لكن مخففة مهملة لمجرد الاستدراك والذين مبتدأ وجملة اتقوا ربهم صلة الموصول ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وجنات مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية خبر الذين وجملة لكن مستأنفة (تجري

من تحتها الانهار خالدين فيها) الجملة صفة لجنات ومن تحتها جار ومجرور متعلقان بتجري والانهار فاعل وخالدين حال وفيها جار ومجرور متعلقان بخالدين (نزلاً من عند الله) نزلاً حال من جنات ، وإن جعلته مصدراً فهو مفعول مطلق لفعل محذوف ، ومن عند الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة « نزلاً » (وما عند الله خير للابرار) الواو استئنافية أو حالية وما اسم موصول مبتدأ وعند الله ظرف متعلق بمحذوف صلة ما وخير خبر وللابرار جار ومجرور متعلقان بخير والجملة مستأنفة أو حالية (وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله) الواو استئنافية وإن حرف مشبه بالفعل ومن أهل الكتاب جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر إن المقدم ولمن اللام المزحلقة ومن اسم موصول اسم إن المؤخر وجملة يؤمن بالله صلة الموصول وبالله جار ومجرور متعلقان بيؤمن (وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله) الواو حرف عطف وما اسم موصول معطوف على الله وجملة أنزل إليكم صلة وما أنزل إليهم عطف أيضاً وخاشعين حال من الضمير في يؤمن ولله جار ومجرور متعلقان بخاشعين (لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً) جملة لا يشترون حالية وبآيات الله جار ومجرور متعلقان بيشترون وثمناً مفعول به وقليلا صفة (أولئك لهم أجرهم عند ربهم) الجملة مستأنفة واسم الاشارة مبتدأ ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وأجرهم مبتدأ مؤخر وعند ربهم ظرف متعلق بمحذوف حال أي مستقراً عند ربهم والجملة خبر « أولئك » (إن الله سريع الحساب) جملة مستأنفة وإن واسمها وخبرها (يا أيها الذين آمنوا) تقدم إعرابها كثيراً (اصبروا وصابروا ورابطوا) أفعال دعاء (واتقوا الله) عطف أيضاً (لعلكم تفلحون) لعل واسمها ، والجملة خبرها وجملة الرجاء حالية .

البلاغـة :

جاء ختام سورة آل عمران حسناً جداً ، وكما جاء ختام سورة البقرة مشتملا على الدعاء جاء ختام سورة آل عمران مشتملا على عدد من الوصايا النافعة، وهذا هو حسن الختام، ليبقى راسخاً في الاسماع، وهذا هو حسن البيان .